الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات البلاغية المعاصرة

تجليات الحس النقدي في المنجزات البلاغية لمحمد العمري

قراءة في آليات اللغة الناقدة

إعداد الطالبة:
نوال واليد

اشراف الأستاذة الدكتورة:
مليكة فريحي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	عن الجامعة
حسين بن عائشة	رئيسا	أستاذ	جامعةعبد الحميد بن باديس-مستغانم
مليكة فريحي	مشرفة ومقررة	أستاذة	جامعةعبد الحميد بن باديس-مستغانم
أحمد قوفي	مناقشا	أستاذ	جامعةعبد الحميد بن باديس-مستغانم
سعاد نكاع	مناقشا	أستاذة محاضرة أ	جامعةعبد الحميد بن باديس-مستغانم
الحاج لحمر	مناقشا	أستاذ	جامعة جيلالي ليابس- س. بلعباس
عمار عثماني	مناقشا	أسناذ	جامعة أمد زبانة - غليزان

السنة الدراسية: 2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، نحمده لأنه سهل لنا مبتغانا ووفقنا و مدنا بالعزم و الإرادة لإتمام هدا العمل المتواضع، فالحمد لله أولا لأنه علمنا مالم نكن نعلم .

أساتذتي الذين من علمهم استقيت و من حلمهم ارتويت وأخص بالذكر أستاذتي الدكتورة فريحي مليكة التي كان لي عظيم الشرف العمل تحت إشرافها.

زوجي الذي آزرني وكان أحسن عوناليي، ضحى معي وفي كتمان شكره جحود لما وجب له من الحق، فقد دفعني قدما لاستكمال هذا البحث وإخراج هذا المولود العلمي.

والداتي وأخوتي الذين ساندوني في كل شيء.

. شكر وتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الأطروحة

إهداء

باسم كل كلمة من فم وحركة من دم وكل دقة من دقات قلبيي يلفظها لساني ويكتبها قلمي أهدي ثمرة عملي هذا:

إلى أمي باعثة كياني و رفيقة أحزاني، إلى رجائي في شدتي و عزائي في شقوتي ، و حافظة عهدي أطال الله في عمرها.

إلى تاج رأسي و قدوتي في الحياة إلى من أعطى ولم يأخذ و علم ولم يقنع على من علمي أن الدنيا أمال و الآخرة أعمال والدي العزيز... رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى من كان لي خير عون و سند إلى رفيق دربي و توأم روحي زوجي العزيز...

إلى أبنائي محمد وسيم و لؤي وليد شعبان

إلى من أمدوني بتشجيعهم إخوتي و أخواتي حفظهم الله.

مقدّمـــة

إنّ هذا التراث اللغوي والبلاغي ، الذي لم ينْمُ ولم ينضج دفعة واحدة ولكنه استوى على مدار تاريخه الطويل بما انطوى عليه من متغيرات فكرية وثقافية واجتماعية واختلاف البيئات. وظلّ السؤال مطروحاً عن كيفية التعامل مع هذا الموروث لا بوصفه موروثاً كميّاً، ولكن بوصفه موروثاً كيفياً، ما زالت خيوطه ممتدة ومؤثرة وتمثّل قوذة جاذبة وقت اشتداد حدّة الصراع بين الحاضر بما يمثّله من قهر وعجز عن الابتكار أو مجاراة ما تقدّمه الأمم والشعوب المعاصرة من نظريات ومناهج علمية جديدة، وبين الماضي وما حقّقه الأعلام من إنجازات على مستوى النظرية والتطبيق والفهم والاستيعاب ومقدرة عالية للتواصل مع ثقافات الأمم الأخرى وحضاراتها.

لقد ظلّ سؤال الدّرس البلاغي العربي المعاصر حتى وقت قريب محصوراً في كيفية قراءة ما تركه اللّغويون والنقّاد والبلاغيون والمتكلمون من آثار فكرية ونقدية وبلاغية دارت حول القرآن الكريم وقضاياه الأسلوبية والشعر العربي وقضاياه التقليدية مثل لغته وعلاقتها بالواقع والتاريخ ومدى حرية الشاعر في تشكيل رؤيته و مدى علاقة الشعر بالعلم والفكر من جهة، وعلاقته بالفنون من جهة أخرى.

فالذي آلت إليه "البلاغة" في السياق العربي عندما اختزلت في نظرية الوجوه والزخارف ليُغري، من عدّة وجوه، باستحضار مآل نظيرتها في التقاليد الغربية التي تحوّلت هي الأخرى إلى نظرية في الصياغة، وطغت عليها المقصدية التعليمية، قبل أن تتعالى أصوات ثُلّة من البلاغيين الجدد أمثال: " رولان بارت" و"تودوروف" و"جيرار جونيت" ومجموعة "ليج" و" بول ريكور" و"بليث" و" شارل بيرلمان" منادية بالعودة إلى البلاغة القديمة لإحياء مفهوماتها وترهين قضاياها، بحيث تصبح "عِلمًا عصريًا" قادرا على وصف مختلف الأنماط الخطابية وتحليلها. وقد عادت الروح إلى البلاغة الغربية بما حاول هؤلاء الدارسون –مخلصين - من إدماج النّسق البلاغي ضمن النّسق العام للفلسفة والمنطق الأرسطيين، فترتب عن ذلك وصل جدلي بين البنيات الحجاجية والبنيات الأسلوبية ممّا جعل البلاغة الغربية "بلاغة عامة".

ومن تجديد الدّرس البلاغي الغربي امتدّ هذا التحديث إلى الدرس البلاغي العربي، فظهر من البلاغيين العرب المعاصرين مَن نهض بإعادة قراءة البلاغة العربية في ضوء المنجزات التي حقّقها نظراؤهم في الغرب، وقد تجسّد ذلك في أعمال "حمادي صمود " و " نصر حامد أبي زيد " و " جابر عصفور " و " محمد مفتاح "و" محمد العمري " و " محمد أنقار "و"محمد مشبال " وغيرهم ممّن صرفوا جهودهم إلى تجديد الدّرس البلاغي العربي، وتكسير أغلال التقليد التي طوقته.

ويبقي البحث العلمي المتجلّي في التأليف والترجمة والندوات العلمية والمجلاّت المتخصّصة غير منسجم وبرامجَ المدارس والجامعات، وخصوصًا ما يتداول في شُعب اللّغات الفرنسية والانجليزية وغيرها من شُعب اللّغات الحيّة، وما تقرّره شُعب اللّغة العربية و الدّراسات الإسلامية إلاّ أنّ الأمر يختلف إيجابًا في البلاد التي تطوّرت فيها هذه المعرفة نسبيًا،مثل المغرب وتونس في المقام الأول، والجزائر ولبنان والعراق في المقام الثاني.

إنّ ما قام به الباحث البلاغي "محمد العمري" في ميدان البلاغة والحجاج وما أسّس له من مفاهيم وتصورات، ليدفع بكلّ باحث إلى قراءة أعمال هذا الرجل لقراءة منتَجه ومساءلته، و من هنا جاءت فكرة موضوع البحث لتدور حول مشروع التراث البلاغي في المنجزات البلاغية لمحمد العمري الذي يُعدّ من صميم الدّراسات البلاغية الحجاجية المعاصرة التي استحدثت مفهوما جديدا للبلاغة يقوم على الإقناع وإقامة الحجج و البراهين.

كان حريًا بنا تناول هدا المشروع بالدّراسة لتسليط الضوء على أهم القضايا البلاغية الحجاجية التي نظّر وقعّد لها الباحث محمد العمري، و التطابق الكبير بين هذا الموضوع وتخصص الدراسة،إضافة إلى نقص الاهتمام بهذا الموضوع في الدراسات السابقة خصوصا أن البحوث تتسارع في مجال الدراسات البلاغية، والأهم هو الرغبة الشخصية للبحث في أغوار هذا الموضوع، وفي أن يكون مفيدا في التّحليل و النقد .

استرشد الباحث محمد العمري في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة ببعض التجارب الغربية التي كان لها صدى من الدارسين المحدثين على المستوى العالمي.

وسيكون الإشكال الرئيس الذي يحرّك البحث كالآتي : ما هي تجليات الحس النقدي من خلال المشروع البلاغي لمحمد العمري ؟ .

وترافقه أسئلة فرعية أهمها:

- ما هي التجليات والجوانب التي تم الكشف عنها في ضوء الدرس البلاغي من خلال مشروع محمد العمري؟
- ما هي الخلفيات النظرية والإجراءات المنهجية التي أطرت مشروعه ؟
- وهل استطاع خلال مشروعه بناء أسس بلاغية جديدة؟

ومن أجل البحث في اجابات الاشكالات المطروحة اعتمد الباحث على المنهج الذي يتلاءم مع طبيعة الدراسة الحالية وهو المنهج التاريخي التحليلي النقدي، حيث يقوم بتفكيك العناصر الأساسية للموضوع محلّ الدراسة في التراث، وأخذ نماذج تطبيقية من تحليلات العمري و اعتماد الدراسات النقدية ، وفي ضوء ذلك يتم استنباط أحكام و قواعد للبلاغة العربية .

فكان بحثنا موسوما بـ: تجليات الحسّ النّقدي في المنجزات البلاغية لمحمد العمري: " قراءة في آليات اللغة الناقدة "

و قد تضمّن البحث مدخلا و أربعة فصول وخاتمة:

أما المدخل فقد وُسم: واقع الدرس البلاغي العربي لدى المعاصرين للبلاغة العربية في ضوء ثنائيه الأصالة والمعاصرة: جهود التحقيق، جهود التأريخ، قضايا التنظير، قضايا التطبيق .

وهنا تناولنا المراحل التي مرّ بها الدرس البلاغي الجديد وكذا المقاصد التي حرّكت الدراسات المعاصرة، وكذا الجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدرس البلاغي بعرض جهود العلماء وفق تسلسل زمني نذكر منهم سيبويه وأبا عبيدة والسكّاكي.

وفي الفصل الأول الموسوم بـ:منطلقات الدرس البلاغي لدى محمد العمري، فقد تناولت فيه تعريفا بالعمري أديبا وناقدا أي سيرته العلمية، إذ ذكرنا مؤلفاته وأعماله،وكذا مصادر فكره البلاغي ومجالات اشتغاله العلمي والوقوف عند النظرية المعرفية المؤثرة لأبحاثه.

أما الفصل الثاني فقد كان معنونا بـ: تجليات حسه النقدي في وعي التراث البلاغي العربي. تحدثنا فيه أولا عن قراءته للتراث الذي ورد في كتاب "مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي" لعبد العزيز انميرات، وكذا مادة النقد التي عرفها كل مؤلف حسب مؤهلاته والخوض في معالم الاستكشاف التاريخية في البحث البلاغي العربي لدى القدماء، ودواعي ومسوّغات حسّه النقدي في مكاشفة التراث البلاغي وكذا منهج آليات القراءة النقدية البنيوية الذي اعتمد عليه في تفكيره البلاغي، كما تمّ إبراز العدة المصطلحية، وصولا إلى دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته نصوص ومواقف نقدية.

وانتقلنا إلى الفصل الثالث الموسوم بـ: " تجليات حسّه النقدي في فهم البلاغة الجديدة " وتُمثلُ واحدا من المفاهيم التي ظهرت في موجة الدراسات الحجاجية التي دخلت إلى دراستنا اللغوية بسبب الترجمة، وعرضنا جهود إحدى المدارس العربية في بناء بلاغة جديدة وحديثة على رأسهم محمد العمري، ومنه انتقلنا إلى عرض مفهوم ونشأه البلاغة الجديدة في سياق البحث الأجنبي وتحديد دواعي حسّه النقدي

ومسوّغاته حيال قضايا البلاغة الجديدة وكذا وسائط تلقي العمري للجهاز المفاهيمي الجديد (الأخذ المباشر/ الترجمة)وإظهار الآليات التي اعتمدها في منهج قراءته النقدية للبلاغة الجديدة و من ثمَّ التطرق إلى بعض المصطلحات التي جاءت بها البلاغة الجديدة ،ليختم بدراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته و مواقفه النقدية.

وخلصنا إلى الفصل الرابع المعنون بـ:" إسهامات محمد العمري في تجديد مفهوم البلاغة وتطويرها تنظيرا وانجازا "، فعملنا على إبراز أثر حسّه النقدي في إخصاب الدراسات البلاغية المعاصرة على الصعيد النظري أي الإسهامات البلاغية في إخصاب الدرس البلاغي المعاصر (الشعرية، الخطاب النثري، التداولي) أما على الصعيد التطبيقي: فتناولنا كيفية تطبيق المناهج البلاغية المعاصرة (الشعرية، الحجاج على النصوص العربية) وكذا على الصعيد المنهجي تناولنا كيفية استثمار النظريات الغربية المعاصرة في قراءة التراث العربي القديم، وكذا تطلّعات البلاغة العربية وانفتاحها على وظيفتي التخييل والتداول وإظهار مدى التفاف الدارسين المحدثين حول مدرسته البلاغية .

وقد أسهمت في بناء هذا المنجز جملة من الدراسات السابقة منها:

أطروحة دكتوراه في علوم البلاغة العربية- ملامح تجديد البلاغة في كتاب (البلاغة العربية قراءة أخرى) لمحمد عبد المطلب- دراسة تحليلية نقدية – للطالب عثمان عمار السنة الدراسية 2015م -2016م ،ودراسة أخرى للطالب شرشاب خالد بعنوان : البلاغة وتحليل الخطاب السردي بلاغة الصورة في الرواية الجزائرية المعاصرة ،مسارا للبحث اختار هذه الدراسة من بين التيارات البلاغية المطروحة على الساحة النقدية و الثقافية المعاصرة ، تيار البلاغة الجديدة ، بوصفه الأنسب لدراسة الصورة الروائية بطبيعتها التشكيلية الحجاجية و قدرتها على التصوير الحي للشخصيات ، وتجسيد العواطف و الأفكارعبر تخييل لغوي منفتح في مجال المسرح و السينما والفنون التشكيلية ،وهذه الدراسة استلهمت أن علوم البلاغة تشمل مختلف المجالات فهو علم بناء متعدد .

رسالة ماجستير: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة من خلال مشروع محمد العمري للطالب بوعافية محمد عبد الرزاق السنة الدراسية:2014-2015م ،حيث ألمت دراسته حول البلاغة العربية المعاصرة من خلال مشروع العمري أنموذجا مثالا على هذه الحركة التي تشهد إتساعا قد أطر النظريات التي اعتمد عليها العمري في دراسته للبلاغة الجديدة ،نجد نظرية التلقي و البنيوية و نظرية الحجاج.

كما اعتمدنا في بحثنا عدة مقالات نذكر منها: مقال بعنوان "البلاغة العامة والبلاغة المعممة لمحمد العمري" ، وقد كانت مصادر ومراجع هذا البحث ترتكز على أعمال العمري خاصة كتاب "البلاغة العربية أصولها و امتداداتها" و"أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة- و نموذج تطبيقي – في بلاغة الخطاب الإقناعي" بالإضافة إلى مصادر أخرى من التراث العربي البلاغي وما له علاقة بصميم الدراسة.

وفي الختام أحمد الله تعالى على نعمه و كرمه وفضله، و أشكر أستاذتي المشرفة: فريحي مليكة على توجيهاتها التي رافقت هذا البحث من البداية حتى النهاية، كما أشكر أساتذتي المناقشين على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه الأطروحة و تقييمها ، جزاهم الله خيرا.

ولا أنسى بالشكر جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، لاحتضانها هذا العملطوال المرحلة العلمية و الدراسية، و خاصة قسم الدراسات اللغوية والأدبية.

مستغانم في: 17 ماي 2022

نوال

و اقع الدرس البلاغي العربي في ضوء ثنائية الأصالة والمعاصرة

- مقدمة
- البلاغة العربية في ضوء ثنائية الأصالة والمعاصرة
- جهود التأريخ
- قضايا التنظير
- قضايا التطبيق

مـــقدمـــــــة

إن علوم البلاغة هي مستودع العلوم العربية،ومظهر جلالها، فلا فضيلة و لا مزية لكلام إلا ما يحويه من لطائفها ،و يودَع فيه من خصائصها،وهي حركة أم الكتب تحاول استعادة أو بعث مقاييس جديدة وتُعدُّ أبرز العلوم التي تأثر بها الأدباء و النقاد و حدثت فضاءً إبداعيا من أجل كشف ظواهرها و عناصرها، حيث مثّلها " رولان بارت " في كتابه قراءة جديدة للبلاغة القديمة قائلا: "تبدو البلاغة لدى عامة الناس مثل معرفة متجاوزة وزائدة، ويود الكثير منهم لو يمسك بها ويلوي عنقها كما دعا الى ذلك (فيرلين)، متناسين أنهم في أحاديثهم اليومية يستعملون الصور الأكثر بلاغة(من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه وتمثيل ومقابلة وتورية وغيرها) دون دراية بذلك (مثلما كان السيد جوردان يتحدث نثرا دون أن يعلم)، بل إننا نجد هذا الاحتقار ينتقل - أحيانا - الى صفوة المثقفين، الذين تزخر كتاباتهم بالوجوه البلاغية، رغم ازدرائهم لها " [1].

من الصعب الإلمام بتحديد مصطلح البلاغة، ذلك لكثرة المفاهيم التي احتوت عليها كلمة البلاغة منذ أن كانت تستعمل على مستوى لغة التخاطب في الاستعمال العادي، ولقد شهدت تحولات مختلفة، بل كانت كلمة البلاغة مجالا صالحا لعرض ثقافات وعلوم واهتمامات كثيرة .

"والبلاغة في الأصل اللغوي، تعني الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيئ أي وصل اليه، وانتهى اليه، وتبلغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ ما يتبلغ به، ويتوصل إلى الشيئ المطلوب"[2]..

كما قال محمد كريم كراز في كتابه " البلاغة و النقد:"، والبلاغة بوصفها وسيلة إقناع، يجب أن تخلو مما يعيق التوصيل، توصيل الكلام إلى السامعين، لأن تلك العوائق تؤثر في التعبير، فتجعله قاصرا عن الإفصاح والإفهام، ثم إن البلاغة مادامت وسيلة، فقد تستعمل في أي مجال كان، بغض النظر عن مشروعية الهدف، أو أحقيته، وفي هذا المعنى قال العتابي، وهو متكلم معتزلي: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة، ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق " [3] .

حيث إن البلاغة هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام و أغراضه المختلفة ببديع القول و ساحر البيان، و سلامة القول.

---

(1) – رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمرأوكان، افؤيقيا الشرق،1994، ص: 5.

(2) – محمد كريم كواز: البلاغة والنقد: المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، الطبعة الأولى، 2006، ص: 11.

(3) – المرجع نفسه، ص: 12.

البلاغة العربية في ضوء ثنائية الأصالة والمعاصرة:

إن البلاغة الجديدة أو الدرس البلاغي الجديد قد مرّ بمراحل منذ دخوله إلى البحوث العربية المهتمة بهذا الشأن، ونحن إذ نحقق في مفهوم البلاغة الجديدة ونرصد تطورها التاريخي نريد من خلال ذلك تحديد المفاهيم، والخلفيات النظرية، والآليات التطبيقية، والمقاصد التي حركت الدراسات المعاصرة وجعلتها تعيد النظر في البلاغة العربية.

إن جهود الإصلاحيين إلى تجديد الخطاب البلاغي في عصرنا إنما جاء تماشيا مع نوازع الفطرة، وإن من التجديد ما هو مقبول، وهو الذي يربط القديم بالجديد، ويعتمد مبدأ الأصالة والمعاصرة، مما يجعل تلاحم القديم الجديد، أي تتبع اللاحق أساس بناء بلاغة جديدة.

وما هو مرفوض شكلا و موضوعا، هو ذلك الذي يقطع الصلة و الرحم بين هذا وذاك، وحسبنا أن نذكر جواب شوقي ضيف - أستاذ جيل الرواد وصاحب موسوعة (تاريخ الأدب العربي) والمؤلفات الشهيرة في اللغة والأدب والتراجم – عن سؤال في تقييمه للواقع الأدبي والثقافي بعد رحيل كثير من العمالقة والنوابغ في الوطن العربي وتدفق موجة (الحداثة) وما صاحبها من المذاهب الوافدة: " أشم من رائحة السؤال مدى الخوف والقلق الذي أصابنا من جراء الغزو الفكري والثقافي الغربي في العقود الأخيرة ولكني أطمئن هذا الجيل والأجيال المقبلة بأنه لا خوف على الأدب العربي إطلاقا، أما عن (الحداثة) – كما أطلقوا عليها- فلا هي حداثة ولا دماثة، بل هي ردة فكرية وثقافية، والحمد لله أن هذه الدعوى الغربية الشاذة أوشكت أن تتلاشى وتذهب ريحها قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ....﴾ الآية 17،سورةالرعد . فشتان بين الأدب الأصيل والأدب الزائف، وشتان بين الأخلاق والدعارة " [1].

وسنحرص –هنا- على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في الدرس البلاغي ذلك بعرض جهود العلماء وأبرز القضايا في التراث البلاغي وفق الترتيب الزمني للمؤلفين.

---

[1]- محمد محمد عبد العليم دسوقي: موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة – دراسة وموازنة–، دار اليسر، القاهرة، ص: 10.

1- سيبويه (ت 180 ه): البلاغة عند سيبويه:

يُعدُّ سيبويه عالما كبيرا في علم البلاغة واحد الرموز الذي خطى بالبلاغة العربية خطوات متقدمة من خلال كتابه. " ومن يتصفح كتاب سيبويه يجده ينص في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب نراها تدخل في فن البلاغة مثل التخفيف و الإيجاز و السعة، ويبين لنا سيبويه أن عادة العرب قد جرت على الحذف وحبذته في غير موضع، ولغتها تشهد بذلك، فهم يلحقون التنوين بالخفيف من الكلمات، ويحذفونه من الثقيل، نظرا لأن التنوين يزيد الكلام ثقلا، فلم يريدوا أن يثقلوا كاهل اللغة ويزيدوها ثقلا على ثقل "[1].

يُعَّد الحذف مسألة هامة في البلاغة العربية، وقد تطرق سيبويه إلى ذلك سعيا منه إلى تطوير الدرس البلاغي.

"وينبه سيبويه على أن الحذف لا يكون مطلقا حيث أردنا الحذف، وإنما يكون إذا كان المخاطب عالما به، فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف. وهكذا نجد سيبويه يعرض للحذف بجميع ألوانه من حذف الاسم سواء كان مضافا أو مضافا إليه، والمبتدأ أو الخبر، والصفة والموصوف، وحذف الفعل سواء كان للإغراء أو التحذير أو التعجب، إلى غير ذلك، مراعيا في هذا الحذف التخفيف على اللسان "[2].

وكل ما ذكره سيبيويه من ألوان الحذف اعتبره البلاغيون من بعده مشتملا على الفصاحة والبلاغة.

2- ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210)، كتاب مجاز القرآن: مفهوم المجاز عند أبي عبيدة:

أبو عبيدة علم من أعلام اللغة والأدب في القرنيين الثاني والثالث الهجريين، يعتبر من أوائل الدراسين لعلم البلاغة في مجال القرآن الكريم، حيث ألف كتاب ركز فيه على المجاز في القرآن. وفيمايلي اقتباس أبو عبيدة من كلام الله لتوضيح معنى المجاز عنده.

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ....﴾ الأنعام :23، ومجاز فتنتهم: كفرهم وشركهم الذي كان في أيديهم. وقوله تعالى: ﴿ .....إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً....﴾الأنعام:47، مجاز بغتة: فجأة وهم لا يشعرون. وقوله تعالى: ﴿ ..وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ..﴾التوبة:100،مجازه: مجاز نختم. وقوله

---

[1]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001، ص: 53.

[2]–المرجع نفسه،ص:54

تعالى:﴿.....لَايَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ ...﴾ التوبة: 8، مجاز إلاّ و لا : العهد واليمين، ومجاز الذمة: التذمم ممن لا عهد له، والجمع ذمم"[1].

أشار –هنا - أبو عبيدة إلى أنّ المجاز اللغوي هو استعمال اللفظ في غير موضعه الحقيقي، مع وجود قرينة مانعة من إرادة ذلك المعنى. "يتجلى مما تقدم أن أبا عبيدة لم يقصد بكلمة المجاز في كتابه (مجاز القران) المعنى البلاغي الذي عرفه علماء البلاغة فيما بعد، وهو استعمال اللفظ أو التركيب في غير المعنى الذي وضعته له العرب لعلاقة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي في المجاز اللغوي، أو إسناد الشيء الى ما ليس حقه أن يسند اليه في المجاز العقلي. فقد أطلق أبو عبيدة لفظة المجاز، وأراد بها معناها الواسع الذي عرفه من الوضع اللغوي، وهو المعبر والممر والطريق، فمعنى مجاز القرآن،طريق الوصول إلى فهم المعاني القرآنية، ويستو عنده أن يكون طريق ذلك تفسير الكلمات اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشارحة، أو بالمرادف المفسر من المفردات. وما كان عن طريق الحقيقة بمعناها، أو طريق المجاز بمعناه عند البلاغيين" [2].

فالمجاز عند أبي عبيدة تعني السبل التي يسلكها القرآن لايصال معناه الحقيقي ومراده الذي يُرادُ منه.وهذا المعنى شامل من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد.

"فكان كتاب مجاز القران لأبي عبيدة، أول كتاب يبحث في أسلوب القرآن، ويوازن بينه وبين كلام العرب، لينتهي من الموازنة إلى أنه نمط من ذلك الكلام. وبعد أن استقر في أذهان الناس أن ألفاظ القرآن ومعانيه، إنما هي تجري على نفس النمط الذي تجري عليه ألفاظ العرب ومعانيهم، طاف بالأذهان سؤال جديد: إذا كان القرآن عربيا، جاريا على نمط أساليب العرب، ففيما إذن كان الإعجاز؟، وهنا نشط العلماء لإبراز أسباب إعجاز القرآن" [3] .

فالقرآن الكريم إعجازه راجع إلى قول فصيح بليغ لا نستطيع علوه ولا تعليله، فمهما تميز كلام البشر بالفصاحة والبلاغة، فلن يصلوا بكلامهم الى درجة بلاغة كلام الله تعالى، لأنه يعلو ولا يُعلى عليه، ورغم تعدد أراء علماء البلاغة في هذا الشأن، لم يستطيعوا توضيح أسباب البلاغة في القرآن وقوة تأثيره على نفسية متلقيه. وتلك من أسباب إعجازه اللغوي والبياني والعلمي اللامتناهي.

---

[1] - عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة، الاردن، عمان، ط1، 2012، ص: 18

[2]–المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001، ص: 21.

ونذكر من الأدباء الذين كان لهم توضيح في بلاغة القرآن أمثال عبد القادر حسين في كتابه المختصر في تاريخ البلاغة : " وإنما اكتفوا بالقول: إن بلاغة القرآن أمر يُدرك ولا يُعلل، يُحس ولا يُوصف، شيء كالنغم يسري إلى النفس ويستقر في أعماقها، دون أن تكون لدنيا القدرة على تحديده وإيضاحه. فقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع، وهشاشة في النفس، لا توجد لغيره من الكلام الفصيح، ثم لا نعرف علة لذلك" [1].

3- الجاحظ (ت 255) كتاب البيان والتبيين: ملامح البلاغة في عصر الجاحظ:

يُعدُّ الجاحظ –بلا منازع -أحد أعمدة البلاغة العربية القديمة، إذ ترك العديد من المؤلفات منها كتاب: البيان والتبيين، أبرز فيه ملامح البلاغة في عصره.

"ينبغي أن ننبه أن البلاغة في عصر الجاحظ كانت أقسامها الثلاثة(البيان والمعاني والبديع) متداخلة، وأن المصطلحات البلاغية لهذه الأقسام لم تكن معروفة في أغلبها، فالجاحظ لم يعرض المسائل البيانية والبديعية عرضا علميا كما هي الحال في الدرس البلاغي عند المتأخرين، فقد يعرض لمسألة بيانية أو بديعية دون أن يذكر نوعها البلاغي، ولكنه يمثل لها من روائع الشعر والنثر، ويعلق عليها بأسلوبه الأدبي الشائق" [2].

ومن هذا المنطلق دعا الجاحظ إلى الاهتمام بالعلوم الثلاثة:(البيان والمعاني والبديع)، انطلاقا من الشعر والنثرحتى تتسع دائرة علوم البلاغة.

ويُعرف الجاحظ أديبا كبيرا و عالما قديرا و اهتم بتصوير نظم الكلام أي الألفاظ ولكن لم يهمل المعنى، فقد كرّس جهوده لخدمة ألفاظ البديع بحكم توسيع دائرة الأساليب البلاغية حيث قيل: " كان لفظ البديع في عصر الجاحظ يطلق على الأساليب البلاغية التي تبرز الصور الأدبية الفاتنة، من تشبيه ومجاز ومحسنات، ولم يكن مقصورا على المحسنات اللفظية والمعنوية، ولم يضع الجاحظ للمسائل البديعية تعريفات ومصطلحات، لأن اهتمامه بها عن طريق الشواهد لا عن طريق وضع القواعد. والسجع من أبرز موضوعات علم البديع عند الجاحظ، ويعلل كراهية بعض العرب للسجع بأن كيان العرب كانوا يسجعون، وكان أكثر الجاهلية يتحاكمون عليهم" [3].

---

[1]–عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001 ص: 22.

[2]– عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص: 20.

[3]– المرجع نفسه، ص: 21.

لقد خلق الجاحظ لعلمه قواعد مبنية على الشواهد لا الضوابط، حتى يكون علما واسعا مبنيا على الحب لا الكراهية، أي أعطى جوهرة جديدة لعلم البلاغة .

وكان الدافع عند الجاحظ مبنيا على نظريات "وأكثر من الحديث عن حسن الصوغ وكمال التركيب ودقة تأليف اللفظ وجمال نظمه، وأداه شغفه بجودة اللفظ وحسنه إلى أن قدمه على المعنى، يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير". وكأنما أحس في عمق أن المعاني وحدها لا تكون الكلام البليغ، فهؤلاء المترجمون ينقلون معاني دقيقة لفلاسفة اليونان وغيرهم، ومع ذلك لا يمكن أن يتصف كلامهم ولا ما نقلوه بالبلاغة" [1].

وقد ظلت كتابات الجاحظ وملاحظاته في البيان والبلاغة معينا لا ينفد لمد الأجيال التالية بكثير من قواعدها، كل يستمد منها حسب قدرته ومهارته الذهنية.أي تركيب اللغة الصحيحة لا المزيفة ،فاللغة المبنية على الوزن والقافية.

وقد وضّح شوقي ضيف في كتابه: البلاغة تطور و تاريخ قائلا: "ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بعد ذلك كله إن الجاحظ يعد مؤسس البلاغة العربية، فقد أفرد لها لأول مرة كتابه" البيان والتبين" ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظات معاصريه. وتعمق وراء عصره، فحكى أراء العرب السابقين، والتمس أراء بعض الأجانب، أو قل سجلها، وقد مضى ينثر في كتابه "الحيوان تحليلات لبعض الصور البيانية في الذكر الحكيم. وليس من شك في أن كتابه المفقود الذي صنفه في "نظم القران" كان يشتمل على كثير من ملاحظاته البلاغية، وهو حقا لم يكن يعنى بوضع ملاحظاته في شكل قوانين محددة بالتعرفات الدقيقة، ولكنه صورها في أمثلة متعددة بحيث تمثلها من خلفوه تمثلا واضحا" [2].

وحاصل القول في هذا أن اتكاء الجاحظ على عقله كان أكبر من اتكائه على الأخرين بتأسيس نظريات بني عليها علم البلاغة الصحيح الدقيق.

4- ابن قتيبة(ت 276) كتاب تأويل مشكل القران:

[1]– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1965، ط 8، ص: 52.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 58.

"أما ابن قتيبة فإنه نثر جملة ملاحظاته في كتابه تأويل مشكل القران، وقد صنفه للرد على الملاحدة وأشباههم الذين يطعنون على القرآن الكريم، فيقولون إن به تناقضا وفسادا في النظم واضطرابا في الإعراب، وهو طعن مرده إلى جهلهم بأساليب العربية، ومن ثم ألف كتابه ليحق الحق ويبطل الباطل"[1].

ونجد أن ابن قتيبة يتفق مع الجاحظ في الاتجاه من خلال المجاز والاستعارة على طريقة العرب في التعبير والاستعمال، وإن كان يختلف معه في التطبيق، إذ كان إبن قتيبة محافظا، وكان الجاحظ معتزليا، وكراهية ابن قتيبة للمعتزلة مشهورة.

كما أن ابن قتيبة صاحب كتاب الشعر و الشعراء لم يضف جديدا ذال بالقياس إلى أبي عبيدة ، إلا ماعرف به من التبويب، وإلا بعض إشارات وبعض تفاصيل هنا وهناك، كان يتوسع في الحديث عن الكناية أو يعرض للمبالغة.

5- المبرد (ت 285 ه) مؤلف كتاب الكامل في اللغة والأدب:

نجده هو الآخر يحدد البلاغة بقوله:" إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول" [2]. فحين نجد المبرد تتخلل في كتابه الكامل ملاحظات بيانية مرة تلوى الأخرى نجد أنه نظم فيه تطبيقات قيل:

" وهو فيه يعرض نماذج أدبية وشعرية ونثرية كثيرة، متبعا لها بالشرح اللغوي، ومشيرا أحيانا إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير، ويذكر أحيانا كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي، وقد وقف عند الكناية وجعلها على ثلاثة أوجه، فهي إما للتعمية والتغطية، و إما للرغبة عن اللفظ الخسيس إلى ما يدل على معناه من غيره، وإمّا للتفخيم والتعظيم" [3].

يُعد المبرد من أوائل العلماء الذين اهتموا بالتشبيه والتفصيل فيه حيث حمص مبحثا في كتابه الكامل قال : "وأما التشبيه فقد أرجعها أشعار العرب إلى أربعة في قوله: والعرب تشبه على أربعة أضرب، فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير، ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام"[4].ولكن من يطلع على موضوع التشبيه يجد أنه تجاوز الأضرب الأربعة التي تطرق إليها.

---

[1]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ، ص: 58.

[2]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص: 59.

[3]– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 60.

[4]– عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص: 25.

نستطيع القول:أن الألفاظ تكون متشابهة ولكن المعنى يختلف وهذا ما أدركه علماء البحث في علم البلاغةيصدق القول"وربما كان أهم ما خلفه للبلاغيين من بعده ملاحظته تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد، ذلك أن الكِندي الفيلسوف قال له يوما:" إني أجد في كلام العرب حشوا: يقولون: عبد الله قائم، وإن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، والمعنى واحد. فأجابه قائلا: بل المعاني مختلفة، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر. وقد فتح البلاغيون لهذه الإجابة فصلا في علم المعاني سموه"أضرب الخبر" وسموا الخبر الأول في سؤال الكندي وإجابة المبرد إبتدائيا، والثاني طلبيا، والثالث إنكاريا" [1]. نستنتج من خلال ما ورد أن أضرب الخبر ثلاثة أقسام منها: ضرب خبر إبتدائي يكون خاليا من المؤكدات والثاني ضرب خبر طلبي وفيه يكون مؤكد واحد والأخير ضرب خبر إنكاري فيه مؤكدان فأكثر، وهذا ما حقّقه البلاغيون في تأليف مبحث خاص بتلك الأضرب وهذا لأهميتها .

6- ابن المعتز(ت 296 ه) كتاب البديع:

ابن المعتز من العلماء الذين كان لهم الحظ في إبداء علم واسع تتخلله العلوم المختلفة حيث شرح عمر عبد الهادي عتيق في كتابه علم البلاغة بين الأصالة و المعاصرة ما فصله ابن المعتز قائلا:

تتوزع القضايا البلاغية التي يحويها كتاب البديع على علوم البلاغة الثلاثة (البيان والبديع والمعاني)، ونعتقد اعتقادا أن ابن المعتز إنما اكتفى بفنون خمسة من محاسن الكلام، رأى أن يخصها باسم البديع، لأنها فعلا الفنون التي كانت موضع أخذ و رد بين أصحاب البلاغة العربية.

ومن موضوعات علم البديع عند ابن المعتز ما هو آت: [2]

- حسن الابتداء وأراد بها ابتداءات القصائد: وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وخصوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما.

- الهزل الذي يراد به الجد: وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب، والمجون المطرب، وقد أنشد ابن المعتز في هذا الباب قول أبو العتاهية :

أُرْقِيكَ أَرْقِيكَ بِاسْمِ الله أرقيكَ مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ اللهَ يَشْفِيكَا

مَا سَلِمُ كَفِّكَ إِلَّا مَنْ يُنَارِكُـها ولا عَــدُّوكَ إلاَّ مــن يُرجِّيــكَا

---

[1]– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 61.

[2]– عمر عبد الهادي عتيق:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص: 26.ص:27

يدعو الشاعرُخلال هذه الأبيات الإنسان:" إلى الزهد في الحياة من خلال ترك متاع الدنيا الزائلةو التمسك بحبل الله فهو الشافي من الأمراض النفسية ،أما الدراسة البيانية لهذه الأبيات يوجد : المجازالمرسل في قوله ما سلم كفك فالمقصود الإنسان علاقته الجزئية و في قوله : من بخل نفسك مجاز مرسل.

- الرجوع: وهو أن يذكر شيئا ثم يرجع عنه، كقول القائل: ليس معك من العقل شيء، بل بمقدار ما يوجب الحجة عليك. وقال آخر: قليل العلم كثير، بل ليس من العلم قليل.

- حسن الخروج: كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد على فراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت: فدع ذا، وسل الهم عنك بكذا، كقول الشاعر:

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرًا

- حسن التضمين: وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت شعر، أو من آية، أو معنى مجردا من كلام، أو مثلا سائرا أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة، وقد أورد ابن المعتز قول الشاعر:

فبت والأرض فراشي وقد غنت قِفَا نبكِ مصاريني

فضمن جملة من مطلع معلقة امرؤ القيس:(قفا نبك)

- الإفراط في الصنعة : وهو المبالغة في الوصف، كقول الشاعر:

ملك تراه إذا احتبى بنجاده غمر الجماجم والصفوف قياما "[1]

نستنتج من خلال ما ذكرناه سابقا تفوق ابن العتز في دلائل علم البديع وكان له مكانة مرموقة بين قومه حيث اهتم بجمع محاسن الكلام من الشعر الجاهلي والإسلامي كانت كتاباته تصويرا وجمالية و تصوير ا في الفن الأدبي أي له دراسة تاريخية في علوم البلاغة العربية.

7- أبو هلال العسكري (ت 395 ه) كتاب الصناعتين :

قبل الحديث عن أبي هلال العسكرينذكّر بالكُتّاب الذين تطرقوا لهذا الموضوع أمثال ابن سلام الجمحيوالجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وكذا تأليف أبي هلال العسكري كتاب "الصناعتين" ويقصد بالصناعتين الكتابة و الشعر ويفتتح أبو هلال العسكري كتابه ببيان أهمية علم البلاغة وفوائده.

"فأحق العلوم بالتعلم – بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق،الهادي إلى سبيل الرشد...والإنسان إذا أخل بمعرفة البلاغة

[1]-عمر عبد الهادي عتيق:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ، ص:27

والفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع" [1].

وتحدث في الباب الأول من الكتاب عن الفصاحة والبلاغة وماجاء فيها من أقوال السابقين. ويقصد بتعريف البلاغة و الفصاحة في معارفهم قيل:

"فالبلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها قبل غيري. فسميت البلاغة بلاغة ، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. والفصاحة من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره، وأفصح الصبح إذا أضاء، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وعبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ"[2]. اتحدت البلاغة و الفصاحة عند بعض البلاغيين في معنى واحد إلا أن هناك تدخلات كثيرة للذين و ضعوا تعريفا للبلاغةأمثال مؤلف كتاب الصناعتين فيقول:

" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن. فحسن المعرض والصوت المقبول شرط في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة ومعرضة خلقا لم يسمَّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى، فشرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا" [3] وهو التعريف الذي أخذ به المتأخرون دون أن يحيدوا عنه مقارنة بما قاله السابقون وأبو هلال العسكري عن تعريف البلاغة نرى أن هذا الأخير لم يرغب بجمعهم للبلاغة والفصاحة في مفهوم واحد بل فصل بينهما وأعطى لكل من البلاغة و الفصاحة تعريفا للفصل بينهما .

كانت الأراء مختلفة ومشددة لتحصيل الحاصل الصحيح من طرف الباحثين فحين أعفانا العسكري من جهد البحث والتدقيق في المسائل البديعية التي تفرد بها بقوله: " وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع: التشطير و المجاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف، وشذبت على ذلك فضل تشذيب،وهذبته زيادة تهذيب" [4].

نرى أن المسائل البديعية توسعت دائرتها و تنوعت من خلال ما أضافه العسكري فزادت تلك الست استحسان البديع.

8- ابن رشيق القيرو اني(463 ه) كتاب العمدة في محاسن الشعرونقده:

---

[1]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص: 96.وما يليها

[2]– أنظر المرجع نفسه ، ص: 97.

[3]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص: 98.

[4]– عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص: 32.

نرى " شوقي ضيف " في كتابه -البلاغة تطور و تاريخ -كشف عن ما قاله مؤلف كتاب العمدة في محاسن الشعر و نقده قال: "فتح ابن رشيق فصلا للحديث عن اللفظ والمعنى قال فيهما أنهما متلازمان، إذ اللفظ جسم روحه المعنى، ومن ثم كان ما يوصف به أحدهما يعد وصفا للأخر، فإذا وصف اللفظ بالغرابة أو بالابتذال كان وصفا للمعنى الجاثم وراءه، وكذلك الشأن في المعنى إذا وصف بالوضوح أو الغموض كان ذلك وصفا للفظ الذي يعرضه ويجلوه، فليس اللفظ والمعنى شيئين منفصلين كالكوب وما يكون فيه من شراب، بل هما مترابطان ترابط الثوب بمادته "[1].

ويبدو أن حظ " ابن رشق" من الأصالة البلاغية يسير، ولم يضرب فيها بسهم وافر كغيره من الأدباء والنقاد السابقين كابن المعتز و أبي هلال العسكري كما سهل على القارئ عملية البحث فقد جمع مما سبقوه في كتاب وقام بتبويبه بطريقته الخاصة و الدليل فيما ذكر حين قيل:

"فقد اقتصر على نقل الأبواب المتعلقة بالبلاغة من كتب السابقين دون أن يمحص أراءهم أو يضيف إليها شيئا جديرا بالذكر. وإذا كان لكتاب العمدة من فضل،فهو فضل الجمع بين خيرة آراء السابقين مما يغني قراءة كتبهم، فهو خلاصة يجد فيه القارئ إلى ما كتبه السابقون عن أبواب البلاغة، وهو منهل لطلاب الدراسات البلاغية الذين يحرصون على التزود يقدر من المعرفة في علوم البلاغة بأبوابها البلاغية الذين يحرصون على التزود بقدر من المعرفة في علوم البلاغة المختلفة"[2]

.نستخلص مما سبق ابن رشيق ألم على أبواب البلاغة دون أن يلتمس في لبها حتى يسهل للقارئ معرفة علوم البلاغةكما أنه لم ينقد في رأيهم مثلما فعل المتأخرون.

9- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه) كتاب دلائل الإعجاز أصول الفكر البلاغي:

لعبد القاهر الجرجاني مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، ويعد الرائد في ازدهار الدراسات البلاغية، وكتاب دلائل الإعجاز خير دليل،إذقَدَّم فيه نظريته في النظم، تلك النظرية التي تركز بعمق على سياقات القرآن البلاغية، وتستخرج منها أصولًا للبلاغة في سابق درجاتها. كما عَرَضَ لمسائلَ بلاغيةٍ أخرى، مثل: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحقيقة والمجاز.

إن الأفكار البلاغية والنقدية نبتت في البيئة العربية مبكرا، لأن العرب أمة بلاغة وفصاحة، فمن الطبيعي أن تقوم حول هذه البلاغة اللسانية بلاغة علمية تعمل مع النقد على التوصيف والرصد والتحليل والاستحسان والاستهجان ،وكانت البداية ملاحظات على الشعر في مجالس الشعراء والنقاد اللغويين

---

[1]– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 146.

[2]– انظر المختصر في تاريخ البلاغة، ص: 125. وما يليها

والخلفاء، وهذا الملاحظات تبلورت في إشارات وأفكار نقدية مصورة، وظلت تتجرد وتتبلور شيئا فشيئا حتى كونت أساسا صالحا لقيام علم جديد، بدأ بالنقد ثم ولدت بعده البلاغة، وحسبك أن تعرف أن الأساس الذي يضبط حركة البلاغة العربية وهو:" لكل مقام مقال"، هذا الأساس له أصل في طبع العربي منذ القدم، وقد ورد مضمونه في العصر الجاهلي في قول أبي دؤاد الإيادي:

يَرُمُـونَ بالخطبِ الطوال و تـارةً وحي الملاحــظ خيـفة الرقـباءِ

والجاحظ يُعقِّب على هذا البيت قائلا: " فمدح كما ترى الإطالة في موضعها والحذف في موضعه". والتعريف المشهور "البلاغة الايجاز" ورد في خطبة خطب العرب في العصر الجاهلي لأكثم بن صيفي الذي يقول فيها :" يكفيك من الزاد ما بلغك المحل، حسبك من شر سماعه، الصمت حكمة وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفر، ومن تراخى تألف" [1].لقد نقد الجاحظ عبد القاهر الجرجاني في الفكر البلاغي باستخدامه غرض بلاغي وهو المدح ويذكر فيه المحاسن وتطرق لقضية النظم و ما أحيل إليها حيث : "التقط عبد القاهر الجرجاني أفكار المتقدمين ليوظف كلا في إطار قضية النظم التي رد الإعجاز إليها، وكان الإعجاز هو المحرك الأول إلى تأليف (دلائل الإعجاز)، وقد إتخذ ماتوفر له من وسائل بلاغية ونقدية لخدمة تلك الفكرة، لكنه في الوقت ذاته نمّى هذه الوسائل البلاغية والنقدية كما لو كانت هي الغاية، فمثلا عند حديثه عن مزايا النظم يرى أن (ليست) في مجرد العلم بمفردات اللغة ومعاني الأدوات كمعنى (الواو) و(الفاء) و (ثم) و(إن) و (إذا)، ولكن إنما تجب المزية في حسن تخير هذه الكلمات والأدوات، وإن تعرف لكل من ذلك موضعه" [2].

دلائل الإعجاز تكمن في مزايا النظم فحين يمكننا القول:إن الجرجاني أعطى لمسالة النظم قيمة فالنظم عنده ليس في مجرد المعرفة بعناصر تشكيله، ولكن في تخير تلك العناصر بما يناسب المقام والغرض، وهذا هو لب البلاغة الاصطلاحية، ولا يبعد أن يكون التعريف الاصطلاحي لبلاغة الكلام عند المتأخرين مستمدا من هذا المعنى، يقول الخطيب: "وأما بلاغة الكلام ، فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[3].

---

[1]– محمد ابراهيم شادي: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 2013، ص: 44،ص:45 .

[2]–محمد ابراهيم شادي: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص: 45.

[3]–المرجع نفسه ، ص: 45.

وضح من خلال قوله أن الاستعارة و الكناية والتشبيه أي الصور البيانية تدخل حيز النظم و مقتضياته لإيراد القيمة الحقيقية لتلك العناصر لإثبات المعنى و الإثبات عنده من أساسيات النظم وكان تمسكه بمفهوم خاص للفصاحة والبلاغة بحيث ركز على المفاهيم التي تكون لها أغراض متعلقة بالنواحي المعنوية لا اللفظية أي تكون اللغة سليمة .

10- السـكاكـي (ت 626 ه) وعلم البلاغة: حال البلاغة عند السكاكي:

هو الآخر اهتم بهذا العلم فقيل عنه : " لقد أودع السكاكي أن البلاغة علمين أساسين هما: علم المعاني وعلم البيان،واستهل الحديث عنهما بمقدمة ضمنها حدي العلمين، أما علم المعاني فقال إنه:(تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الإستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)، وأما علم البيان فحده بقوله:(معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه بالنقصان ليحترز بالوقوق على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه). ثم يقول :(لما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره)، فعلم المعاني ينزل من علم البيان منزلة المفرد من المركب، والمفرد مقدم على المركب، لذلك بدأ بعلم المعاني، ونراه يبدأ بتوزيع مباحث المعاني على الخبر والطلب، ويعرض لمن عرفوا الخبر بأنه ما يحتمل الصدق والكذب، ويقول: إن ذلك شيء واضح معروف، فهما يجريان فيه، ولا يجريان في الطلب وهو الاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء "[1]

أدرج السكاكي موضوعات نحوية في علم المعاني يشير أن العلاقة المشتركة بينهما (النحو والبلاغة) يدرسان موضوعا مشترك .

وحاصل القول في هذا أنه ربط بين الهدف من الأساليب البيانية بالهدف من المنطق فالمنطق يثبت الأمر لحال الصورة البيانية التي تشير إلى إثبات أمر ما كما قام بتجريد الأساليب البيانية من الذوق الجمالي ونلخص ذلك في رأيهم : "وإذا كان السكاكي قد أغرق البلاغة بالفلسفة والمنطق فإن جهوده لم تذهب سدى، فقد أفلح في أمرين:

- يعد مفتاح العلوم ملخصا دقيقا لكل ما نثره البلاغيون الذين سبقوه.

- صاغ السكاكي آراء السابقين، والآراء التي توصل إليها بنفسه صياغة محكمة، مستعينا بقدرته المنطقية على التعليل والتعريف والتقسيم والتفريغ. " [2]

---

[1]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 289..

[2]–عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص: 51.

11- ابن الاثيرضياء الدين(ت 637 ه) :

ابن الأثير من الأدباء و الكتاب و الفنانين العرب الذين اهتموا بالبلاغة ألف كتب عدة من بينها جامع الكبير و المثل السائر فبدوره أعطى للبلاغة أحسن صورة في الذوق الأدبي كما أنه إستفاد كثيرامن أراء من سبقوه في الدرس البلاغي فلم يقسم البلاغة إلى علوم ثلاثة كما قسمها الجاحظ بل وجد الكلام ذات وجهين هما اللفظ والمعنى و على هذا الأساس صنف البلاغة إلى صنفين " قسم يعرف بالصناعة اللفظية، وآخر بالصناعة المعنوية" [1].

أبدع ابن الأثير في التصنيف حيث كان له الحظ فقيل: "وهذا التقسيم حرى بالاحترام والتقدير، وعلى حد تعبيره فهو لم يقتف فيه أثرا لأحد، بل جاء هذا التقسيم جديد كل الجدة، وابن الأثير محقا في ذلك، لأن واقع البلاغة والنظر الصائب إليها يقران ذلك، فمن يتحقق من البديع سوف يراه محسنات لفظية وأخرى معنوية، وبذا لم يفرد له بابا، كما لم يرتض نهج سابقيه،فلم يلف لفهم، أو ينحونحوهم، بالإضافة إلى أنه ابتعد عن المنطق والمناطقة في كلامه عن البلاغة، ولذا عاب على النحاة الذين منطقوا نحوهم، وأرادوا أن يمنطقوا البلاغة، فقال مقولته الشهيرة في كتابه(المثل السائر): النحاة لافتيالهم في البلاغة، لأنه يفهم البلاغة حق فهمها، ويعجب بالصورة الأدبية الفنية فنسج على منوالها، ويصوغ العديد من أمثالها ويضمنها كتبه، حتى صار عاشقا للبلاغة، فأنزلها مكانا عليا، وقال عنها أيضا: إن للبلاغة سجودا كسجود الكتاب" [2].تمسك ابن أثير بعلم البلاغة وتعلقه بها مما زادت كتاباته والتفنن في هذا العلم.

وفيما يخص كتابه الجامع الكبير خص فيه : "وقد جمع في دراسة الصناعة اللفظية أنواعا سبعة في كتابه (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) منها السجع، والازدواج، والتجنيس والترصيع، والموازنة، وما إلى ذلك. بينما نراه جعلها في (المثل السائر) ثمانية أنواع، والنوع الثامن هو (المنافرة بين الألفاظ في السبك)، هذا بالأضافة إلى أنه في كتابه (المثل السائر) أوضح دراسة اللفظة المفردة، واللفظة المركبة التي قصدها بالصناعة اللفظية، أو صناعة تأليف الألفاظ"[3].

هذا ما قيل عن الصناعة اللفظية أما فيما يخص الصناعة المعنوية فأريد بها أنواع كثيرة يعرف عنها أما النوع الثاني "بينما عد الصناعة المعنوية تسعة وعشرون نوعا في الجامع الكبير، جعلها ثلاثين نوعا في

---

[1]–عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياء الدين ابن الاثير، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986، ص: 6.

[2]– عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياء الدين ابن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986، ص: 7.

[3]– أنظر :المرجع نفسه، ص: 8.

كتابه (المثل السائر)، ولكن ليس ثمة فرق كبير لأن الأبواب هي نفسها باستثناء بعض أوجه الخلاف في التسمية. ومن ذلك تسمية الالتفات في المثل السائر ، بشجاع العربية في كتابه الآخر الجامع الكبير، وزاد فيه ما أسماه بالتعقيب المصدري، وكالتجريد الذي لم نره بين الأنواع التسعة والعشرون التي جاءت بالجامع الكبير "[1].

مما لفت انتباهنا أن الكتابين جمع العديد من موازين الصناعة المعنوية و اللفظية و الكشف عن حقائق العلم وتصنيف الأعمال بطريقة موحية حتى لا يجد الباحث صعوبة في معرفة الأقسام.

جـــــهود الـــــــــتأريخ

لقد ألقى شوقي ضيف محاضرات في كلية الأداب في تاريخ البلاغة و تطورها حيث ترتبت و اتضحت معالم تطور البلاغة على عقبات من الزمن بداية في الجاهلية قائلا " بّــلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه مثل قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾سورة الرحمن . قال تعالى:﴿وَإِنيَقُولُواْتَسۡمَعۡلِقَوۡلِهِمۡ..﴾ المنافقون الآية 4. قال تعالى:﴿وَمِنَٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِٱلدُّنۡيَا..﴾ سورة البقرة الآية 204. كما صوّر شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ..﴾ سورة الأحزاب الآية 19.قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ٥٨﴾ سورة الزخرف الآية 58. ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أنْ كانت معجزة الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أنْ دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة. وهي دعوة تدل في وضوح على ما أُوتوه من اللّسان والفصاحة والقدرة على حَوْك الكلام، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبيُّن ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير. ويُروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول الألدَّاء استمع إليه وهو يتلو بعض آيات القرآن، فقال: (والله لقد سمعت من محمد كلاما، ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمُثمر، و إن أسفله لمُغدق). وفي كلام الوليد ما يظهرنا على أنهم كانوا يُعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية " [2]

إن فصاحة القرآن تكمن في إعجازه ومما هو جدير أن الفصاحة منطقهم أعطت ألقابا للشعراء فقال :" ولقد لقَّبوا شعراءهم ألقابا تدل على مدى إحسانهم في رأيهم مثل المهلهل والمرقّش و المثّقب والمنّخل

---

[1]–المرجع نفسه، ص: 8.

[2]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ،دار المعارف القاهرة ط9 (د ت)ص: 9.

والمتنخّل والأفوه والنابغة، وكأنما كان هناك ذوق عام دفع الشعراء ومَن وراءهم من الخطباء إلى تحبير كلامهم وتجويده" [1].

لقد كان الشعراء حينئذ – العصر الجاهلي- "كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون أحيانا ملاحظات لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية، ومن يتصفح أشعارهم يجدها تزخر بالتشبيهات والاستعارات، وتتناثر فيها من حين إلى حين ألوان من المقابلات والجناسات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يُعْنَونَ عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغة" [2].

الملاحظ أن شوقي ضيف طبع عليه الجانب التاريخي حيث حاول بوعي الربط بين الجانب البلاغي و الجانب الأدبي كما ورد في العصر الجاهلي عدة مدارس كما يقال: "وقد عُرفت مدارس في العصر الجاهلي واشتهر أمرها بين العرب، منها مدرسة زهير بن أبي سلمى وبنيه، كما روت كتب النقد بعض الملاحظات التي كان يبديها الشعراء على ما يسمعون من الشعر في محافلهم ومناظراتهم وفيما كانوا يتناشدونه في الأسواق من أنواع القصائد" [3].

تعددت المدارس مما شكلت عدة قصائد تنوعت أغراضها من مدح و غزل و هجاء و حماسة إذ إن هذه الأغراض لم تكن منشأ في بناء البلاغة العربية بل اعتمد النقاد و البلاغيون على عدة مسالك لإنتاج قيم للبلاغة في حين كان الشعراء يناشدون في الأسواق أشعارهم فمنهم من يردد شعره فيصبح أرقى ومنهم لا يرددونه وأخذت هذه الملاحظات تكثر مع رقي الحياة العربية قائلا: "ولكن هذه الملاحظات مهما يكن أمرها لا تنهض أن تكون علما ولا هي في واقع الأمر مقدمات لنشأة البلاغة العربية، وإنما هي ملاحظات تعتمد على إحساس العربي بلغته وبطاقاته في التعبير والبيان" [4]. كان للنقاد دور كبير في نقد الشعر الذي يروى في محافلهم.

وما نرى في العصر الإسلامي أي ما ظهر في هذا العصر يحقق "وإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي رأينا إيمان للعربي بالقرآن الكريم واعتناقه الإسلام كان حكما نقديا أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية، ورأينا الرسول الكريم - صلى الله عيه وسلم- يعني عناية عظيمة بأحاديثه وخطبه ، وكان يستمع إلى الشعر

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 10.

[2]–المرجع نفسه، ص:13.

[3]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969، ص: 59.

[4]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969 ، ص: 60.

ويقول : (إن من البيان لسحرا)، وكان الصحابة و الخلفاء الراشدون يستمعون إلى الشعر ويبدون رأيهم فيه" [1].

حيث حرر الإسلام العرب من القيود وبنى مجتمعا موحدا على العقيدة الدينية مما كان للنثر حظ أوفر من الشعر، فالقرآن الكريم أعطى للعرب حياة جديدة مبنية على أصول وهذا ما أورده شوقي ضيف في كتابه البلاغة العربية تطور وتاريخ فقال: "فمنذ نزل القرآن أنشأ العرب يحسون أن بيانهم قد تغير، وأن إحساسهم بلغتهم ينبغي أن ينهض على أسس أخرى غير تلك الأسس التي يقدرونها ، ويحرصون على سلامتها. فقد أحسوا أن هذا الكتاب – القرآن الكريم- أعطى اللغة طاقات أخرى فمكنها من التعبير عن الفكر الدقيق، وقد كانت تعبر عن المعاني التي انفعل بها وجدان العربي" [2].

و القرآن الكريم ساعد على دعم الحياة الإنسانية لأنه يخاطب العقل و يرسم أبعاد العقيدة الجديدة و يؤكد التجربة الدينية وهذا ما روي عن بعض الأانبياء وهذاما عرف في كتاب شوقي ضيف قال: "وربما كان ما يدل على شيوع دقة الحس حينئذ ما يُروى عن أبي بكر – رضي الله عنه- من أنه عرض لرجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فأجابه الرجل: لا ، عافاك الله، وتأذى أبو بكر مما يُهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يُظن أن النفي مسلَّط على الدعاء، فقال له: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل : لا، وعافاك الله. ويضرب الرواة مثلا لبلاغة عمر أنه كان يستطيع أن يُخرج الضاد من أي شِدْقيه شاء، وكان علي لا يباري فصاحة وبلاغة"[3].

يرى "أحمد خليل" في كتابه -البلاغة العربية أصلها و أصولها- أن الفتوحات الإسلامية كان لها دور فعال لتقدم الأمم فحث : "بالإضافة إلى أن الفتوح الإسلامية وصلت العرب بحضارات الأمم المفتوحة، وفتحت أعينهم على مواريث في الفكر والعلم لم يكونوا يعرفون منها شيئا، ودخل في الإسلام من هذه الأمم الكثير، وكل قد ورث –فيما ورث- آثارا من هذه الثقافات. كل أولئك كانت له آثاره في توزع العرب فيدراساتهم ، ذلك لأن أبعاد الثقافة العربية حينئذ قد اتسعت، فلم يكن في الإمكان الإحاطة بها أو ادعاء العلم بها جميعا " [4].

نستنتج أن هذه الفترة كانت حافلة بالكشوفات و تنوعت دائر النثر و الشعر فحين الحياة عقبات من الزمن بدأنا بالعصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلام ونضم إلى ذلك حقبة العصر الأموي هو الآخر ظهر

---

[1]–أحمد مطلوب، كامل حسن بصير: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية العراق، ط 2، 1999، ص: 13.

[2]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، ص: 60.

[3]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 14.

[4]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، ص: 62.

فيه فن جديد و المعروف بفن الخطابة حيث ضم شوقي ضيف هذا الفن فنيرنا قال: "وإذا تحولنا إلى عصر بني أمية وجدنا الخطابة بجميع ألوانها من سياسية وحقلية ووعظية تزدهر ازدهارا عظيما، وفي كل لون من هذه الألوان يشتهر غير خطيب، أما في السياسة فيشتهر من ولاة بني أمية زياد والحجاج، وفي زياد يقول الشعبي: ماسمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثر كان أجود كلام، وفي الحجاج يقول مالك ابن دينار: ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق، وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج" [1].

عبر مرور العصور تطورت الدراسات اللغوية و التشريعية و ازدهرت مما حسن الأعراب سلاسة التراكيب و هذا ما أدرجه أحمد خليل قال: "وفي هذه الفترة نشطت الدراسات اللغوية والتشريعية نشاطا ملحوظا، فكان أن بدأ التفكير في استقراء قواعد اللغة، حتى ييسر أمر تعلمها على الأمم المفتوحة،ولقد كانت أولى لبنة وضعت في سبيل ظهور الدرس البلاغي: نشأة النحو، ذلك لأنه يمثل مجموع القواعد التي تحدد السلوك اللغوي في بناء الأسلوب وهندسة العبارات، وبها يستطيع الدارس أن يمارس نشاطه النقدي القائم على التفكير والتفسير والملاحظة النافذة إلى أعماق النص والكشف عن طاقاته المتعددة "[2].

حدث تطور كبير في الدراسات اللغوية خاصة في العصر الأموي مما زاد نشاط الحركة و تطورها وجدير بالقول وراء هذه الفترة ظهر عصر جديد والمعروف بالعصر الذهبي قال عصر ورد فيه إختلاط حدث نشاطا ولكن لم تعرف جذورها ومن أين انبثقت و ماتبين في كتاب البلاغة العربية أصلها و أصولها .

ويذهب السيد أحمد الخليل في كتابه البلاغة أصلها و أصولها إلى القول: "وما كاد القرن الأول من الهجرة يوشك أن ينتهي حتى عصفت بالدولة الإسلامية عواصف الفتنة والإختلاف التي أطاحت بالحكم الأموي فجاء على أثرهم العباسيون. والواقع أن هذا العصر – العصر العباسي- كان بداية التغير الإجتماعي الذي أصاب حياة المجتمع العربي ، ففيه نشطت دراسات جديدة لم يكن العرب على علم بأصولها، كما ان في هذا العصر أنشأت العناصر الداخلة في الإسلام من الفرس وسواهم تشعر بكثير من الطمأنينة المؤدية إلى تعدد وجوه نشاطهم في الفن والعلم" [3].

مما نتج عن الخلافة العباسية تذوق المجتمع الأدب و تقديم الحكم له مما أدى إلى تنوع وظائفهم.

---

[1]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 14.

[2]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، ص: 63.

[3]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها ، ص: 63 ص: 64 .

يسند إلى ما قيل:"و نستطيع أن ننظر في النثر فتراه يتطور تطورا رائعا، إذ نشأ فيه النثر العلمي الخالص، واستوعب آثارا أجنبية كثيرة نقلت إليه، منها الأدبي، ومنها السياسي، ومنها الفلسفي، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد "ابن المقفع "، فقد ترجم عن الفارسية كتبا تاريخية مختلفة وأخرى أدبية وسياسية، كما ترجم كليلة ودمنة، وأجزاء من منطق أرسطاليس، واتسعت الترجمة بعده، وأسست لها دار الحكمة، وأكب المترجمون من السريان وغيرهم ينقلون التراث اليوناني والفارسي و الهندي"[1].

ونخلص إلى أن الفكر العربي تطور تطورا مذهلا بسبب إمتزاجه بالثقافات الأجنبية وأخذت لغته من التراث الحضاري في القديم مما اتسع معلم البلاغة وأصبحت تمتاز بأسلوب ناصع في اختيار الألفاظ و المعاني الجديدة دون تعقيد ولا اعوجاج .

اختلف الأزمنة وولدت أجيال مما سخر في توسيع العلم وتطور نتحدث عن مؤلف كتاب الحيوان المعروف بالجاحظ فقيل: "وما كاد القرن الثالث يأخذ في المضي حتى ظهر معتزلي كبير- الجاحظ- في حياة النقد العربي ، وقد تأثر بإتجاهات مذهب الاعتزال في الاعتقاد والثقافة، ومن هنا تعددت ثقافة الرجل واتسعت أبعادها، فكتب في الحيوان، وفي البيان وأصوله، وضروبه المتعددة. ومن هنا كانت كتابات الجاحظ تمثل هذا العصر أصدق تمثيل، تمثله في الاحتكاك اللغوي الذي أفادت به العربية"[2].

علم البلاغة علم ضخم لا يمكننا تحديده في دراساته فكل مفكر له دراساته الخاصة فهو علم قرون حيث في مطلع القرن الرابع ظهرت الاصطلاحات البلاغية واضحة محددة تعبر عن منهج واضح وتصور دقيق، ولعل أبرز من كتب في هذا المجال ما ذكرناهم سابقا، ابن قتيبة ، المبرد، ابن المعتز، أبو الهلال العسكري، ابن رشيق القيرواني، عبد القاهر الجرجاني، السكاكي، وابن الأثير ضياء الدين وغيرهم.

وإذا نظرنا الى كتابات"محمد العمري" في تاريخ البلاغة العربية ونشأتها وتطورها، نجده افتتح بها كتابه"البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها"، تحت عنوان "التأريخ قراءة"، وذكر في طياته منابت البلاغة وتربتها.

وجسد أصول البلاغة العربية في الخطاطة التالية [3] :

---

[1]–شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص: 19.

[2]–السيد أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، ص: 72.

[3]–محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها، افريقيا الشرق، 1999، ص: 19.

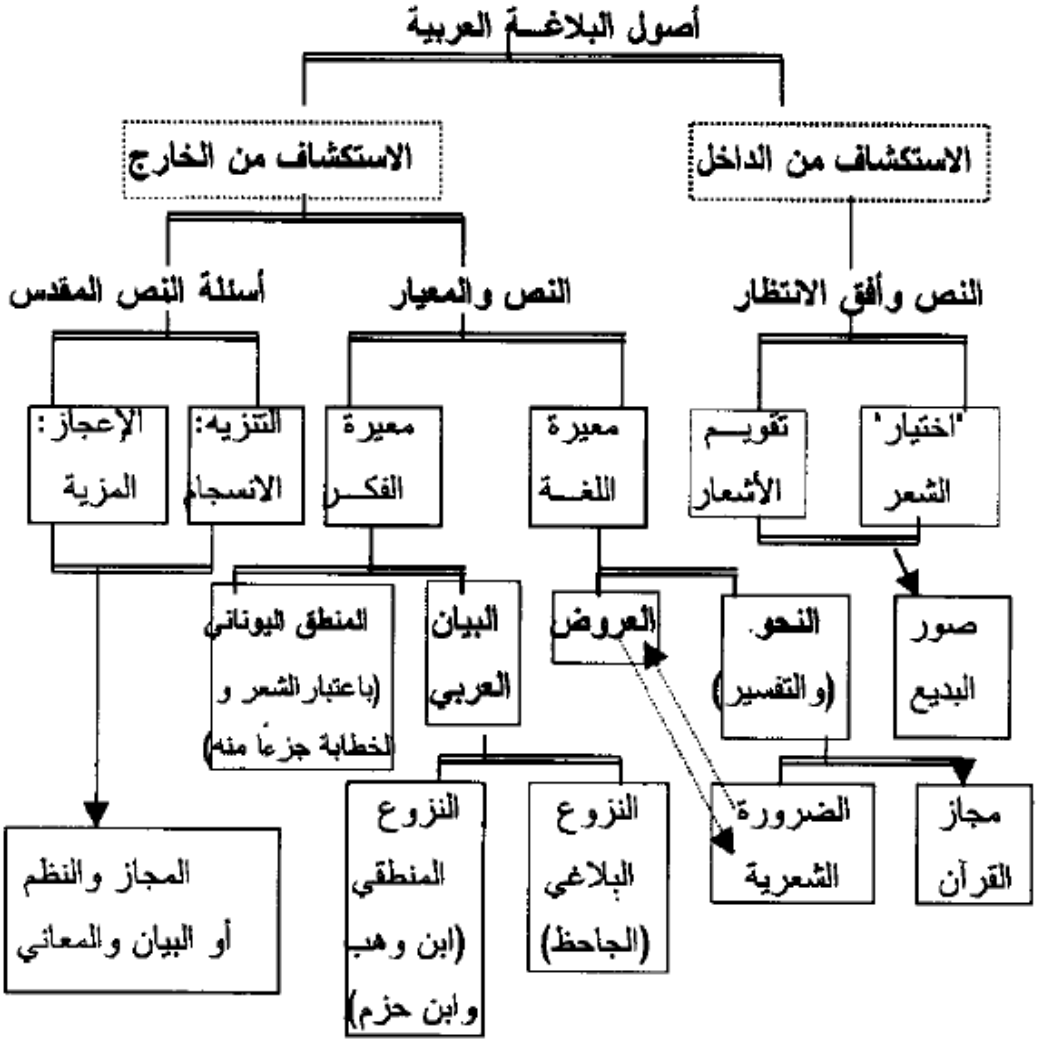

ذكر محمد العمري في كتابه أن هناك عوامل متعددة ساهمت في نشأة البلاغة العربية وتطورها، يمكن تقسيمها إلى عوامل أولية وعوامل مساعدة أو طارئة.

☜ العوامل الأولية: هي التي أدت الملاحظة الخصوصيةالأدبية، سواء كان ذلك من الداخل ، أي من طريق معاناة موضوع البلاغة (النص الأدبي)، أو من الخارج عن طريق معاناة أسئلة أخرى لغوية أو دينية أو معرفية عامة.

☜ العوامل المساعدة: هي العوامل التي ساهمت في تعميق البحث في الموضوع أو تطويره، وهي تتعلق أساسا بالمثقافة، وتطور البحث والتأليف في المجالات الفكرية المختلفة.

قضايا التنظير:

إنّ علم البلاغة شهد أربع مراحل أثناء مسيرة تشكيله، إذ كانت مرحلة النشأة التي احتضنت بذور البلاغة في منابتها الأصيلة فمرحلة النّمو التي شهدت الدّراسات البلاغية المنهجية، ثمّ مرحلة النّضج الّتي

تبلورت فيها علوم البلاغة الثلاثة، وأخيرا مرحلة الاكتمال الّتي اعتنت بتحديد المصطلحات، وصياغة القواعد النهائية لهذا العلم الجليل.

وعليه يمكن إستدراك ما قيل عن جهود العلماء "فقد بذل بلاغيون محدثون كبار جهدا فلسفيا ومخبريا، إن صح التعبير، في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة" [1]. "وتابعت حركة البلاغة ثورتها و حين اتصلت بأمم الدنيا في شرق وغرب وبخاصة الأمم ألأوربية، وكان من ثم هذه الاتجاهات والمناهج التي تحاول تجديد الدرس البلاغي" [2].

أما في الثقافة الغربية فإن الكلمة المقابلة لكلمة "بلاغة" العربية، حاليا، أي ريطوريك (rhéoique، rhetoric)، تتردد بين ثلاثة مفاهيم كبرى[3] :

☜ المفهوم الأرسطي: الذي يخصصها لمجال الإقناع وألياته، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة والمشاجرة والمفاضلة)، وهي بهذا المفهوم تقابل بويتيك (poétique) التي تُعنَى بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا.

☜ المفهوم الأدبي: الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب، هذا المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش رسم بارت خطوطه العامة في محاضراته المشهورة عن تاريخ البلاغة القديمة.

☜ المفهوم النسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا، أي يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع.

الملاحظ في كتاب "محمد سالم محمد الأمين الطلبة " كشف أن هناك عوامل ساعدت على تطور البلاغة:"كما أن هناك عوامل متعددة ساعدت على تطور البلاغة العربية ونشأة التأليف فيها ، لعل من أهمها البحوث التي اتصلت بالقرآن الكريم لغة إعجازا، تركيبا وبناء. كما كانت دراسات النص الشعري ذات أثر بالغ في تطوير الدرس البلاغي العربي في فترة مبكرة، وخاصة من خلال ما أثارَه هذا النص من خصومة نقدية بين أنصار القديم وأنصار الجديد" [4].

---

[1]–محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2 ، 2012، ص: 21.

[2]–مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999، ص: 9.

[3]–محمد العمري: المرجع السابق، ص: 12.

[4]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2008، ص: 209.

"ولا ننسى أيضا الجهود التي انبثقت عن محاولات تقعيد اللغة منذ القرن الثاني للهجرة، إذ بدأنا نسمع مفاهيم: كالموازنة، والعامل والتأويل و التحليل والاستنباط والاستنتاج والإسناد...إلخ، وهذا ما جعل الكثيرين من الدارسين يتحدثون عن مثلث النحو والمنطق والبلاغة" [1].

إن النظر في مختلف المجهودات التي قام بها أصحابها بشأن البحث عن أساسيات البلاغة الحقة أن فكرة تصنيف الكتب نذكر منها كتب التراث التي حافظت على تعريف البلاغة من أمثال الجاحظ الذي روى تعريفات القدامى من شعراء و كتاب عندما سئلوا عن مفهوم البلاغة، كما جاء في تفسير ابن المقفع (ت 143 ه) أن البلاغة: " اسم جامع لمعاني تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج،ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداءا، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخُطباً، ومنها ما يكون رسائل.فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة"[2].

في كتاب علوم البلاغة لمحمد أحمد قاسم محي الدين ديب قال : "لقد أحسن الجاحظ عندما ذكر تفسير ابن المقفع مستبعدا مصطلحي: الحد والتعريف، لأن ابن المقفع اكتفى بتقديم صفات البلاغة المتمثلة في الإيجاز ومراعاة المقام. ولكن من حقنا أن نتساءل عن علاقة السكوت والإستماع بالبلاغة. فبأي معيار نقيس بلاغة الصمت؟ وإذا كان الصمت أبلغ من الكلام في بعض المواقف المؤثرة حزنا أو فرحا، فهل يصِحّ أن يسمّى العجز عن الإبلاغ عما يعتمل في النفس بلاغة؟ وهل يجوز أن يستوي في عين البلاغة الأبكم والفصيح؟" [3] .

روى الجاحظ صاحب كتاب البيان والتبيين أن " صديقا له سأل العتابي (ت 220 ه) قائلا: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حبسة، ولا إستعانة فهو بليغ. وقد شرح الجاحظ كلام العتابي قائلا: العتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولَّدين والبلديين قصده ومعناه، بالكلام الملحون والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه، أنه

---

[1]– المرجع نفسه ، ص: 210.

[2]–محمد أحمد قاسم، محي الدين الديب: علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس– لبنان، ط1، 2003، ص: 9.

[3]–محمد أحمد قاسم، محي الدين الديب: علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس– لبنان، ط1، 2003، ص: 9.ص:10.

محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا عنه، وكأن الجاحظ يقيد الافهام بالكلام الجاري على أنماط الفصحاء العرب " [1].

وحدد الرّماني (ت 286 ه) البلاغة قائلا: البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فالبلاغة تعني توصيل المعنى وتمكينه في قلوب المتلقين من طريق إلباسه الصورة الجميلة من اللفظ الذي يفتن الألباب . وهكذا نرى أن المصطلح تطور في هذا التعريف ليكتسب خصوصية لم يكتسبها سابقا، فلم تعد البلاغة بأوصافها، بل أخذت تحديدا واضحا ودقيقا بقي متداولا في كتب اللاحقين، يضيفون عليه ولكنهم حافظوا على كنهه وفحواه".

لقد حاول أبو هلال العسكري(ت 395 ه) كما ذكر في كتاب محمد العمري المعنون ب الموازنات الصوتية "أن يجمع في نظرية واحدة متكاملة صالحة للمنظوم والمنثور جهود الاتجاهين : البديع والبيان، متخليا عن المواد التي لا تناسب موضوعه، وعن المنهج الذي يضيق عن المنظوم والمنثور مجتمعين. وبإدماج الجوانب البلاغية من نظرية الجاحظ، مع الصور البديعية عند ابن المعتز، وغيره من المشتغلين بالبديع ونقد الشعر، تكوَّن لديه ما اصطلحنا على تسميته بـلاغة عامة، وهواسم عام يضم الفصاحة والبديع ويتجاوزهما، إذا فهمنا من العسكري، أن الفصاحة تنظر إلى اللفظ، وإلى جانب سلامة الآلة بشكل خاص، أن البديع ينظر إلى الصور البديعية، أو البلاغية التي تميز الخطاب الأدبي، وأن البلاغة تتحدث عن ذلك وتتجازوه إلى المقام وما يناسبه من مقال، وتتحدث عن الأخذ وتنظيم أجزاء القول في الفصل و الوصل" [2]

.

ويمكن ان نصور تصور أبو هلال العسكري عن البلاغة بالخطاطة التالية: [3]

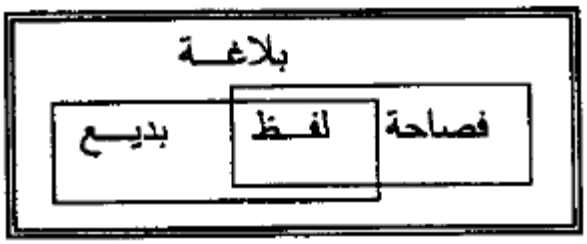

ولعبد القاهر الجرجاني (ت 415 ه) مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، حيث عقد في كتابه دلائل الإعجاز فصلا بعنوان : في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك.

---

[1]– أنظرالمرجع نفسه ،ص:9.

[2]–محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، إفريقيا الشرق، 2001، ص: 89.

[3]–المرجع نفسه، ص: 90.

"فقد قرر عبد القاهر في نفسه منذ البداية أن القرآن معجز، وحاول أن يستكشف فيه مواطن الإعجاز، هل هو في الألفاظ؟ فرد هذا القول رداً حاسماً لأن الألفاظ المفردة موجودة في الاستعمال قبل نزول القران، ولا يجوز أن يكون الإعجاز في ترتيب الحركات والسكنات، ولا يتحقق العجاز بالفواصل (الحرف الأخير أو الكلمة الاخيرة من الآية) لأن الفواصل في الآية كالقوافي في الشعر، وذلك أمر كان العرب قد أتقنوه فلم يعد معجزا لهم . فإذا بطل أن يكون الإعجاز متأتيا من هذه الأمور، فهل الإعجاز آتٍ من الاستعارة؟ ذلك أيضا ممتنع، وإذا كانت كل هذه الأمور مجتمعة أو منفردة لا تحقق الإعجاز، فلم يبق إلا أن يكون الإعجاز في النظم والتأليف" [1]. نستنتج أن لعبد القاهر الجرجاني أهداف لنظرية النظم فالقرآن هو المعجز أتاه الله محمد عليه السلام ومن شروط المعجزة أن تكون خارقة للعادة فمن الواجب أن يكون لعلم البلاغة و البيان أمرا يتسع للمعجزات و يقبل أن يتصل به الإعجاز.

ونجده أعطى لنظرية النظم شأنا عظيما،حيث إنه قيل "جعلها المحور الأساس الذي تدور حوله فنون البلاغة حيث بلغت عنده من الترابط والشمول ما يجعلها تتسع لهذه الفنون" [2] فجعل الإمام قضية النظم العمود الفقري الذي تبني عليه البلاغة.

والملاحظ في هذه القراءة أنها كانت واعية بقضية النظم مما ينبغي أن تتلخص طريقة عبد القاهر في تناوله قضية النظم فيما يلي :

"أولا: لا تفاضل بين كلمة وأخرى في الدلالة على المعنى قبل دخولها في نظم الكلام بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية – كالظش للموضع الخشن- أو أن تكون هذه حروف أخف، وإمتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد، لأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة – أي لا يكون بين الكلمتين المفردتين تفاضل في الدلالة على ما وضعت له الكلمتان، فلا تكون كلمة (رجل) أدل على معناها من كلمة (فرس) على معناها"[3].

وعلى هذا الأساس بنت النظرية أسسا و ضوابط أفاد العلماء في وضعهم فواصل حتى تكون فصاحة تامة للمفردة و الكلام.

"ثانيا: ترتيب الألفاظ على حسب ترتيب المعاني ،فالعلاقة تكافؤية حيث للفظ و المعنى علاقة ترابطية بالنظم و الدليل على ما جاء في كتاب دلائل الإعجاز حسب الترتيب الآتي:

---

[1]–عمر عبد الهادي عتيق:علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، ص: 43.

[2]–عبد العاطي غريب علام: دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1997، ص: 7.

[3] - عبد العاطي غريب علام: دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1997 ، ص:32

أ- تعليق الكلم بعضه بعضا بطريقة تؤدي الغرض المقصود

ب-أن يكون ترتيب الكلمات في النطق على حذو ترتيب معانيها في النفس فترتب المعاني في النفس يكون أولا ثم تاتي الألفاظ مرتبة في النطق على وفق ذلك الترتيب الذي كان في النفس

ج- أن يخضع ذلك الترتيب لضرب من التخير و التدبير و الروية ويتلخص هذا في الصنعة التي تنقل النظم من المستى العادي إلى المستوى الفني ليحقق الغرض على أفضل ما يكون.

د- و الخصوصيات الناتجة عن التخير و التدبر و التصرف في النظم هي المزايا و المحاسن و هي مرتبطة بمعاني النحو"[1]

عبد القاهر اول عالم أخرج النحو عن نطاق شكليتهفالألفاظ عنده رموز المعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز أو مجرد علامات للإشارة الى شئ ما وليست للدلالة على حقيقته و الإنسان يعرف مدلول اللفظ المفرد أولا ثم يعرف هذا اللفظ الذي يدل عليه ثانيا ويخرج عبد القاهر من هذا بثمرة تتلخص فيما يلي:

☜ "أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، كما أنه لا يتصور أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما.

☜ أن تتوخى الترتيب في المعاني، وأن تُعمل فكرك فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ ، وقفوت بها آثارها.

☜ إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك وجدت الألفاظ مرتبة على حذوها في نطقك، ولم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيبها،لأن الألفاظ خدم للمعاني، وتابعة لها ، ولاحقة بها.

☜ أن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[2] فالعالم عبد القاهر لا يقصد من النظم إلا تأليف الكلام وفقا لأبواب النحو المختلفة.

ثـالــثا:" لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها بعضا، ويبنى بعضها على بعض، أي بعد عمل الفكر في المعاني، اختيار الألفاظ الملائمة لها، والدالة عليها، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، تأتي المرحلة الثالثة: وهي أن تربط الألفاظ برباط النظم، وما هو إلا أن تعلق بعضها ببعض، وتبنى بعضها على بعض،

---

[1]– محمد ابراهيم شادي: شرح دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني دار اليقين للنشر و التوزيع مصر، ط1،ص:36

[2] -محمد ابراهيم شادي: شرح دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني دار اليقين للنشر و التوزيع مصر، ط1،ص:33،ص:34

ومعنى هذا:" أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون صفة للأول أو تأكيد له أو بدلا منه.

رابـــعا: أن المزية في النظم من حيث المعنى ومن حيث اللفظ باعتبار دلالته على المعنى، لأن المراد بالمعنى هو المعنى المصور الذي لا وجود له إلا بعملية الصياغة والنظم.

خامسا: أن ثمرة النظم هي تصوير المعنى، وتصوير المعنى هو الهدف الأساس من النظم، وأن هذا التصوير يتألف في أروع صوره إذا جاء عن طريق الصور البيانية الأخاذة كالكتابة والمجاز...وقد ضمن ذلك فصلا من دلائل الإعجاز جعله فصلا في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره".[1]

تبين من خلال ما ورد ان النظم عنده نظم المعاني لا نظم الألفاظ و هو بذلك يتلقى المتلقي بسماعه الألفاظ أولا ثم يلتحق في نفسه معانيها.

ويمكننا القول،إن القرآن الكريم كان الباعث على تصنيف هذا الكم الهائل من الكتب البلاغية المرتبطة بفهم وتفسير القرآن معنى ومبنى ولقد جعل أبو هلال العسكري تعلم البلاغة فرضا على من يريد التعرف على بلاغة القرآن وإعجازه.كما أن القران فتح بابا واسعا لنظم معاني تؤدي إلى كثرة المزايا و تكاثر الدلالات و إعجاز القرآن أصبح كيانا عنده .

ولقد شكل القرن السابع الهجري مرحلة حاسمة في تاريخ البلاغة العربية، إذ اكتملت فيه علوم البلاغة الثلاثة، واتضحت ملامح الدرس البلاغي العربي، وتجلت مسائله وتحددت مصطلحاته، ويعود الفضل في ذلك كله إلى السكاكي (ت626هـ)، الذي شكل كتابه "مفتاح العلوم" الصياغة النهائية لهذا العلم، وإن كان الكتاب في حقيقته يشمل ثلاثة أقسام رئيسية:

"- القسم الأول : تناول فيه علم الصرف، وما يتصل به من الاشتقاق بأنواعه.

- القسم الثاني : تعرض فيه لعلم النحو، وموضوعاته.

- القسم الثالث: فقد خصصه لعلمي المعاني والبيان، وألحق بهما نظرات في الفصاحة والبلاغة، ودراسة المحسنات البديعية بنوعيها. "[2]

يتضح في مؤلفات السكاكي و مدرسته البلاغية أنه اعتمد على منهج التقنيني المنطقي لتأليف بلاغي عند العرب.

---

[1]-محمد ابراهيم شادي: شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ،ص:34

[2]-أنظر: محمد بن علي السكاكي مفتاح العلوم بيروت ط1 ط2 ص :15

ويمكن القول أن التفكير البلاغي العربي بدأ طفلا في الجاهلية، وشب عن الطفولة مع الجاحظ، واستقلّ عن التفكير الديني مع ابن المعتز، ونمى ونضج مع عبد القاهر الجرجاني، وضبط في صيغة نهائية على يد السكاكي. فقد شكلت جهود هؤلاء الرواد لبنات أساسية في بناء هذا العلم واكتماله، واعتبرهم الدارسون رواد هذا العلم ومُنظِّروه الأوائل، نظير ما قدموه من خدمات جليلة كان لها الأثر البالغ في توجيه البحث البلاغي عبر مختلف مراحله وأطواره.

اتضح أن البلاغة العربية لقيت إهتماما كبيرا من مختلف الفئات ، وفي كتاب بحوث بلاغية لمحمد مطلوب قائلا :" إن البلاغة لقيت اهتماما كبيرا من بيئات وفرق علمية مختلفة، وكانت كل طائفة من تلك الفرق تحمل نظرة خاصة إلى البلاغة ، ولكنها لا تعزل فريقا عن فريق، وإنما تنتهي كلها إلى تذوق كتاب الله العزيز، وإتقان أساليب العرب وإن تعددت كتبها واختلفت مناهجها" [1].

كان للشعراء و اللغويين و علماء إعجاز القرآن دور كبير في بناء قواعد البلاغة و تثبيت مناهجها.

و تتضح مصادر البحث البلاغي في كتاب معجم المصطلحات البلاغية و تطورها "تلك مصادر البحث البلاغي . "وتبقى هناك مصادر أخرى لدراسة البلاغة ، وهي مختلفة تتمثل في كتب الأدب واللغة والنحو والنوادر والتعليقات والرسائل العامة. وفي كتب البلاغة الحديثة فائدة لا تنكر، ولكنها لا تغني عن الرجوع إلى المصادر الأصلية" [2].

نذكر من بينها أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني الايضاح في علوم البلاغة للكاتب جلال الدين الخطيب القزويني و غيرها من كتب البلاغة .

أما بالنسبة للمراجع قيل "أما مراجع البحث البلاغي فهي كثيرة تحتل بها مكتبات العالم، ولا يزال الباحثون يضيفون كل عام كتب وبحوثا جديدة. وتأتي أهمية المراجع من أنها تفتح أمام الباحث سبل الكشف عن المصادر وتفسر له ما استبهم، وتمزج له بعض ما تلقفه المعاصرون من الغرب بما قرأوه في كتب العرب، وفي ذلك فائدة لمن أراد التجديد "[3].

الملاحظ في ذلك كان تأليف الكتب البلاغية على يد الكُّتاب و لكن قليل حتى التماس بين القدماء و المحدثين في عملية البحث و التحقيق مما فتح المجال في التأليف في البلاغة و النقد.

---

[1]–أحمد مطلوب: بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، 1996، ص: 21.

[2]–المرجع نفسه.ص :21

[3]– أحمد مطلوب: بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، 1996 ، ص: 27.

يرى محمد سالم محمد الأمين الطلبة أن الاهتمام بالبلاغة أمر ضروري قائلا في كتابه الحجاج في البلاغة المعاصرة حيث أن :"البلاغة اليوم أصبحت تفرض نفسها في مختلف مجالات المعرفة الاجتماعية والسياسية والمهنية والقانونية والإعلامية بكل أنواعها، وكذلك الدينية والنفسية فضلا عن الأدبية والفنية، حتى إن بعض النقاد المعاصرين رأى وجوب أن نعرِّف الإنسان بأنه "حيوان بلاغي" [1].

كما يرى الأمين الطلبة بإسترجاع البلاغة مقوماتها و تعدد و ظائفها وحاول البلاغيون إسترجاع مكانة البلاغة بين مختلف العلوم حتى يتمكن من استخدامها و تطبيقها وهذا ما أورده محمد الأمين الطلبة في كتابه الحجاج في البلاغة العربية يشير فيه : "وهكذا بدأت البلاغة تعود شيئا فشيئا لتحتل المقام الأول ولتأخذ مكانها بين العلوم القديمة، وربما كانت البلاغة هي التي تستحق تسترد وصف العلمية. ونتيجة لهذه الأهمية يجب أن نسجل، أولا أن البلاغة صارت علما، وأننا نهدف من جهة ثانية إلى نظرية بلاغية، وأن البلاغة من جهة ثالثة ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع " [2]. فحين أكد هذا القول هنريش بليت في كتابه "البلاغة والأسلوبية".

وعليه يمكن القول مما سبق ذكره إنّه يمكن تقديم استنتاج مفاده تبويب علوم البلاغة إلى ثلاثة : المعاني والبيان والبديع، أما علم المعاني فهو ذلك العلم الذي يبحث في أسرار تركيب الجملة، والمعاني التي تفهم من تكوينها على نحو مخصوص، وأما علم البيان فموضوعه ذلك التصوير، الذي يهب الفكرة وضوحا وقوة، فيزيد تأثيرها في نفس المخاطب، أو القارئ بالإلتجاء إلى الخيال المصور، وأما علم البديع فيتناول تلك المحسنات المعنوية حينا، واللفظية حينا آخر، مما يزيد في جمال اللفظ وقوة تأثيره، ووضوح المعنى.

قضايا التطبيق:

أعطى المؤلف محمد بركات حمدي أبو علي في كتابه: فصول في البلاغة وهذه نماذج تطبيقية توضح ربط البلاغة باللغة و الأدب "سأل رجلا الجنيد (ت 297هـ) - رحمه الله- كيف حسن المكر من الله سبحانه، وقبح من غيره؟ فقال: لا أدري ما تقوله، ولكن أنشدني الطبراني:

فَدَيْتُكَ قد جُبِلْتُ عَلَى هَواكَـا فَنَفْسِي لاَ تُطالِبُني سواكَـــا

أحبُّكَ لا بِبَعْضي بلْ بكـــــلّي وإنْ لمْ يُبْقِ حبُّكَ لي حراكَـا

---

[1]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:7.

[2]–المرجع نفسه، ص:8.

ويقبح من سواك الفعل عنـــدي وتفعله فيحسن منك ذاكـــا

فقال له الرجل: أسألك عن آية من كتاب الله، وتجيبني بشعر الطبراني ! فقال: ويحك أجبتك إن كنت تعقل" [1]. هذه الأبيات قالها الطبراني ردّا على رجل سأله عن آية في كتاب الله إلّاأنّ الشاعر الطبراني قال له ويحك أجبتك إن كنت تعقلُ ، و هذا القول يقول عنه بعض الكبار البلاغةُ أداءُ المعنى بكماله إلى النّفس في أحسن صورة من اللفظ، و في الحقيقة هذه الأبيات كلُّها مقتبسةٌمن أبيات لأبي نواس المعروف بمجونه ، فقد قام الشاعرُ بمعارضته من باب الرد عليه بعكس المعنى المقصود و هو أنّ الذي يستحق الحب و التقدير هو الله سبحانه و تعالى و لكن بطريقة غير مباشرة ،فذكاء الرجل يكمن في توسيع الفهم الدقيق لمعاني الكلام أي حسن اختيار الجواب ،أما الدراسة البيانية لهذه الأبيات تكمن في الصورة المجسدة للمعاني الاستعارة المكنية في قوله : و إن لم يبق حبّك لي حراكا حيث شبه الحب بشيء ماديّ حسي للدلالة على قوة هذا الحب ، و في الأبيات أيضا مجاز مرسلٌ من خلال قوله: فنفسي لا تطالبُني سواكا ، فهو يقصدُ نفسه جسما و عقلا لكنه ذكر الجزء و يقصد الكل.

"هذه البلاغة المعنوية التي ارتبطت بالقيمة، والتي تبدت في سؤال وجواب، نمت عن شفافية في معنى البلاغة، ورهافة في ذوق المجيب، وهذا لا تحكمه المصطلحات البلاغية لوحدها،بل لابد من دربة ومرانة، وحفظ وذوق، حتى تتأتى للإنسان لمسات الجمال، ولمحات الجلال. ولذلك كانت البلاغة عند الجنيد- رحمة الله عليه – في صوت لسانه على أن يجري عليه ذكر كلمة " مكر" من الله. ولكن غلظة ذوق السائل، وعدم شفافية فهمه البلاغي، جعله يعيد السؤال للجنيد، ويجيب الجنيد من غير ذكر "مكر الله"."البلاغة رسالة اجتماعية انسانية تحاكي النفس و الضمير و المجتمع.

وسنعرض فيما يلي قضايا تطبيقية لتحليل بلاغة النص العربي من خلال نماذج من هدي القرآن الكريم، ومن الاحاديث النبوية الشريفة ، والشعر.

☜ من هدي القرآن الكريم

قال الله تعالى: "بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ٦

[1]–محمد بركات حمدي أبو علي: فصول في البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983، ص: 186.

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ١١﴾. الآيات من 1 الى 11 سورة لقمان.

"فقوله تعالى:﴿الٓمٓ﴾جملة برأسها، أو طائفة من حروفالمعجم مستقلة بنفسها، نبهت إلى أن الكلام المتحدى به، ثم جاء قوله عز وجل:(تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ) مقررا لهذه الجملة ومبينا لجهة التحدي، ففصل بينهما لكمال الاتصال. واسم الاشارة (تلك) مشار به الى آيات السورة الكريمة،وقد عبر به وهو موضوع للبعيد للدلالة على تعظيم الآيات الكريمة وبعد مكانتها، تنزيلا للبعد المعنوي منزلة البعد الحسي "[1]. الكشف عن الوظيفة الدلالية في تلاحق الجمل.

"وإضافة الآيات إلى الكتاب الحكيم في قوله تعالى :﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾يدل على التعظيم والتفخيم، لأن المضاف الى العظيم يعظم بالإضافة اليه، يقال عبد الله، وخادم الأمير،فتعظم هاتان الكلمتان: عبد وخادم، بإضافة الأولى إلى لفظ الجلالة، وإضافة الثانية إلى الأمير، وكانتا قبل الإضافة تخلوان من هذا المعنى، بل كانا فيهما معنى الذل والهوان والتحقير"[2] وهذا يتمثل في الأثر البلاغي للآيات و عظمة أسماء الله الحسنى.

"وفي قوله تعالى: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾جسدت هذه الآية الكريمة صورة بيانية تمثلت فيمجاز عقلي، لأن الحكمة في الحقيقة ليست وصفا للكتاب، وإنما هي وصف لقائله عز وجل، فالحكمة ليست وصفا للأسلوب، وإنما وصفا لصاحبه، والعدل ليس وصفا للرجل، بل وصفا لأقواله وأفعاله، فالأصل أن يقال: رجل ذو عدل، كما يقال: رجل ذو رأي....."[3].

وتذكير قوله تعالى:﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾للتعظيم، والدلالة على كمال الهداية والرحمة، وأما كونه هدى لهم والمحسنون مهتدون، فالمعنى أن فيه زيادة هدى لهم، واستدامة عليه، كما يقال للغني: أغناك الله،

---

[1]–بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص،مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1991، ص: 100.

[2]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص،مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1991 ،ص :100 ص :101

[3]– المرجع نفسه، ص: 101.

وللعزيز: أعزك الله، وللكريم: أكرمك الله، فالمراد طلب الزيادة والدوام لما هو ثابت في الغنى والعزيز والكريم....اي اسناد الفعل لغير فاعله

"وفصل قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾عما قبله للاستئناف البياني، حيث تضمنت الآيات السابقة سؤالا، ووقعت هذه الآية جوابا له، وكان سائلا سأل : من هم هؤلاء الذين جعل القرآن لهم رحمة وهدى؟ فجاء الجواب: هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة..... وقد حذف المسند إليه "هم" في صدر الاستئناف "[1].

كما وضح "والسر البلاغي وراء الحذف في الآية الكريمة أن يتصل الموصول وصلته قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾بالمحسنين في اللفظ، فهذا الاتصال اللفظي يبرز المحسنين ويصورهم ممتثلين قائمين بهذه الأعمال التي استحقوا بها الفلاح والفوز. وفي مجئ صلة الموصول أفعالا مضارعة (يقيمون...، يؤتون...، يوقنون...) دلالة على تجدد تلك الأعمال والأفعال من المحسنين، واستمرارهم على تحقيقها، وذلك لأن الفعل المضارع يدل على التجديد والاستمرار.."[2].ففي الآية الموصول قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ صفة كاشفة للمحسنين أو عطف بيان أو بدلا منه أن يجعله منصوبا بفعل محذوف على القطع و الأولى أن يكون خبرا لمبتدأالمحذوف.

وقد قدم المسند إليه في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾على خبره الفعلي، كما قدم الجار والمجرور ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾وأعيد الضمير (هُم) للتأكيد وتقوية الحكم، لأن الإيقان بالآخرة من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى توكيد وتحقيق، وأما الصلاة والزكاة ..، وفي قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ﴾مجاز، إما مجاز مرسل ،أو استعارة تبعية.تقديم الجار و المجرور﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ و هنا أفاد الاختصاص أما ﴿ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾أفادت المبالغة في التوكيد و تقوية الحكم.

وقوله تعالى :﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ، عبر باسم الإشارة للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾للدلالة على التعظيم وعلو المكانة، حيث نزل البعد المعنوي منزلة البعد الحسي.

"وفضلا عن ما يفيد اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾من الدلالة على التعظيم وعلو المكانة، فإنه يدل على أن المشار إليهم جديرون من أجل صفاتهم المتقدمة بإكتساب الجزاء الوارد قبل اسم الإشارة، حيث صاروا أهلا

---

[1]–المرجع نفسه،ص: 101.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 102.

له بما تقدم لهم من صفات، وهذا شأن اسم الإشارة عندما يرد بعد صفات المشار اليه المتعددة، ثم يجئ الجزاء عقبه فيسند اليه "[1].

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدى﴾استعارة تبعية في الحرف ﴿عَلَىٰ﴾حيث شبه تمسك المحسنين بالهدى وتمكنهم منه، باستعلاء الراكب ما يركبه بجامع التمكن والاستقرار، ثم استعير للمشبه الحرف الموضوع للاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾وفي إيثار التعبير بالحرف ﴿عَلَىٰ﴾ دلالة على التعظيم والتكريم، والرفعة والسمو، وذلك لأنه موضوع للدلالة على الاستعلاء ..

"وتنكير ﴿هُدًى﴾يدل على التعظيم، وأنه نوع مبهم من الهدى، لا يعرف ولا يدرك كونه، ولا يحاط به، ولذا وصف بالجار والمجرور ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾مبالغة في التعظيم والتفخيم والإبهام.." [2].

"وقد وصل بين جملتي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ للتوسطبين الكمالين مع عدم المانع، ووجود المناسبة"[3].

"وتكرار اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾يدل على اختصاصهم بكل صفة من الصفتين (الهدى) و(الفلاح) على حدة، ويشعر بكمالهما في المحسنين، وأن الصفة الواحدة منهما لو انفردت لكفت مميزة لهم، وأغنت عن الأخرى" [4]. يعتبر القصر الحقيقي في طريقة القصر المعرف (الفلاح) وهم ضمير مؤكد للاختصاص

قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ٦﴾

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾واو القصة، وهي التي تعطف عدة جمل مسوقة لغرض على عدة جمل مسوقة لغرض آخر، ويشترط فيها المناسبة بين غرضي الكلام، لا بين جمل القصتين، فهي عاطفة لقصة هذا الكافر الذي يشتري لهو الحديث، على قصة أولئك المحسنين الذين ازدادوا هدى، واختصوا بالفلاح.

وعندما نتأمل أيات الذكر الحكيم، لا نجد إفصاحا وتحديدا لهؤلاء المعاندين، بل نجد تعميما، لنقرأ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ٨﴾سورة البقرة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ .....١١﴾سورة الحج.

---

[1]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 104.

[2]– المرجع نفسه، ص: 105.

[3]–بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص.ص:105

[4]– المرجع نفسه، ص: 106.

"والمراد بالشراء في قوله تعالى: ﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾إما حقيقته على ما رُوي من شراء النضر [1] كتب الأعاجم أو القينات، أو شراء غيره مثل هذه الأشياء، وإما أنه استعارة تبعية في الفعل (يَشۡتَرِي) حيث أستعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم اشتق منه ﴿يَشۡتَرِي﴾بمعنى يستبدل" [2].

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّٱلَّذِينَٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ١٧٧﴾الآية 177 من سورة آل عمران.

والإضافة في قوله تعالى : ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾بيانية بمعنى(من) لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره، فبين بإضافته إلى الحديث ، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى (من) التبعيضية، كأنه قيل : ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه، وعلى كل فإن الغرض من الإضافة هو تحقير المضاف اليه، فهو حديث لهو وباطل، وليس حديث حق وخير .

"وفي قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حذف مفعول (يضل) وتقديره ليضل الناس، وهذا الحذف يشعر بأن المضل يبذل قصارى جهده الإضلال، فهو لا يدع أحد يظفر به إلا تفنن في صده وإضلاله عن سبيل الله تعالى" [3].

"والجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾يتعلق إما بقوله تعالى﴿يَشۡتَرِي﴾والمعنى: يشتري لهو الحديث حال كونه غير عالم بما يشتريه، أو غير عالم بالتجارة وغير بصير بها، حيث يستبدل الضلال بالهدى، والباطل بالحق. وإما متعلق بقوله تعالى:﴿لِيُضِلَّ﴾، والمعنى ليضل عن سبيل الله تعالى جاهلا أنها سبيل الله، أو جاهلا أنه يضل عنها، أو جاهلا الحق" [4].

وفي إيثار التعبير بالفعل المضارع (يشتري... ليضل.... ويتخذها...) ما يدل على مواصلة العناد و الاستكبار، حيث يدل المضارع على التجدد و الاستمرار.

"ولذا كان جزاؤهم الإبعاد عن رحمة الله، واستحقاق العذاب المهين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ٦﴾، فالتعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾يدل على بعد المنزلة في الشر والانحطاط والطرد من رحمة الله، تنزيلا للبعد المعنوي في التحقير والذم منزلة البعد الحسي. كما يدل اسم الإشارة على أن المشار إليه

---

[1]- "النظر بن الحارث" الذي نزلت فيه الآية، كان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم، فيحدث بها قريشا، وقيل : كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الاسلام إلا انطلق به الى قينته فيقول: أطعميه وأسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والسلام، وأن تقاتل بين يديه.

[2]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، ص: 107.

[3]– أنظر المرجع نفسه ، ص: 108.

[4]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص:108

قد استحق الجزاء المذكور بعد، وهو العذاب المهين من أجل تلك الصفات المتقدمة، الشراء ، والإضلال عن سبيل الله ، واتخاذها هزوا" [1].

"وفي تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ضرب من التوكيد، والمبالغة في استحقاقهم العذاب، وقد نُكِّر﴿عَذَابٞ﴾للدلالة على التعظيم والتهويل، كما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى ﴿مُّهِينٞ﴾أي: لهم عذاب عظيم هائل بسبب استكبارهم وصدهم عن سبيل الله" [2].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ٧﴾

"عطفت هذه الآية على قوله تعالى:﴿يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، والمعنى: ومن الناس من يشتري لهو الحديث ويولي مستكبرا إذا تليت عليه آياتنا. وعبر بـ(إذا) للدلالة على وقوع الشرط، والتعبير بالفعل المضارع (تتلى) وبناؤه للمفعول، للدلالة على تجدد التلاوة واستمرارها ووقوعها من جهات متعددة، إذ المضارع يدل على التجدد والاستمرار، وبناؤه للمفعول وحذف الفاعل تجعل النفس تذهب كل مذهب في تقدير الفاعل المحذوف ، فهو إما النبي – صلى الله عليه وسلم- وإما المؤمنون –الصحابة رضي الله عنهم- وهذا يعني أن التلاوة أتتهم من جهات عدة، وكانت مستمرة متجددة، فلا عذر عندئذ لمن أعرض وتولى مستكبرا "[3].

وقد شبهت حال المتكبر في إعراضه تكبرا وقد سمع الآيات، بحال لم يسمعها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾، ويشعر هذا التشبيه بأن من سمع الآيات لا يتصور منه التولي والاستكبار، اللهم إلا إذا أصم أذنيه، وصارت حاله حال من لم يسمع.

"وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾تشبيه آخر لحال من أعرض متكبرا بحال من في أذنيه صمم مانع له من السماع، وأصل الوقر: الحمل الثقيل، استعير للصمم، ثم غلب حتى صار حقيقة فيه. والامر في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ٧﴾للإهانة والتحقير والإذلال" [4].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ٩﴾

---

[1]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 109.

[2]– المرجع نفسه، ص: 110.

[3]– المرجع نفسه، ص: 110.

[4]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 112.

"بيان لحال المؤمنين بآيات الله عقب بيان حال الكافرين بها ، وقد فصل عما قبله للإستئناف البياني، وكأن سائلا سأل : إن كان هذا حال الكافرين، الذين استكبروا وأعرضوا عن آيات الله، فما حال المؤمنين بها؟ وماجزاؤهم عند ربهم؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ.....﴾"[1].

وقد جاء المسند اليه اسم موصول (الذين) حيث تومئ جملة الصلة قال تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾إلى وجه بناء الخبر، فمن قرأ جملة الصلة هذه، أدرك نوع الخبر ووقف عليه، وعلم أنه جزاء حسن، لأن الصلة إيمان وعمل صالح، والجزاء من جنس العمل.

وإضافة الجنات إلى النعيم في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾، بإعتبار اشتمالها عليه، كقولنا: كتب البلاغة وكتب النقد، وتدل هذه الإضافة على كثرة النعيم وشهرته.

"وقوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾مصدران مؤكدان، الأول مؤكد لما هو كنفسه، والثاني مؤكد لغيره، لأن قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد، وأما ﴿حَقًّاۚ﴾فدال على معنى الثبات، وقد أكد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعا واحد، وهو قوله تعالى:﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾". [2].

وختام الآية الكريمة بالعزة والحكمة يتناسب ويتلاءم مع ما ذكره الله عز وجل في الآيات من وعيد للكفار، ووعد للمؤمنين، فمعنى (العزيز) الذي لا يغلبه شيئ و لا يعجزه، بل يقدر على الشيء وضده، ومعنى (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والعدل.

قال تعالى :﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ١١.﴾

"لما ختمت الآيات السابقة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ٩﴾استأنف-- عز وجل- لبيان مظاهر عزته وحكمته، وهو استئناف بياني حيث تتجلى عزة الله تعالى، وكأن سائلا سأل: فيم تتجلى عزة الله تعالى وحكمته؟ وما مظاهرها في الكون ودلائلها؟ فيأتي الجواب: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ.....﴾. وقد توالت تلك الجمل الخبرية: (خلق السموات....، وألقى في الارض.....، وبث فيها.....، وأنزلنا.....)، ووصل بينها بواو العطف تفصيلا لمظاهر القدرة، وإتقان الصنع، ومجيء أفعالها أفعالا

---

[1]– بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 113.

[2]–المرجع نفسه ، ص: 114.

ماضية يدل على تحققها واستقرارها، ويشعر بظهورها ووضوحها لمن أراد أن يتأمل ويتدبر، والقى السمع وهو شهيد" [1].

"ويصح ان تكون جملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾صفة لعمد، والضمير على هذا يكون راجعا إلى (عمد) لا إلى السموات، والمعنى : خلق السموات بغير عمد مرئية لكم، وهذا يشعر وينبئ بأن الله تعالى عمدها بعمد لا ترى ولا تدرك، وهي عمد القدرة الإلهية، فتبارك الله أحسن الخالقين" [2].

وفي الآيتين التفات آخر من الخطاب في قوله تعالى : ﴿ترونها...، أن تميد بكم.....، فأروني..... ﴾.إلى الغيبة ووضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ١١﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال : بل انتم في ضلال مبين، وترجع بلاغة هذا الالتفات الى أمرين:

- أولهما: أن الخطاب في الآيتين عام، وليس كل المخاطبين في ضلال مبين، بل الظالمون منهم، فوجب الالتفات.
- ثانيهما: أن في الاتفات ووضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على الكفار، ووسمهم بتلك الصفة، صفة الظلم، للدلالة على أنهم بكفرهم واضعون للشيء في غير موضعه، ومتعدون عن الحد، وظالمون لأنفسهم، وهذا ما صيرهم في ضلال مبين، وعما قليل سيجعلهم في عذاب مهين.

☜ من هدي الحديث النبوي الشريف

سنعرض فيما يلي نموذج تطبيقي تحليلي من جوامع الكلم في نصوص الحديث، بتبيان لأوجه بلاغية منوعة.

عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال: " بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقد أصابنا الحرٌّ فتَفرَّق القوم حتى نظرتُ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربُهم مني، فدَنَوتُ منه فقلت: يا رسول الله، أنبئني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، قال: سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: وإن شئت أنبأتك بأبواب الجنة، قلت: أجل يا رسول الله، قال: الصوم جُنَّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الله يبتغي وجه الله. قال : ثم قرأ هذه الآية :﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ١٦﴾السجدة:16. قال: وإن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه، قلت: أجل يا رسول الله، قال: أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد في

---

[1]–بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية – دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص ، ص: 115.

[2]– المرجع نفسه، ص: 116.

سبيل الله، وإن شئت أنبأتك بِملاكٌ ذلك كله، فسكت فإذا راكبان يوضعان قبلنا، فخشيت أن يشغلاه عن حاجتي، قال: فقلت: ماهو يا رسول الله؟ قال: فأهوى بإصبَعِه إلى فيه، قال: كُفَّ عنك هذا، فقلت: يا رسول الله، وإنا لنُؤاخَذُ بما نقول بألسنتنا؟ قال: ثَكِلَتكَ أمك يا مُعاذٌ، وهل يَكُبُّ الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم "[1].

هذا أنموذج من الأحاديث الجامعة، التي جمعت بين مزايا عديدة في أبواب بلاغية شتى، وجهات كثيرة في المعاني والبيان والبديع:

"فمن حيث المعاني: أخرج الإسناد في قوله صلى الله عليه وسلم :(تعبد الله...) مخرج الجملة الإبتدائية، حيث كان معاذ خالي الذهن، وإن كان هو السائل،وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه"أُخرِجَ مخرج الجملة الإنكارية، لما رأى من السائل من الإنكار. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " الصوم جُنَّة" إثبات للمبتدأ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم:"تعبد الله..."ترك له، والتقدير: أن تعبد الله، وقوله : "يدخلني" صفة لعمل، وهي إما صفة مخصصة، اي مطلوبي عمل هذه صفته، أو مادحه، أي عمل محمود. وفي قوله: "يا رسول الله" إضافة تشريف. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " رأس الأمر" إضافة مجازية. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " ثَكِلَتكَ أمك يا مُعاذٌ" تنبيه وقرع عصا. والاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم: " بِملاكٌ ذلك كله" إشارة إلى مذكور، وهو قريب والاشارة هنا لتعظيمه. أما الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم :" كُفَّ عليك هذا" فلمزيد الاهتمام والتعيين. والتنكير في قوله صلى الله عليه وسلم:" بعمل"دال على الإفراد نوعا، والتنكير في قوله صلى الله عليه وسلم: " عظيم" دال على التعظيم، وفي "يسير" دال على التقليل" [2].

أما قوله صلى الله عليه وسلم :" الصوم جُنّة"فهو جملة اسمية بسيطة ورد فيها المسند اليه معرفة، والمُسنَد دالا على الثبوت، أما المسند الفعل في قوله صلى الله عليه وسلم :" والصدقة تُطفئ الخطيئة" فإنه يدل على تقوية الفعل وأن حصول إطفاء الخطيئة محقق.

أما قوله صلى الله عليه وسلم :" وهل يَكُبُّ الناس على مناخرهم في جهنم..." ففيه قصرٌ، حيث قُصر المفعول به "الناس" على الفاعل "حصائد" قصرَ قلبٍ.

---

[1]– المستدرك على الصحيحين: 8/3: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[2]– عبد الرحمن بودرع: نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، ط1، 2013، ص: 189.

"أما قوله صلى الله عليه وسلم: (سألت عن عظيم) ففيه ايجاز تقدير، أي سألتني عن مسؤول عظيم بالغ في العظمة متناه في الفخامة، أما قوله صلى الله عليه وسلم:(كُفَّ عليك هذا) ففيه إيجاز جامع ، فإنه من الجوامع، لأن المسؤول عنه أحدُ شطري الاسلام" [1].

أما قوله: (أخبرني بعمل...) ففيه إطناب محمود يقتضيه المقام ويدعو إليه، وذلك أن مطلوبَ معاذ لّما كان من الوسائل العظيمة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم استهل الجواب وافتتحه ومهَّد له بمقدمة نبَّه فيها على فخامة المسؤول، بأن أكدها تأكيدا بليغا وعظمها غاية التعظيم، وهكذا كلما قصدَ أن يجيب عن سؤال جعل له تمهيدا أو توطئة، ليُمكِّنه في الذهن ويوطِّنه فيه. ومن الإطناب المحمود إعادة ألفاظ متقاربة في المعنى، نحو " رأس الأمر وعموده وذروة سنامه" ، لأن المقام مقام إرشاد يدعو الى الاطناب.

أما قوله : "أخبرني..." فظاهره أمر، ولكنه استدعاء وطلب، وقوله صلى الله عليه وسلم :" كُفَّ عليك هذا" فهو أمر تنزيه، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: " :" تعبد الله..."ففيه عدول عن الامر الصريح، لفائدة الاخبار عن المأمور به، إظهار للحرص بوقوعه .

☜ **من الشعر**

قال تأبط شرا: (*)

إتّـي إذِا خُـلّةٌضنَّتْ بـِنَائـِلِهَا وأمْسَكْتُ بَضَعيفِ الوَصْلِ أَحْذَاقِ[2]

نَجَوتُ مِنها نَجَائِي مِن بجيـلَة إذا ألقَيْتُ لَيـْلَةَ خَبَتِ الرّهْـطَ أَرْواقـي[3]

لَيْلَةَ صَاحُوا واغرَوا بي سراعــهُمٌ بالعيكَتين لـَدَى معدي إبـنِ بَـرَّاق[4]

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 190.

*: تأبط شرا : هوثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتأبط شرا لقب لُقِّب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا كبيرا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شراً، فسمي بذلك.

.

[2]– الخلة: الصداقة وتقال للصديق. بضعيف الوصل: بحبل ضعيف. الاحذاق: المتقطع.

[3]– بجيلة: القبيلة التي أسرته. الخبت: اللين من الارض. الرهط: موضع. ألقيت أرواقي: استفرغت مجهودي في العدو.

[4]– العيكتين: موضع، معدي: اسم مكان . ابن براق: هو عمر والشنفري صديقا تأبط شرا.

كأنّما حَثـحَـثُوا حُصَا قـوادمـهٌ أو أُمِّ خِشْفِ بِذي شَـتٍّ وطْـبَاقِ[1]

لَا شَيءَ أَسْرَعُ مِني لَيْسَ ذو عُذَرِ وذَا جـَنَاحٍ بِجَنبِ الرَّيـدِ خـَـــفَاقِ[2]

حَتى نَجَـوتُ ولَـمَا ينْزِعُوا سَلبِي بوالــهِ مِنْ قَبيضِ الشّـدِ غـَـيْـدَاقِ[3]

إن ضمير المتكلم المسيطر على الأبيات (نجوت، نجائي، ألقيت، أرواقي، بي، سلبي) دلالة عن حديث الشاعر عن نفسه. و من حيث المعاني يقول الشاعرُ إذا ضنّ عني صديقي بنائله و كان و صالهُ ضعيفا أحذاقا خليتهُ و نجوتُ منه كنجاتي من بجيلة و هي قبيلة أسرت الشاعر ، و خلاصة القول فإنّ الشاعر بين نجاته من بجيلة مسرعا كالواله فيكون قد جرد من نفسه شخصا كاد يذهب عقلُهُ من سرعة الهرب و الطلب وراءهُ.

تحمل هذه الأبيات مجموعة من الصور البيانية منها التشبيه في قوله : نجوت منها نجائي من بجيلة و هذا للدلالة على قوة سرعته و عدوِهِ في الحرب ، و من هذه الصورأيضا الكناية في قوله: لاشئ أسرع منّي ليس ذو عذر فهي كناية عن شدة السرعة عند الفرس ، فالشاعر يريد أن يبين من خلال هذه الكناية أنّه أسرع من الفرس و الطائر الجارح الذي يأوي إلى الجبل إذ هو أسرعُ طيرانا من جارح السهل.

وحديث الشاعر عن نفسه هنا مطرد دلاليا، فهو حديث عن حادث بعينه، وهو" حادث هربه من بجيلة حين أرصدوا له كمينا على ماء، فأخذوه وكتفوه بوتر. ثم دبر حيلة بارعة هو عمر بن البراق والشنفري، تمكن بها الثلاثة من النجاة عدوا على الأقدام، وقد انعكس هذا الإطراد على السطح، عبر علاقات معجمية وصوتية سابكة لمفردات موزعة في فضاء الأبيات توزيعا يقارب بينها حيناً، ويباعد بينها حيناً آخر"[4]

"وهذه العلاقات :

- جناس الاشتقاق: داخل البيت الثاني: نجوت/ نجائي، فيما البيت الثالث والخامس: سراعهم/ أسرع.

---

[1]– حثحثوا: حركوا، القوادم: ما ولى الرأس من ريش الجناح. الحص: جمع احص وهو ما تتناثر ؤيشه وتكسر، يشير بذلك الى الظليم وهو ذكر النعام. الخشف: ولد الظبية. الشت والطباق: نباتان طيبا المرعى.

[2]– العذر: جمع عذرة، وهي ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس. الريد: الشمراخ الاعلى من الجبل. يقول لا شيء أسرع مني الا الفرس، والا الطائر الجارح الذي يأوي الى الجبل.

[3]– السلب: ما يسلب في الحرب. الواله: الذاهب العقل. الشد القبيض: الجري السريع. الغيداق: الكبير الواسع، من الغدق وهو المطر الغزير.

[4]– جميل عبد المجيد: بلاغة النص– مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار العريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص: 46.

- الترديد: داخل البيت الخامس: ذا عذر/ذا جناح، فيما البيت الثاني و الثالث : ليلة خبت/ ليلة صاحوا.
- مراعاة النظير: داخل كل من البيت الرابع والخامس من جهة، وفيما بين هذين البيتين من جهة أخرى: الظليم (حصا قوادمه)/ الظبية(أم خشف)/ الفرس(ذا عذر) / الطائر (ذا جناح).
- السجع المتوازي: فيما بين البيت الاول والثاني: أحذاق / أرواقي، فيما بين البيت الثالث والبيت الخامس: براق / خفاق.
- رد عجز القسم على صدره: نجوت / نجوت

ومن خلال البيت الأخير :

حتى نجـوتُ ولـمَا ينزعوا سلبي بوالــهِ من قبيضِ الشّـدِ غـيْـدَاقِ

ندرك أن الشاعر في حديثه عن نفسه سلك مسلك التجريد، ويريد بذلك انه نجا من بجيلة مسرعا كالواله، فيكون قد جرَّد من نفسه شخصا كاد يذهب عقله من سرعة الهرب، والطلب وراءه"[1].

[1]–جميل عبد المجيد: بلاغة النص– مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار العريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999 ،ص: 48.

منطلقات الدرس البلاغي لدى محمد العمري

- سيرته العلمية
- مؤلفاته وأعماله العلمية
- مصادر فكره البلاغي
- مجالات اشتغاله العلمي
- النظرية العلمية المؤطرة لأبحاثه

مقـــدمـــة

مرّعلمالبلاغةبمراحلمختلفةإلىأنتحدّدتمعالمه،واستُقرِئَتقواعده،وقدمثّلكلّمرحلةمنهذهالمراحلعددٌ منالدارسينالمبرّزينالذينأسهموافيتأسيسالعلموتطويره،واجتهدوافيوضعالنظرياتوالتصوّراتوالمصطلحا تالتيتخصّهوتحدّه،وقدكانتأولهذهالمراحلتلكالتيعُنيتبتسجيلالملحوظات،ومثّلهاعددٌمنالأدباءوالعلماءال أعلاممنهمأبوعبيدة،والجاحظ،وابنقتيبةوغيرهم،وجاءتالمرحلةالثانيةالتياهتمتبوضعالدراساتوالأبحاثذ اتالطابعالأدبيوالعلميالمميّز،وقدظهرفيرحابهاعددٌمنالدارسينوالنقادالبارعين،منهممنعُنيَبدراسةالإعجاز القرآنيمعالسعيإلىالكشفعنخصائصهاللغويةمنأمثالالرماني،والباقلاني،والخطّابي،ومنهممنعُنيبدراسةا لأدببصورةعامةمثلقدامةبنجعفر،وعبدالله

ابنالمعتز،وأبوهلالالعسكري،ثمّجاءتمرحلةالازدهارالتيأفادتكثيرًامنالدراساتالتيسبقتها،وأضافتإلىعلمال بلاغةنظراتجليلة،ونظرياتجديدةكانلهاالفضلفيتأسيسهذاالعلموصياغتهوتطوّرهمضمونًاومنهجًاوأسلو بًا،ومَثّلهذهالمرحلةخيرتمثيلشيخالبلاغيينعبدالقاهرالجرجاني،وأمّاالمرحلةالرابعةفقدكانتمعنيةًبتحديد المصطلحات،وصياغةالقواعدالنهائيةلهذاالعلم،ومَثّلهذهالمرحلةخيرتمثيلأبويعقوبالسّكاكي،وتلميذهال قزويني،ومعأنّأغلبالدراساتاستمرتبعدذلكفيالسيرعلىماقرّرهالسّكاكيّوالقزويني،إلاّأنّهذهالمرحلةعرفتبع ضًامنالعلماءالمجدّدينالذينأضافواإلىالدرسالبلاغيمنالنظراتوالأفكارمالايمكنإنكارهمنأمثالابنالأثير الذي يمثل المدرسة الأدبية،وحازمالقرطاجنّي،ويحي بن حمزة العلوي الذي يمثل امتزاج المدرستين الكلامية التي مثلها الخطيب -القزويني - والأدبية.

ولما كانت البلاغة العربية في مرحلتها الأخيرة توصف بالجفاف والجمود، ووُصفت مناهج علمائها بالتكرار والتعقيد، كان لزاما على الدارسين المحدثين والمعاصرين إثارة هذه القضية، من أجل تيسير الدرس البلاغي من خلال التلخيص والشروح، ومن خلال المناهج و الموضوعات و المصطلحات.

ومن أهم البلاغيين العرب المعاصرين الذين اهتموا بالبلاغة المعاصرة نجد -**صلاح فضل** -الذي يمثل المدرسة المصرية، و-**حمادي صمود** -الذي يمثل المدرسة التونسية ، و- **محمد العمري** -الذي يمثل المدرسة المغربية.

ولطبيعة الدراسة الحالية و المثيرة ركزت في هذا الفصل على المدرسة المغربية **الممثلة ب -محمد العمري-** ، الذي تناول منطلقات الدرس البلاغي لدى -**محمد العمري**- من خلال الوقوف على سيرته العلمية، مؤلفاته وأعماله العلمية، مصادر فكره البلاغي، مجالات اشتغاله العلمي، والنظرية المؤطرة لأبحاثه.

سيرته العلمية :

1- الحياة التعليمية والمهنية :

"محمد بن عبد الله بن حمو العمري. من مواليد سنة 1945م بقرية "الحارة" على ضفاف وادي درعة جنوب المغرب. تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعض المتون والمنظومات على يد والده بقرية الحارة. وعند استقلال المغرب التحق بالمعهد الإسلامي بمدينة تارودانت (معهد محمد الخامس حاليا). حصل من المعهد المذكور (من سنة 1958 إلى سنة 1968) على الشهادة الابتدائية و الثانوية و الباكالوريا الأصلية بميزة حسن (وهي ميزة نادرة وقتذاك في مستوى الباكالوريا المغربية) "[1].

في سنة 1968 التحق بجامعة محمد الخامس (فرع فاس) حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي (من سنة 1968 إلى 1972) بأربع ميزات (أي ميزة عن كل سنة). وحصل في نفس السنة على شهادة الكفاءة التربوية للتدريس بالمدارس الثانوية. واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من 1972 إلى سنة 1981، متابعا تكوينه الجامعي بموازاة التدريس.

في سنة 1974 حصل على شهادة استكمال الدروس (شهادة الدروس المعمقة) من جامعة محمد الخامس بالرباط .

وفي سنة 1981 حصل على دبلوم الدراسات العليا من الجامعة السالفة الذكر. والتحق بالتدريس أستاذا مساعدا بكلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس إلى سنة 1999.

وفي سنة 1989 ناقش أطروحة دكتوراه الدولة في الأدب العربي من نفس الجامعة فرقي إثره إلى درجة أستاذ محاضر ، ثم رقي سنة 1993 إلى درجة أستاذ التعليم العالي.

التحق خلال السنة الجامعية 1995/1996بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض أستاذا للبلاغة والنقد الأدبي.

يعمل حاليا أستاذا للبلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

تقاعد مبكرا في إطار المغادرة الطوعية، ابتداء من غشت 2005.

---

[1]– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 24 ديسمبر 2020.

2- عضوية المجالس العلمية والجمعيات :

الإشراف على وحدة التواصل وتحليل الخطاب - مكونات الخطاب وآليات اشتغاله. الدراسات المعمقة 97 – 99. والدكتوراه 97 - 2002) كلية الآداب،فاس،المغرب.

- خبير معتمد لدى اللجنة الوطنية لمنْح الاعتماد (في الدراسات العليا والدكتوراه) التابعة لوزارة التعليم العالي. ابتداء من 1997.
- عضو منتخب باللجنة العلمية لكلية الآداب ظهر المهراز، فاس.1997/5/22 - 1999/9/16.
- عضو مجلس جامعة سيدي محمد بن عبد الله 1990 . 1992. ثم 1996 . 1998
- عضو اللجنة العلمية لشعبة اللغة العربية في أواخر الثمانينات، ثم في الفترة 1996.1998.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- إنشاء وتسيير لجنة الحوار الثقافي والبحث العلمي بكلية الآداب بفاس بمشاركة مجموعة من الأساتذة،(أشرف على إلقاء محاضرات عامة من جميع التخصصات، لعموم طلبة الكلية، طوال السنة الدراسية 1988-1989).
- عضو مكتب جمعية مدرسي اللغة العربية بالدار البيضاء في أواخر السبعينات.[1]

3- المشاركة في اللقاءات العلمية [2]:

كان له دور فعال في الثلاث السنوات

الأخيرةشاركفي العديد من الندوات واللقاءات الثقافية في المغرب والعالم العربي منها:

- تقديم ورقة حول الإيقاع في القصيدة العربية الحديثة في الملتقى الأول للشعراء العرب المنعقد بتونس بتاريخ 23-25 أكتوبر 1997.
- المشاركةفيندوةتكريمالأديبالمفكرالتونسيمحمودالمسعديالمنعقدةبجامعة تونسبتاريخ11- 12 أكتوبر 1997،بموضوع: الإيقاعتنظيراوممارسةفيأعمالمحمودالمسعدي.
- المشاركة في يومين دراسيين نظمتهما شعبة الفلسفة بكلية الآداب بفاس في موضوع: الفلسفة والشعر بتاريخ: 20-1997./11/21

(1)– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 24 ديسمبر 2020.

(2)– أنظر موقع محمد العمري السابق.

- المشاركة في ندوة بموضوع : السخرية آلية حجاجية. الموسومة ب:الحجاج والإقناع في البلاغتين العربية والغربية. كلية الآداب مكناس. 13.12 مارس1998.
- المشاركة في ندوة المصطلح الأدبي. تنظيم المجلس الأعلى للثقافة. مصر بتاريخ أبريل1998.
- المشاركة في يوم دراسي حول: حي بن يقظان، لابن طفيل. تنظيم وحدة التواصل وتحليل الخطاب بكلية الآداب بفاس بتاريخ98/11/10.
- المشاركة في ندوة: العلوم الإنسانية، الجامعة والشراكة. نظمتها كلية الآداب بالمحمدية بتعاون مع جامعة محمد الخامس بالرباط ومؤسسة كونراد الألمانية.12_13 /11/ 1998. مداخلة بعنوان: انفصال الدرس الأدبي عن المحيط المعرفي الفاعل.
- المشاركة في ندوة: المفاهيم نشأتها وتطورها. نظمت بتعاون بين جامعة محمد الخامس بالرباط ومؤسسة كونراد الألمانية بمراكش 98/11/29/26. عنوان المداخلة: المجاز في البلاغة العربية.
- ندوة: ابن رشد، تنظيم جامعة القاضي عياض بمراكش بتعاون الجمعة الفلسفية المغربية 1998/12/17.15. عنوان المداخلة: من المحاكاة إلى التغيير.
- إلقاء محاضرة ضمن أنشطة جمعية الطلبة الباحثين بكلية الآداب بفاس يوم: 1999/2/19 في موضوع: مصطلح الدرس الأدبي والنسق المعرفي.
- المشاركة في ندوة: المفاهيم نشأتها وتطورها. نظمت بتعاون بين جامعة محمد الخامس بالرباط ومؤسسة كونراد الألمانية بمراكش 25 -1999/11/28
- المشاركة في ندوة حول الصورة من تنظيم شعبة الفلسفة بالرباط. بإشراف الأستاذ محمد المصباحي. 2000. بموضوع: مفهوم الصورة في البلاغة العربية.
- المشاركة في ندوة رؤساء شعب اللغة العربية لتدارس وضعية التدريس الراهنة وآفاق الإصلاح في ضوء مقترحات إصلاح التعليم العالي. انعقد بكلية الآداب بالرباط يوم 2000/9/29. (المساهمة في المناقشة والاقتراح).
- إلقاء المحاضرة الافتتاحية للموسم الثقافي 2000-2001: لِرابطة أدباء المغرب، يوم 2000/10/6. بقاعة المعهد العالي للمسرح بالرباط. بعنوان: دائرة الحوار، وتدبير الاختلاف. (سنلحق نص المحاضرة مستقبلا).
- المشاركة في يوم دراسي من تنظيم: المركز المغربيللدراساتوالنشروالإعلام. يوم 2000/6/20. نظمبفندق ..... بالدارالبيضاء. (المساهمةفيالمناقشةوالاقتراح).

- المشاركة في ندوة حول: المواطنة والحداثة. من تنظيم : نادي المواطنة. يوم ../6/2000. بفندق.....بالدار البيضاء. (المساهمة في المناقشة والاقتراح).

4- التدريس [1]:

المواد المدرسة	المستوى	السنوات	المؤسسة الجامعية والبلد
- تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي والأموي -تحليل النصوص الشعرية القديمة	الإجازة	98.83	كلية الآداب/ فاس
البلاغة العربية والنقد	د.المعمقة	94-90	"
البلاغة العربية البيان والبديع	الإجازة	95-91	"
البلاغة العربية: علم المعاني	الإجازة	ابتداء من 96	"
البلاغة والأسلوبية	الإجازة	97_96	"
النقد الأدبي القديم	الإجازة	96.95	كلية الآداب جامعة الملك سعود. الرياض
البلاغة العربية: البيان والبديع	الإجازة	96.95	"
البلاغة العربية: علم المعاني	الإجازة	96.95	"
دراسات بلاغية	ماجستير	96.95	"
إرشاد طلبةالدكتوراه والرسالة القصيرة	دكتوراه	96.95	"
- الأجناس الأدبية - مبادئ البحث وتقنياته - تحليل الخطاب الشعري	د.العليا المعم قة	98/97 99/89	كلية الآداب فاس
- الشعر الحديث - الثقافة العربية	الإجازة الإجازة	99 .... 99 ...	كلية الآداب الرباط

(1)– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 24 ديسمبر 2020.

مؤلفاته وأعماله العلمية:

1- الكتب:

1-1- التأليف: له عدة مؤلفات في البلاغة و تحليل الخطاب تأليفا و ترجمتا و تحقيقا نذكر

- في بلاغة الخطاب الإقناعي ، الطبعة الأولى 1986، والطيعة الثانية 2002.
- تحليل الخطاب الشعري- البنية الصوتية 1990.
- الافراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17 و 18 م ، 1992.
- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم 1999.
- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها 1999.
- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية 2001.
- دائرة الحوار ومزالق العنف – كشف أساليب الإعنات والمغالطة (مساهمة في تخليق الخطاب) 2002.
- أشواق درعية – العودة إلى الحارة 2003.
- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول 2005.
- منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين- عوائق الحداثة في المغرب 2009.
- زمن الطلبة والعسكر- سيرة ذاتية 2012.

1-2- الترجمة:

- بنية اللغة الشعرية- جان كوهن (ترجم بمشاركة محمد الوالي) 1986.
- الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة – مارسي لو داس كال (بالاشتراك مع آخرين) .
- البلاغة والأسلوبية- هنريش بليت 2000.
- نظرية الأدب في القرن العشرين ، الطبعة الأولى 1996، الطبعة الثانية 2004.

1-3- التحقيق:

- المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للمؤلف محمد الأفراني، تحقيق محمد العمري 1997.

2- المقالات:

2-1- المقالات الأصلية [1]:

- أدبية النص بين المشروع والمنجز من كتاب سر الفصاحة لابن سنان، مجلة دراسات أدبية ولسانية ع.4 1986.
- "الصناعتان" أو البحث عن بلاغة عامةّ"، في: حوليات كلية اللغة العربي، عدد خاص بأعمال ندوة: الدرس البلاغي والنص الأدبي. 12-13 فبراير 1993. العدد7. 1996. 101- 117.

مهداة للأستاذ عبد الله الطيب بمناسبة توديعه بكلية الآداب بفاس.

- الرواية والاختيار. نُشر ضمن أعمال المائدة المستديرة حول جمالية التلقي جامعة محمد الخامس.الرباط. 1992.
- الاختيار الشعري والتنظير النقدي.مجلة المنظمة العربية.ت.ث. ع. خاص بالنقد والنقاد. 1993(وانظر البلاغة العربية أصولها وامتداداتها).
- المقام الشعري والمقام الخطابي.مجلة دراسات سميائية أدبية ولسانية ع.5. 1991.(وانظر أيضا نظرية الأدب في القرن العشرين).
- الخطاب النقدي حول الشعر المغربي الحديث والمعاصرقدمت خلاصته بالملتقى الأدبي المغاربي الثاني بجامعة وهران يوم 89/12/25.
- "قضايا المنهج في كتابي: ظاهرة الشهر المغربي المعاصر.م. بنيس..وَبنية الشهادة والاستشهاد. عبد الله راجع. ضمن أعمال ندوة ثلاثون سنة من البحث العلمي بجامعة م. الخامس/ بالرباط 1992.
- بلاغة السخرية الأدبية . مجلة علامات. جدة 1996.
- محمد الإفراني والحالة الثقافية في مراكش. مجلة ك.الآداب مراكش ع.6. 1990.

محمد الإفراني مثقف ضد التيار. (عرض بدار الثقافة بمراكش سنة 1997 ضمن أنشطة جمعية الشيخ الجازولي.

- "بنية التوازن والتقابل: قراءة في البلاغة العربية ".مجلة كلية الآداب بفاس ع.9.

- مسألة الإيقاع في الشعر الحديث، مفاهيم وَ أسئلة.مجلة فكر ونقد. العدد18. 1999.

---

(1)– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 24 ديسمبر 2020.

محور العدد: في لغة الشعر. كان هذا المقال قد قدم في الملتقى الأول للشعراء العرب بتونس سنة 1997/ 1999.

- الإيقاع تنظيرا وممارسة في أعمال محمود المسعدي.

منشور ضمن أعمال ندوة تكريم الأستاذ محمود المسعدي بكليةالآداب منوبة تونس1211 /10/ 1997. تنظيم ونشر مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله. تونس1997.

- تخليص الكليات في قراءة فن الشعر لأرسطو.

قدم في يوم دراسي حول الفلسفة والشعر نظم بتعاون بين جمعيةالفلسفة و شعبة الفلسفة بكلية الآداب بفاس أواخر 1997. صدر بمجلة فكر ونقد. الرباط.

- إشكالية الموضوع والمنهج في أعمال محمد مفتاح

عرض ألقي في يوم دراسي حول أعمال محمد مفتاح العلمية و الفكرية. كلية الآداب. القنيطرة يوم 10 ديسمبر 1997. وصدر في مجلة علامات في النقد. جدة يونيو 1998.

- القارئ وإنتاج المعنى في الشعر القديم: حدود التأويل البلاغي.

مجلة فكر ونقد. العدد17. 1999. ضمن محور العدد المخصص لِ:شعرية البلاغة. كان معدا لمؤتمر النقد السابع بأربد بالأردن . فحال ظروف صحية دون ذلك.

- مصطلح الدرس الأدبي والنسق المعرفي.

مجلة فكر ونقد. الرباط.عرض قدم في ندوة المصطلح الأدبي بالقاهرة. 1997.

2-2- مقالات مترجمة [1]:

- المقام في الأجناس الخطابية والأجناس الأدبية.Rhétorique et littérature لِكِبدي فاركا (مقتطف من كتابه البلاغة والأدب ص 94، 96) .نشر بمجلة دراسات أدبية ولسانية العدد5. 1986.
- مناهج الدراسة الأدبية وخلفياتها النظرية والفلسفية. إبش وفوكما. مجلة دراساتسميائية 1988/2.
- نحو جمالية للتلقي. لِجان ستاروبانسكي. نشر في مجلة دراسات سميائية ع.6 . 1993.

(1)– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 24 ديسمبر 2020.

- الهزلي والشعري. جان كوهن صدر بمجلة علامات بالدار البيضاء، العدد 6. 1996. وبمجلة النص الجديد السعودية .العدد6. 1996.
- هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ أوليفي غوبول. نشر بمجلة علامات بجدة. 1996.
- النص بنياته ووظائفه. فان ديك . صدر ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين.
- حوار أدبي شامل مع رولان بارت. تُرجم بمشاركة مبارك حنون. ونشر بمجلة الموقف(مجلة ثقافية فصلية).العدد7المغرب.

3- الحوارات [1]:

- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، عدد 14 يوليو 2000، حوار حول أسئلة القراءة النسقية .أجراه د.محمد الوالي ود. إدريس جبري. نشر في جريدة البيان 14 يوليو 2000.
- بلاغة الخطابة السياسية وأسسها. حوار مطول أجراه الأستاذ حسن نجمي. نشر بجريدة الاتحاد الاشتراكي في العددين 2 و4 أكتوبر 1999.
- واقع الشعر وآفاق القصيدة الحديثة، حوار أجري بمناسبة الملتقى الأول للشعراء العرب بتونس 1997. نشر بجريدة الصباح التونسية.
- حديث الإفك. سلسلة مقالات نشرت في جريدة النشرة ابتداء من يوم 17 /10/ 99. وهي رد على مقالات لعبد اللطيف جبرو المنشورة في جريدة الأحداث المغربية في صيف1999، تحت عنوان: الحقيقة أولا.
- المعركة لا تكون إلا حديثة. حوار حول المناهج والمفاهيم الأدبية أجراه عمر الزاوي، ونشر بجريدة الجمهورية الأسبوعية (الجزائر) في العدد48 .بتاريخ 14- 21 /1990/03.
- الإعنات و المغالطة في مقام الأخذ والعطاء. مناقشة بلاغية للخطاب المناهض لخطة إدماج المرأة. نشرت بجريدة الاتحاد الاشتراكي 5/30– 9 / 6 / 2000.

[1]– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 26 ديسمبر 2020.

4- النشر العلمي والتنشيط الثقافي[1]:

4-1- النشر العلمي:

- إصدار مجلة دراسات أدبية و لسانية سنة 1985 بمشاركة مجموعة من الباحثين، والقيام بمهام إدارتها والإشراف على تحريرها. وهي مجلة علمية فصلية متخصصة صدر منها ستة أعداد.
- إصدارمجلةدراساتسميائيةأدبيةلسانيةسنة 1987،بمساهمةحميدلحميداني،وتوليمهمةإدارتها. وهي،مثلسابقتها،مجلةفصليةمتخصصة . صدرمنهاسبعةأعداد.
- الإشرافعلى "منشوراتدراساتسال" وهيسلسلةكتبصغيرة،تتصلبتخصصمجلةدراساتسميائية.

4-2- التنشيط الثقافي:

- الإشراف (ضمنهيئةمجلةدراساتأدبيةولسانية) علىتنظيمندوةتحليلالخطاببالتعاونمعكليةالآدابوالعلومالإنسانيةبفاسبتاريخ 1986 ،وقدنشرتموادهذهالندوةفيالعددالتاسعمنمجلةكليةالآدابفاس،والعدد 5 منمجلةدراساتأدبيةولسانية.
- تنظيمندوتينمتخصصتين (ضمنهيئةتحريرمجلةدراساتأدبية) حولالعلاقةبيناللسانياتوالنقدالأدبي. الأولىبعنوان:اللسانياتوالنقدالأدبي. نشرتمادتهابمجلةدراساتأدبيةولسانيةالعددان: 1.2. والثانيةبعنوان: الحدودبينالمدارساللسانيةفيعلاقتهابالأدب،وقضيةالسياقوالمعنى. نشرتمادتهابالعدد:3 منالمجلةالمذكورة. شاركفيهمامجموعةمنأساتذةكليتيالآدابفاسومكناس.
- إجراءحواراتشاملةمنأدباءوكتابومفكرينمنمختلفالبلادالعربيةحولجهودهمالتنويرية،ومشاريعهمالعلمية. نذكرمنهم:

  عبداللهالطيب (ناقدسوداني)،

  وصلاحفضل (ناقدمصري)،

  وطهعبدالرحمن (منطقيمغربي)،

---

[1]– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 26 ديسمبر 2020.

ومحمدمفتاح (ناقدسميائيمغربي)،

ومنصف المزغني (شاعر تونسي)،

ومحمدالسرغيني (ناقدمغربي)،

ومحيياالدينصبحي (ناقدسوري).

نشرتهذهالحواراتبمجلتي: دراساتأدبيةولسانية. ودراساتسميائيةأدبيةولسانية.

مصادرفكـــره البلاغـــي

انصبّت جهود البروفيسور العُمري على قراءة البلاغة العربية القديمة قراءة نقدية نسقية، مع السعي إلى توظيفها في بناء بلاغة جديدة تستوعب كل أنواع الخطاب المؤثر. وقد استرشد في ذلك بالدراسات الغربية الحديثة التي خاضت نفس التجربة من قبل.

ونقل إلى العربية (بمشاركة محمد الولي) كتاب: **بنية اللغة الشعرية**، لجان كوهن، ودراسة هانريش بليت: **البلاغة والأسلوبية**. كما قام بتحقيق ودراسة كتاب من أهم كتب البلاغة التطبيقية، وهو كتاب **المسلك السهل في شرح ابن سهل** لمحمد الإفراني المراكشي .

بعد ذلك سارت دراساته في خطوتين:[1]

☜ **الخطوة الأولى:** هي استرجاع الجوانب المنسيّة أو المهملة من التراث العربي نتيجة انكماش البحث البلاغي طوال عصور تقهقر الثقافة العربية. حيث انصب اهتمامه على أمرين أساسيين:

أولهما: البنية الصوتية للشعر العربي. وقد نتج عن بحوثه في هذا المجال ثلاثة كتب هي: كتاب: تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية، الكثافة، الفضاء، التفاعل. والكتابان الثاني والثالث تاريخيان، هما: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، واتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم. وقد جُمع هذان الكتابان في كتاب واحد، وصدرا في طبعة ثانية سنة 1421هـ/2001م بعنوان: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية.

---

(1)– https://web.archive.org/web/20170729140806/http://kfip.org/ar/professor-muhammad-a-al-omari

أما الأمر الثاني: فيتعلّق بالبُعد التداولي الحجاجي للبلاغة العربية، وفي هذا الإطار أصدر كتابين هما: بلاغة الخطاب الإقناعي، وهو تنظير وقراءة للخطابة العربية القديمة، والثاني: دائرة الحوار الذي اقترح فيه نموذجاً لبلاغة الحوار مع تطبيق على النص الخطابي الحديث.

☜ **الخطوة الثانية**: تمثَّلت في سعى البروفيسور العُمري إلى تنسيق تاريخ البلاغة العربية، أو قراءتها قراءة شمولية تستوعب كل المنتوج البلاغي. وهذا ما اضطلع به في كتابه: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، الذي بيَّن فيه أن البلاغة القديمة تضم العديد من العناصر اللازمة لبناء البلاغة العامة الجديدة، والتي يسعى لتمكين دعائمها. وفي إطار تعريف البلاغة وما هو مشترك بين كل الخطابات التي تعتبر بلاغية جاء كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.

يقول محمد العمري في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" : " أن عمله لا ينسخ، بأي معنى من المعاني، أي عمل سابق عليه، ولا يعتبر نفسه بديلا يغني عن غيره، وقصارى ما يطمح إليه أن يكون خطوة في السعي لكتابة تاريخ شامل للبلاغة العربية ، وأشدد على عبارة **السعي**، وقد سبقته أعمال مهمة، ولكنها قليلة كما تقدم، مثلت في نظرنا مرحلتين متمايزتين [1]:

1- مرحلة السرد التاريخي وتلخيص محتويات الكتاب:وأحسن من يمثلها **في** حدود اطلاعنا إن لم يكن ممثلها الوحيد: البلاغة تطور وتاريخ، للعالم الكبير **شوقي ضيف**الذي أعتبره مدرسة قائمة الذات، **مدرسة التمهيد.**

لا أستطيع اليوم وصف السعادة التي أحسست بها في أوائل السبعينات حين اكتشفته، وأنا في أول الطريق للتّعرف على المكتبة البلاغية. إنه أحد **الجسور البلاغية** التي ينبغي إعادة صياغتها اليوم، وتكميلها وحتى ترميمها. وبهذه **القيمة المصادرية** التمهيدية المدخلية يمتد فينا هذا الكتاب وهذه الكتابة. ويبدو ان أقدم محاولة في هذا الاتجاه قبل شوقي ضيف هي كتاب تاريخ البلاغة **للمراغي** وهو يحمل كل ملامح البداية.

وطابع هذه المرحلة هو السعي إلى المحافظة على الرؤية التراثية، وهي تدخل في هم إحياء التراث والتعريف به، وتقريبه من القراء."

2- "**مرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني واع باختياره وملخص له:** وأكمل عمل يطمح لتقديم رؤية عامة شاملة عن البلاغة العربية في هذا الإطار هو أطروحة **حمادي صمود**: التفكير البلاغي عند العرب:

---

[1]–محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :8.

أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة). انتهى انجاز هذا العمل سنة 1980، وصدر ضمن منشورات الجامعة التونسية سنة 1981." يرى المؤلف إن "الكتابة التقليدية في التراث تعاني من غياب إشكالية "التراث" و"الحداثة" في حين تتجه اغلب التيارات النقدية الحديثة إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة ، ولاسيما مكتسبات اللسانيات."

يقول "محمد العمري" إن الدراسة هذه نمت :"على إمكان هذه القراءة وجدواها فكان لها مكانها ودورها. ولا شك ان هذا التوجه يجد سندا له في الدراسات الغربية التي انطلقت منذ الستينات تؤرخ للبلاغة الغربية، أو تعيد قراءتها وتفسر فعاليتها مع **بارت** (تاريخ البلاغة)، **وجان كوهن وكبدي فاركا وجان مولينو وطامين....الخ**، ففي إطار هذا المدأنجزنا نحن – محمد العمري- أيضا مجموعة من أعمالنا السابقة (كتاب تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية – الكثافة والفضاء والتفاعل، كتاب الموازنات الصوتية في الرؤى البلاغية – نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية، كتاب اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم، كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي) في البعدين التنظيري والتأريخي مستفيدين من عمل حمادي صمود لتكوين تصور عام" [1]. قام البروفسور بالحديث على عدة كتب ليوضح مكانة البلاغة العربية من منظورها العربي و الغربي

وحاول محمد العمري "أن يستغل بعض مقترحات جماليات التلقي في بعدها التاريخي ، مستنيرا بما قدمه HANS ROBERT YAUS في كتابيه:POUR UNE HERMINEUTIQUE LITTERAIRE ، و POUR UNE ESTHETIQUE DE LA RECEPTION. وبذلك نعتبر – محمد العمري- عملنا امتدادا لجهود من سبقونا في هذا الطريق، وبناء يستند الى بناءاتهم" [2].

وقد وسع الباحث مجال القراءة الاختيارات و العملية النقدية و طرح التساؤلات حيث "إن الأسئلة التي تطرحها القراءة تتطلب مبدئيا معالجة بنيوية، تقوم على التحليل والإحصاء، كما تتطلب معرفة سوسيو- أدبية . فهي قراءة تركيبية تعتمد النظرة الشمولية. " يشير الى جمالية التلقي في توجهها التاريخي موضحا في قوله: "لقد أسعفتنا هذه المفاهيم القرائية بشكل جلي في إعادة النظر في موقف الدارسين المحدثين من تعامل الفلاسفة العرب مع التراث الأرسطي، خاصة **كتاب فن الشعر**." يبين الباحث من خلال دراسته انه افتراض التطابق بين أرسطو و الفلاسفة العرب غير موجود و كان اهتمامهم بالقوانين أي تغيير لساني على مستوى بنية اللغة.

[1]–محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :9.

[2]– نفس المرجع، ص :10.

ويقول على مشروع الجاحظ في البيان و التبيين لا نستطيع فهمه إذا درسناه من الجانب الخطابي إلا إذا أدرجنا قراءات ابن وهب فهو: "يرى أن الجاحظ لم يقدم شيئا يستحق الاعتبار في باب البيان. وعلى النقيض من استراتيجية قراءة ابن وهب للبيان والتبين نجد استراتيجية قراءة **السكاكي** لكتاب دلائل الإعجاز أكثر إنتاجية. لم يهتم السكاكي بالمشروع والمنطلقات بل انطلق من المنجز في قراراته النهائية. ابتدأ من آخر ما انتهى إليه الجرجاني، أي النظم وعلم المعاني. انطلق من آخر قناعات الجرجاني حتى ولو كانت مأساوية وهي أن الإعجاز مسألة ذوقية، فنهاية الدلائل هي بداية المفتاح بلاغيا، في حين أن البرهان في وجوه البيان يعود مع الجاحظ إلى المحاسبة على المنطلق نفسه: أنواع الدلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ، هل وفاها الجاحظ حقها أم لم يفعل؟ وحين نقطع النظر عن الخلفية المذهبية التي حضرت كشعار في منطلق مشروع ابن سنان ونعتمد مدخله النظري الإبستمولوجي ومنجزه الفعلي ندرك مدى تقاطعه مع مشروع حازم القرطاجني، بل يترسخ عندنا بأن حازما حاول صياغة المنطلق النظري العلمي المتعلق بالأسس الخمسة للصناعة أية صناعة، مثل ابن سنان، مستفيدا من اجتهادات الرجل مدخلا إياها في إطار نظري أوسع متوسعا في بعض الجوانب غير الموسعة عند ابن سنان مثل المحاكاة. إن حديث حازم عن المعاني يوازي في كثير من خطواته عمل ابن سنان ، بل نجد اشتراكا من مواقف وعبارات كثيرة" [1]. إذ وفى الجاحظ من خلال هذه الدراسات بعض النقائص التي مست الدراسات البنيوية ويقول - محمد العمري -:"إن هذا الطرح من زاوية القراءة جدير بان يجعلنا نتلافى كثيرا من النقص الذي شاب الدراسات البنيوية الصرف ، وكذا الدراسات التاريخية التحقيقية الوضعية غير الوافية بالنمو الداخلي للعلاقات القرائية وما تحمله من تقابلات وتعارضات . إنها تسمح [2]:

- ☜ بمراجعة مفهوم البلاغة المهيمن. وقد صار السكاكي اليوم ككل القدماء جزء من التراث البلاغي، ومن يومها سيدرس (البيان،المعاني، والبديع) كتصور لمدرسة لا كصورة كلية نهائية للبلاغة العربية. ولا أقل من أن يقدم بجانبه مشروع حازم القرطاجني الذي يفتح البلاغة على النقد الأدبي، وعلى كل المقومات الفلسفية واللسانية والشعرية التي تسنده.
- ☜ تسمح بنقل الرصيد البلاغي من وضعية البنية التاريخية الجامدة المرتبطة بعصرها إلى حلقة من دينامية الأسئلة الإنسانية التي يتصل أولها بآخرها تجاورا وتعارضا وتقابلا.

---

(1)–محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :11

(2)– المرجع نفسه، ص: 12

☜ تسمح أخيرا بإعادة الارتباط بين البلاغة وتاريخ الأدب والنقد، أي بالحركة الدائرة حول النصوص الحية وعملية الإنتاج." كثرت المنجزات و المشاريع وتعددت الأسئلة مما أدى إلى انزياح بين الشعر و النثر و المنطق أي أصبح علما قائما بذاته

مجــالات اشتــغالــه العــلــمـي:

محمد العمري "إذا كان "**محمد مفتاح**" – وهو الأستاذ المشرف على أطروحة العمري 1989- " قد تبنى مشروعا نقديا بدأه بلاغيا وانتهى فيه ناقدا معرفيا، فإن **محمد العمري** قد اهتم بالبلاغة القديمة ، باحثا في نصوصها الإبداعية الشعرية والنثرية وما يتصل بهما من خطابات نقدية، عن علاقات التداخل والترابط بين هاتين الصناعتين ودورهما في بلورة مفهوم البلاغة العربية" [1].

حيث يقول :"محمد سالم الأمين الطلبة" في كتابه -الحجاج في البلاغة المعاصرة –إن:" محمد العمري يستعين في عمليته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي – قد لا يوافقه عليه أستاذه محمد مفتاح المفرط في نزعته المفاهمية التجريدية – يجمع إلى القديم وعيا جيدا بالبلاغة المعاصرة، وإحساسا مبكرا ببلاغة الحجاج.

وقد أعرب عن هذا الإحساس وذلك الوعي كتابه : في بلاغة الخطاب الإقناعي 1986.

ثم ترجماته المتعددة لــ: جان كوهين 1986، وهنريش بليت 1989، وفاركا كبيدي 1992، ومارسيلو داسكال 1997. هذا فضلا عن إدارته للعديد من المجلات المتخصصة في الدراسات الأدبية والسيميائية واللسانية، التي أكد من خلالها إحساسه بما لبلاغة الحجاج من دور في الخطاب الأدبي والفني المعاصر" ولقد كان للعمري كتابين أساسيين للبلاغة المعاصرة هما "البلاغة العربية أصولها و امتداداتها "و "كتاب الموازنات الصوتية"فقد اشتغل محمد العمري في كتابه "الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشعرية نحو كتاب تاريخ جديد للبلاغة و الشعر " لتحقيق هدف بالغ الطموح والجرأة انطلاقا من رصد دور الأداء الصوتي- لغة، موسيقى، قافية، صوامت، محسنات صوتية، عروض.......- في تحقيق الدلالة.

حيث توصل من خلال أطروحته "تحليل البنية الصوتية للخطاب الشعري "إلى نتيجة كانت هدفا منطلقا منها مما بين له من دراسة فاعلية الموازنات الصوتية حيث أن: " دراسة الموازنات الصوتية لا تتم خارج أسئلة العروض الذي هو فضاؤها، وأسئلة الأداء المؤول لها. ويتم ذلك كله في إطار حوار بين الصوت والدلالة: بين الانسجام الصوتي والاختلاف الدلالي من جهة، وبين التمفصل الدلالي والتقطيع

[1]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص :255.

النظمي من جهة ثانيةفالتوازن هو في الأساس اتفاق الأصوات واختلاف الدلالة" [1].. لقد أوضحنا – **يقول محمد العمري**- كل ما يتصل بالفاعلية الصوتية في الشعر من خلال ثلاث مباحث هي: الكثافة أو التراكم، والفضاء، والتفاعل الصوتي الدلالي

حيث ان القارئ المهتم " والمتتبع لبحوث **محمد العمري** في مجال البلاغة بصفة عامة ليلاحظ أن ثمة هدفا خفيا يحركه ويشكل بؤر اهتمامه ، وهو التأكيد أولا على وجود بلاغتين متمايزتين في تاريخ النقد العربي: إحداهما بلاغة نثرية خطابية والثانية بلاغة شعرية، وثانيا ما يمكن أن يحدثه تداخل وتفاعل مفاهيم وخصائص كلا الجنسين من ثراء نقدي تأويلي" [2].

لقد تأثر العمري من تدهور البلاغة الشعرية حيث قال :"ولا يخفي **محمد العمري** استياءه مما لحق البلاغة الشعرية من غبن، حيث استبعدت مقولاتها من التحديد العام والحديث للبلاغة. فهو يرى أنه (البلاغة) في المنظور الحديث تعني جهود **السكاكي** في " **مفتاح العلوم**"، والذي ركز فيه على علم المعاني وما يتصل به من خواص التراكيب الكلامية التي تحفظ وتحدد معايير الخطأ والصواب،ويدخل علم المعاني في البيان بمعناه الشامل الذي يضبط قوانين الخطاب الشفوي عامة ويعد الجاحظ من أفضل منظريه." [3]

تعد **الموازنات الصوتية** العمود الفقري لجماليات الخطاب الشعري حيث ان -**محمدالعمري**-:" يقف في هذا الكتاب - الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية- عند خمسة مستويات يرى أنها شكلت الإطار الشامل الذي استوعب الجهود البلاغية القديمة، سواء منها تلك التي رغبت عن الإشادة بالموازنات الصوتية ودورها في الخطاب، أو تلك التي ركزت عليها واهتمت بها. وهذه الاتجاهات الخمسة هي على الترتيب: البديع ونقد الشعر، البيان وبلاغة الإقناع، البلاغة العامة أو الصناعتان، نظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز، نظرية الأدب أو الوظيفة التوازنية" [4]. والملاحظ إن هذه المراحل تعرف تداخل و اشتراكا في المسائل النقدية و ممارسة في إعادة استقراء البلاغة.

لقد اشتغل -**محمد العمري** -من خلال هذا الكتاب على محاولة استجلاء فعالية التوازنات الصوتية في الشعر العربي القديم ، مضيفا بذلك لبنة تطبيقية إلى الجهد التنظيري.

---

[1]–محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية– نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، افريقيا الشرق، 2001، ص: 11

[2]–محمد سالم الأمين الطلبة:الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص :256

[3]–المرجع نفسه، ص:256

[4]– المرجع نفسه، ص:258

وقد أدى هذا المدخل من زاوية الأصوات والإيقاع إلى دخول -**محمد العمري** -في مشروع لإعادة قراءة البلاغة العربية في كتابه " البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" .

ويمكن تلخيص مجالات الاشتغال العلمي **لمحمد العمري** إلى ثلاث:

1 ـ موضوعاتالتأليف[1] :

يرجع الفضل في استعادة البلاغة مكانتها الى العمل الذي قدمه -**محمد العمري**- في كتاباته أو في مؤلفاته و الذي لقي نجاحا كبيرا نظرا لمحاولات التجديد التي نلاحظها و ما أكده قائلا :" لمأجدقطفينفسيررغبةفيتناولموضوعمستهلكلأعيدفيهأفكارامسبوقاإليها.

فمنذاطلعتعلىالتصوراللسانيللشعريةلاحظتالإهمالالذييعانيهالمستوىالصوتيالإيقاعيفبدأتبه،وفيوسط الطريق،ومعظروفالعملالجامعي،لاحظتإهمالالبعد

الإقناعيللبلاغةفتوقفتلبيانأهميته،وبعدإنهاءمشروعقراءةالمستوىالصوتيوالتوجهإلىكتابةتاريخالبلاغة لاحظتإهمالقضيةبلاغيةذاتأهميةكبيرة،أوتناولهابشكلسطحيغيرإجرائي،وهوبلاغةالسخريةالأدبيةفتوق فتمرةأخرىلأرسمالخطوطالعامةلهذهالبلاغة (ظهرتهذهالدراسةالموسعةفيكتاب: "البلاغةالجديدةبينالتخييلوالتداول" (ص:83 ص:137).

وقدتبينليأنكشفهذهالجوانبيساعدعلىقراءةشاملةللبلاغةالعربيةتظهرغناهاوأصالتهاوقدرتهاعلى بالمساهمةفيبناءبلاغةحديثةذاتقدرةوصفيةعالية،وستُظهرهذهالقراءة،حينتتحقق،أنناقدنستعيرمنال جيرانأشياءموجودةفيمكانمامنمنزلنا.

غيرأننيتأكدتأيضاأناستكشافهذهالمساحاتالشاسعةوتمهيدهايتطلبخلفيةمعرفيةتمتدمنعلماء الأصواتإلىالمنطق،وهذاأحدأسبابإهمالها. وبقسمناطالهمع "البلاغةالجديدة" وبعدهصياغةبلاغةعامةللخطاب." الملاحظ ان **العمري** قد قام بالبحث للوصول إلى أهم العلوم و الكشف عنها بطريقة مستعينا بالمعارف السابقة بربط القديم بالحديث و هذا ما يرمى إليه بهدف توسيع ووضع قواعد لبناء معرفة.

2 ـ طريقةالترجمة :

" حاولتفيمجالالترجمة،الجمعبينمطلبكثيراماأدىالاحتفاءبأحدهماإلىالتضحيةبالآخر: الدقةوالوضوح.

---

(1)– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 ديسمبر 2020.

لقدحرصت،إنوفقت،علىأنيكوناللقاءبيناللغتيناتصالاوانفصالافيالوقتنفسه.

وأناقلقفعلامنالترجماتالتييصلفيهاالاستسلامللغةالمترجمعنهاإلىحدودضياعالجملةالعربيةبلهالبيانالعربي،حيثيحتاجالقارئإلىمعرفةالأصللكييفهمالترجمة،كماأنيقلقمنالانهيارالناتجعنالجهلبالرصيدالعربيالغنيفيمجالالبلاغةبمعناهاالواسع: تحليلا للخطابوشروطإنتاجه.

هناكدراساتومؤلفاتتقترحرصيداموازيالرصيدناالبلاغي،مثل"البلاغةوالأسلوبية"**لهنريشبليت**،فهيتستعرضالبلاغةالغربيةلتُدخلهافينسق.

إنترجمةمثلهذاالعملتتطلبمعرفةبالمجالالمقابل،والقدرةعلىتبينالفروقبينتقطيعالبلاغتينللظاهرةالواحدة (وقدأعطينامثالالذا كالكنايةوالمجازالمرسل،حيثالخطأعاموشائعفيترجمةالكلمتين).

وهناكنصوصإبداعيةغامضةحتىفيأصلها،مثلا

الهزليوالشعري**لجانكوهن**،وهيموجهةأصلاللباحثينالمؤهلينومنعلىشاكلتهممننبهاءالىالطلبةالباحثين،وقدحرصنافيالحالتينعلىضبطالمصطلحاتمنمصادرهاالأصلية؛إمافيالمقدمةأوفيالحواشي،كماحرصناعلىتقديممثلهذهالنصوصبمدخليبينالخطةالعامةللنصمساعدةللقارئعلىاقتحامالنص والدخول معهفيحوار،فهذهالنصوصعبارةعنمشاريععلميةتدعوإلىالتأمل.

وبخلافهذهالنصوصهناكنصوصذاتطبيعةتلقينية (بيداغوجية)،إلىجانبقيمتهاالنظريةالعالية. مثل"بنيةاللغةالشعرية"**لجانكوهن**،والنص: بنياتهووظائفهلِفانديك. فالكتابالأوليقدمنظريةدقيقةمنخلالعشراتالنماذجوالأمثلةعلىطولالكتاب،فيساعدبعضهعلىفهمالبعض. والكتابالثانيمرصودللعملالجامعيولذلكعرضالمبادئالعامةوتلافىالتفاصيل. فمثلهذهالأعمالتحتاج،بعدفهمالمقاصد،إلىجملةعربيةسليمة،بقدرماتحتاجإلىدقةالمصطلحواطراده."[1]

3 إنتاجالمصطلح:

"

إذاكانتبلاغةالشعرتقدمفائضامنالمصطلحاتيغنيالباحثعناقتراحمصطلحاتجديدة،إذيكفيهاالاختياروالتنسيقوإعادةالتعريفعندالضرورة،كمافعلنافيكتابي"تحليلالخطابوالموازنات"،فإنبلاغةالحجاجوالإقناعتتطلبفعلاوضعمصطلحاتجديدةتستجيبللنسقالهرميالعاملبناءهذهالنظريةفيالبلاغةالحديثة.

[1]– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 ديسمبر 2020.

وهكذااقترحناعددامنالمصطلحات الأساسيةالتيلقيتالقبول،وأخذتطريقهاإلىالرواج. منذ الكلمة "الخطابية" للدلالةعلىالعلمالذييدرسالخطابة،قياساعلىكلمة "شعرية" التيتتقاسممعهاالخطابالبليغ (وخطابيةهيالترجمةالمناسبةلكلمةrhétoriqueفيمفهومهاالأرسطي،وكثيراماأدتترجمةهذهالكلمةبكلمة بلاغةأوخطابة،علىالإطلاق،إلىالخلطوالالتباس)،واقترحنامصطلحالمستمَع (علىوزنمجتمع) للدلالةعلىالمقامالخطابيحيثيُستحضرالمستمِعوالمكان (ومابنطويعليهمنزمان) فينفسالآن. وهيترجمماتدلعليهكلمةauditoire.

وقدكاناستعمالنالمصطلح "انزياح" فيترجمةمصطلحécartفيكتاب: "بنيةاللغةالشعرية"،حاسمافيتثبيتهذاالمصطلحالمركزيوتغليبهعلىمصطلحاتأخريكانتتنافسه،مثل "فجوة" و "عدول" "وانحراف" و "بعد". وقدرأيناوقتهاحاجةللحوارفيالموضوعفخصصناعددامنمجلةدراساتأدبيةلنظريةالانزياحلقيرواجاكبيرا.

هذه مجرد نماذج مما يقتضيه الحوار بين التراث البلاغي العربي وبين المقترحات النظرية الحديثة رغبة في الوصول إلى نموذج حديث حقا لا يلغي مرجعيتنا."[1]

بإيجاز، فقد بذل الباحث **العُمري** جهوداً علمية متميزة في دراسة البلاغة العربية وما يتصل بمفهوم النص ودراسته، ووظائف البلاغة والخطابة العربيتين قديماً وحديثاً واستطاع من خلال الدراسات اللغوية المعاصرة، ومعرفته العميقة بالتراث البلاغي العربي أن يقدم نموذجاً جديداً لدراسة البلاغة العربية وفق منهج محكم وعرض دقيق. وقد كتب العديد من المقالات العلمية والأدبية، ونشر عدداً من الكتب، وأشرف على تنظيم المؤتمرات الأدبية أو شارك فيها، كما قام بالإشراف على عدد كبير من طلاب الدراسات العليا. وعمل في مختلف المجالس الأكاديمية والجمعيات الثقافية. وهو عضو في اتحاد كتاب المغرب ومشارك نشط في الحياة الثقافية داخل بلاده وخارجها. وقد نال كتابه "تحليل الخطاب الشعري" جائزة المغرب للكتاب سنة 1410هـ/1990م.

كما مُنِح البروفيسور **محمد عبد الله العمري** جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب سنة1428 هـ الموافقة لسنة2007 م بالاشتراك مع مصطفى ناصف، تقديراً لجهوده العلميَّة

---

(1)– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 ديسمبر 2020.

المتميزة في دراسة البلاغة العربيَّة وما يتصل بمفهوم النص ودراسته، ووظائف البلاغة والخطابة العربيتين قديماً وحديثاً، مفيداً من الدراسات اللغوية والأسلوبية المعاصرة .

النظرية العلمية المؤطرة لأبحاثه:

اعتمد الباحث خلال مسيرته البحثية على مناهج لتاطير مشروعه العلمي وحتى يبلغ الباحث غايته المنشودة، ويوفي موضوع المشروع حقه نذكر منها:

أولها: المنهج اللساني البنيوي:

فبعد انكبابه _**محمد العمري**_ على التراث البلاغي تحقيقا و مدارسة من خلال تحقيقه "المسلكالسهلفيشرحتوشيحابنسهل"لمحمدالأفراني؛سارالبحثلديهفيسياقبنيويصرف.

" سمح له هذا الأخير بقراءة نسقية للمستوى الصوتي الذي يعاني من الإهمال، في نظره، رغم كونه يفسر خمسا وسبعين في المئة (75%) من جماليات القصيدة العربية القديمة كان من ثمرات هذه الدراسة انتاج ثلاث كتب هي:

- تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية.
- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم.
- الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية.

وقد جمع الكتابان الثاني والثالث في كتاب واحد عند طبعهما طبعة ثانية، بعنوان: "الموازنات الصوتية في الرؤي البلاغية والممارسة الشعرية".

تناولت الأعمال الثلاثة : الإيقاع في البلاغة العربية والشعر القديم، حيث ادخل الكتاب الأول المادة الصوتية الإيقاعية المبثوثة في البلاغة العربية في نسق دال يفسر فاعليتها ويجعلها إجرائية، وذلك من خلال مقولات أساسية هي: الكثافة والفضاء والتفاعل الصوتي الدلالي.

وقد بين مدى غنى التراث البلاغي العربي وقدرته على توفير المادة اللسانية الواصفة للنص الشعري، في حين قدم الكتاب الثاني خطة لقراءة التراث الشعري العربي ، أما الكتاب الثالث فكان قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي." [1]من خلال هذا المنهج اتسعت مفاهيم العمري في إنتاج العديد من الكتب اعتمادا على التراث أي الاهتمام بالسابق لتتبع اللاحق.

---

[1]–ابتسام بن خراف: تلقي النص البلاغي عند الكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية،مجلة قراءات،مخبر وحدة التكوين و البحث في نظرية القراءات و مناهجها، جامعة بسكرة، العدد الخامس،2013،ص:50

" كما ساربه **البحثعن الأداة المنهجية الحديثة** الى اقتحام باب الترجمة ، فكان أن ترجم مع زميله الأستاذ (محمد الولي) كتاببنيةاللغةالشعريةلجانكوهن،وهوكتاببسطنفوذهعلىكلالمحاولاتالتجديديةفيقراءةالشعرمنوجهةِنظرٍ **بنيويةلسانية**،فيالعالمالغربيقبلالعربي.

وكانمنجملةهمومالترجمةتوحيدالمصطلحاتالتيكانتضاربهايؤديإلىعسرالفهموسوءالتفاهمبينالدارسين. لقداستمرتعمليةالترجمةأكثرمنعامين؛لأنهاكانتمصاحَبة لعمليةواسعةمن القراءةسعيالاستيعابالمرجعيةاللسانيةوالفلسفيةالكامنةوراءالكتاب،منجهة،وضبطالمعطياتالعربيةال مقابلةمفهوماومصطلحا،منجهةثانية" [1].بيانا ان الباحث ترجم الدراسات و المؤلفات منها " كتاب البلاغة و الأسلوبية " _**لهنريش بليت** _و " الهزلي و الشعري " _**لجان كوهن** _و اوضح قيمة النصوص ذات الطابع البيداغوجي و ذات قيمة نظرية عالية مثل بنية اللغة الشعرية و غيرها حيث نجع الكاتب في ترجمته للمصطلحات بصفة صحيحة و دقيقة تتسم بالوضوح، و اجتهادا منه شرع في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي اعتماد على المنهجية الحديثة هذا لغلق الهوة الموجودة بين الباحثين في القديم و الباحثين في الحديث ،مستعينا ببعضالتجاربالغربيةالتيكانلهاصيتحسنعندالدارسينالمحدثينعلىالمستوىالعالميمثل" بنيةاللغةالشعرية" _لجانكوهن_،الذيسبقتالإشارةإليه،وأعمال" كبديفاركا" ،خاصةثوابتالقصيدوالأدبوالبلاغة،ومشروع" هنريشبليت" فيإدماجالبلاغةوالأسلوبيةفيقالبسميائيعاميستثمرمزاياكلمنهمافيالجانبالذيتفوقفيه. وغيرذلكمنالأعمال.

وكانمنثمراتهذاالاحتكاككتابُفي" بلاغةالخطابالإقناعي" ،الذيأردتأنأنبهفيه - يقول _**محمد العمري**– " إلىالبعدالإقناعيللبلاغةالعربية:

هذاالبعدالذيكانحاضرا،عندالجاحظعلىوجهالخصوص،ثمنسيمعهيمنةصياغة" السكاكي" للبلاغةالعربية. وقدأعجبتكثيرافيهذهالمرحلةبعمل" بيرلمان" و" أولبريشت" لعمقهوبساطته،حيثيرتبطمباشرةبأرسطوويسمحباستيعاب" الجاحظ" بيسر. وقدكانهذاالبعدالإقناعيقدغيبفيالبلاغةالعربية. وقد طبق هذاالتصورالبلاغيعلىالخطابةالعربيةفيالقرنالأولالهجريمجتهدافيكشفآلياتهاالإقناعيةالتيتميزهاعنال

---

[1]– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 ديسمبر 2020.

شعر. وكانتدريسالخطابةوقتها- ومايزال معالأسف- يقومعلىالحديثعنالظروفالسياسيةوالاجتماعيةوالاقتصاديةمعتراجممكررةللخطباء،وغيرذلكمماهوخارجبلاغةالنصوصووظيفتهاالحجاجية" [1].

ومن خلال دراسات الموسعة:" مد الباحث عمله فيما بعد نحو الشعر الحديث والنثر الفني مستكملا بذلك دائرة الإيقاع نذكرمنها:

- الإيقاع تنظيرا وممارسة في أعمال محمود السعدي.
- مسألة الإيقاع في الشعر الحديث مفاهيم وأسئلة.
- الشعر في حوار النظم والنثر ،محاولاتفسيرمسارالنثيرةالحديثةفيأفقالحوارالقديمالحديثبيننزوعيالانتظاموالانحلال.

لقد سمح التحليل البنيوي بتحليل بنيات المؤلفات البلاغية وكشف أنساقها الداخلية، والابتعاد عن مكرور الكلام من الأخبار والتراجم والأحكام الجاهزة" [2] حاول تعليل مسار القراءة الحديثة في باب الحوار القديم و الحديث بين نزوحي الانتظام و الانحلال .

ثانــيا: نظرية التلــقي:

ورد الحديث في هذه النظرية من خلال مشروع العلمي بين المأمون و المتاحيقول _محمد العمري_:

"

قدكانتالخطةتقتضيأنأشرع،بعدالانتهاءمباشرةمنالمستوىالصوتي،فيإنجازقراءةنسقيةعلىغرارهاللمستوىالدلالي،غيرأنماسمعتهفيكثيرمنالندواتوقرأتهفيبعضالكتابات

(وهيتبترالنصوصبتراوتقتطفالآراءاقتطافا)

منأحكامحاسمةمجحفةفيكثيرمنالأحيان،ثمماقرأتهفيبعضالأطروحاتالجامعيةمنخلطوسوءفهم،إضافةإلىالاختزالالبلاغةالعربيةفيبلاغةالسكاكي...إلخ،

جعلنيأحسبأسبقيةإعادةالنظرفيتاريخالبلاغةالعربية،بعدأنتكشفتليمعالمها،آملاالتوفيقفيكشفأصولهاوامتداداتها.

---

[1]– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 ديسمبر 2020.

[2]–ابتسام بن خراف: تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري– مقاربة وصفية تحليلية، ص:50 ص:51

[3]_المشروع العلمي السابق نفسه

وقدكانتهذهبدايةَرحلةطويلة،فيهامنالمتعةبقدرمافيهامنالمعاناةوالإرهاق؛دامتأكثرمنعشرسنوات،وكانمن ثمرتهاكتاب: **البلاغةالعربية،أصولهاوامتداداتها** " [3].

ويواصل محمد العمري قائلا: "

منالأسبابالتيسهلتتحوليمرحليانحوتأريخالبلاغةالعربيةاتساعُالاهتمامنذمنتصفالثمانينات**بنظريةال تلقي**.

وقدترجمهذاالاهتمامنطرفنابتخصيصالعددالسادس،وجزءمنالعددالسابع،منمجلةدراساتسميائية لهذهالنظرية.

كماساهمتُمنذالبدايةفيأعمال**"ندوةالتلقي"**التيتنظمهاكليةالآدابالرباطبتعاونمعمنظمةكونرادالألمانية ،وكانتتجريبمدينةمراكش.

فقدكانتهذهالندوةالعلميةالسنويةالتيدامتأكثرمناثنتيعشرةسنةفرصةلتقديمومناقشةالخطوطالأولىل مشروعتاريخالبلاغةالعربية

(كانتبدايةهذهالندوةبمبادرةمشتركةبينيوبينأستاذيمحمدمفتاحالذيظل،حفظهالله،يشرفعليها،ويحر صعلىاستمرارهاوطبعأعمالها). وقدتوجهاهتماميفيهذهالمرحلةإلىأعمال-**هانسروبيرتياوس**- باعتبارهرائداًللاتجاهالتاريخيفي**جماليةالتلقي**.

ومنالأكيدأنهذهالنظريةتسمحبإعادةالنظرفيالأحكامالصادرةفيحقالبلاغةالعربيةمنزوايانظرمختلفة" [1]. لاحظنا أن هذه النظرية بارزة في كتاب "البلاغة العربية أصولها و امتداداتها" انطلاقا من الأسئلة مرورا بالفرضيات وصولا إلى المشاريع و المنجزات و لقد انصب الاهتمام على هذا الجانب في وصل الحاضر بالماضي وان الاستفادة من نظرية التلقي حيث هذه النظريةبارزةكما ذكرنا سابقا منخلالالانطلاقمن "الأسئلةالتاريخية" و"التوقعات" و"المشاريعوالمنجزات" و"قراءةاللاحقللسابق"،وغيرذلكمنقضاياالتلقيوالقراءة. فكتاب "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها " كتاب نسقي، يرصد خطوط الطول والعرض في خريطة زمنية تمتد عبر قرون.

حاول "محمد سالم محمد الأمين الطلبة "من خلال كتابه _الحجاج في البلاغة المعاصرة _تجسيد طموح العمري وما يتبناه قائلا:"فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام، وإن القراءة التي يتبناها محمد العمري تمزج بين المعطيات البنيوية وعلم الاجتماع الادبي ومباحث البلاغة المعاصرة المنجزة، كما تهتم

[1]– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 31 ديسمبر 2020.

بآليات التواصل وتقنياته المتغيرة بسرعة كبيرة في عصرنا الراهن، وهي تقنيات عملت فعلا على تغيير موقع الإنسان (المخاطب، المشاهد، السامع، القارئ...) ، وتغيير علاقته بمحيطه وبمن حوله، وذلك من خلال إعادة تشكيل الأسس والمعايير التي كانت تقوم عليها تلك العلاقات " [1].إن التراث البلاغي مزال متماسكا بزمن الماضي و ذلك من خلال كثرة التساؤلات و توسع دائرة البحث و كثرة المشاورات و المحاورات.

ثالــثا: المنهج التداولي ونظرية الحجاج:

"التداولية العلم الذي يعني بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص، ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال "[2].الملاحظ ان للتداولية علاقة بين بنية النص و بنية السياق وهذا استنباطا لما قدمه صلاح فضل في كتابه بلاغة الخطاب و علم النص , ولقد كان توجه البلاغة نحو الأثر **التداولي** يظهر في تقسيمها منذ القدم، بين ثلاثة أنماط أساسية من **المقصدية**، واحد منها **فكري** واثنان **عاطفيان**، أحدهما معتدل والثاني عنيف (انفعالي أو تهييجي)كماوضح _هنريش بليت _في كتابه "البلاغة و الاسلوبية ":

1- "**المقصدية الفكرية:**

وتضم مكونا **تعليميا** ومكونا **احتجاجيا** ، ومكونا **أخلاقيا**، وليست هذه المكونات منفصلة بعضها عن بعض، بل إنها متداخلة على الدوام.

☜ "**الغرض التعليمي:**ويهتم بإخبار المتلقي بواقع ما دون استدعاء العواطف. ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب، كما يقوم أيضا على تقديم موضوعي (كما في النصوص العلمية والإخبارية).

☜ **الغرض الحجاجي:** ويتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل. ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة المادية (الحجة غير الصناعية) المعتمدة على الوقائع الموضوعية (العقود والشهادات) ، وعلى الخلفية العامة المكونة من آراء المجتمع (ما يهم الأخلاق مثلا)،

---

[1]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 259.

[2]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992، ص: 21.

ويتحقق هذا الغرض، من جهة أخرى، بالحجة المنطقية وشبه المنطقية (الصناعية) ، التي تسير من الخاص إلى العام (الاستقراء)، أو من العام إلى الخاص (الاستنباط). "[1]

والهدف من هذاهو جعل غير المحتمل محتملا، وغير الأكيد أكيدا. يمتد هذا النشاط إلى الجانب البرهاني للخطاب (الاحتجاج) ، كما يمتد إلى أي شكل من النصوص الاحتجاجية (مثل العرض السياسي).

- "**الغرض الأخلاقي:** ويتعلق بتعليم المجتمع في مجال الأخلاق، يتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية، كما يتضمن دعوة إلى العقل. وتسجل عناصر النصح هنا الانتقال من المقاصد الفكرية إلى المقاصد العاطفية،إن هذا المقصد الأخلاقي يظهر في جميع النصوص التعليمية "[2]من خلال هذه القراءة للغرض الأخلاقي نلاحظ تداخل بين الغرضين السابقين التعليمي والحجاجي معا، اي توجد استمرارية و تماسك على الدوام وهذا ما تستحقه البلاغة في بناءها و تطورها.

2- "**المقصدية العاطفية المعتدلة:**

وتضم مكونين ، مكــونا غائـــا، ومكــونا غير غائـــي. وهما معا ينتجان انفــعالا خفيــفا (التعاطف مثلا) ، يحمل اسم ايطوس (ethos) "[3].

- "**المكـون الغائـي** :وغرضه الظفر باقتناع الجمهور بواسطة الايطوس، ولذلك ينبغي أن يكون هدف الإقناع **خارج النص** (شراء شيئ ما مثلا). يظفر هذا المقصد في مدخل الخطاب، وكذا في جميع النصوص الأخلاقية (مثلا الكوميديا، والنص الإشهاري).
- **المكـون غير الغائـي:** وغرضه المتعة الجمالية للجمهور، وغياب العزم (أو النية) كامن في **إحالة النص على نفسه** (الفن للفن)، والغرض الانفعالي موجود في "الإشباع المترفع" (كانط). ومظنةٌ هذا المكون أدب المدح، بل الشعر الرمزي أيضا (أسكار وِلْدْ)

3- **مقصدية التهييج:**

---

[1]– هنريش بليت:البلاغة والاسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق –محمد العمري– افريقيا الشرق، 1999، ص :25.

[2]– هنريش بليت:البلاغة والاسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص: 26.

[3]– المرجع نفسه، ص:26

وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة (الحقد، الألم، الخوف) التي تسيطر على الجمهور. إنها لا تمثل مثل "الإيطوس" انطباعا قارا (حالة نفسية)، بل هي تهييج وقتي (انفجار عاطفة ما). إنه "الباطوس" (pathos) الكلاسيكي...وفيه تبلغ السيكولوجية المقصدية للباعة ذروتها. "[1]

فالنظرية التداوليةتبنى على مقامات منها ما هو مقام خطابي ومنها مقامان تطبيقيان يقتضيان فصاحة إلقائية و فصاحة لغوية ،و قد كانت نقطة انطلاق هامة للنص مقام الخطاب القضائي و هي البلاغة الكلاسيكية [2].

تحدث " محمد سالم محمد الأمين الطلبة " عن المقام التشاوري و المقام الاحتفالي (المترجم)،ويرى -محمد **العمري**- كما ذكرنا سابقا :"أن التراث البلاغي العربي لا يزال ممتدا في الراهن بقوة نظرا إلى عمق أسئلته التي يطرحها وتماسك بنائه. أما سؤال **المناسبة المقامية التداولية** فارتبط بالبحث عن عملية إقناعية خطابية من جهة، وبملاءمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الإعجازية (أو ما يمكن أن ندعوه تداولية لسانية في مقابل التداولية المنطقية الاقناعية النصية) ، وارتبط من جهة ثالثة بالبحث عن بلاغة كلاسيكية ذوقية تقوم على الصحة والمناسبة. وهكذا بدأت تتبلور في النقد العربي وفي وقت مبكر بلاغتان، إحداهما شعرية بديعية، والأخرى تداولية بيانية حجاجية "[3].فالحجاج عنده أهمية بالغة تناوله خلال تتبع حياة البلاغة العربية و صولا من خلال قراءته إلى الأبعاد حيث يركز -محمد **العمري**- في قراءته هذه على:"استكناه **الأبعاد التداولية** في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنحو والمنطق والنقد،فمن جهة الحجاج يرى إن الحاجة إليه والاهتمام به قد برزا بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية، عندما صار التسلح بالوسائل **الحجاجية** البلاغية اللغوية أمرا ضروريا للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة، ولمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة ثانية.وقد برزت أهمية **الحجاج** خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام اللهوقضية خلق القران والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الأليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية ما على غيرها. " [4]

---

[1]–المرجع نفسه، ص:26 ص:27

[2]– ينظر، هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ص: 29.

[3]–محمد سالم محمد الامين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص:260.

[4]–المرجع نفسه، ص :261.

لكن محمد العمري يرى إن : " هذه المرحلة القرائية التي بدأت منذ القرن الثاني واستمرت الى الرابع، لم يتجاوز أصحابها طرح السؤال المنهاجي والخوض في قضية اللفظ والمعنى والنظم دون التحول إلى الإجراءات اللسانية التفصيلية لاستيعاب الأوجه البديعية وتفسيرها."[(1)]

ويرى محمد العمري في قراءته هذه أنه: " فضلا عن عوامل نشأة البلاغة العربية وتطورها وروافدها ، فإن ثمة مستويات أساسية لا بد من الوقوف عندها، لأنها تمثل النضج البلاغي النقدي والتداولي من جهة، وتوضح السعي المبكر من بلاغيينا لوضع نظرية بلاغية تستجيب للمتطلبات السياسية والفنية والاجتماعية من جهة أخرى. وهذه المستويات الثلاثة تتمثل في البدايات التداولية، ثم البلاغة المدعومة بالنحو و المنطق، وأخير البلاغة النقدية أو النقد البلاغي"[(2)].

ونجده يتطرق إلى علم البيان و العلاقة التي تربط بين أنواعه، بين التشبيه والاستعارة من جهة، والكناية والمجاز من جهة أخرى، نظرا الى درجات التوظيف المتعددة لهاتين الثنائيتين في الخطاب الأدبي واليومي، حتى أن بعض الاستعارات الفنية أصبحت مع الاستعمال ضمن الخطاب اليومي و للبرهان على دور الاستعارة في بلاغي الحجاج و الشعر فقد استثنى العمري دور الجرجاني في تقديمه للتمثيل،بحيث صورها أعمق و أوسع مشابهة استعارية :" فالتمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني و أبرزت هي باختصار في معرضه كساها أبهة و رفع من أقدارها..... و ضاعف من قواها في تحريك النفوس لها و دعا القلوب اليها، وهو ان كان احتجاجا كان برهانه أنور سلطانه افهم و بيانه ابهى."[(3)]

ويقول -محمد سالم الأمين الطلبة - في كتابه :" الحجاج في البلاغة المعاصرة" ان -محمد العمري- يرى:" أن الجرجاني توصل إلى هذه الفكرة وحدد لها مقاييس: فليس كل غموض يعد فنيا، إذ قد يكون ناتجا عن سوء ترتيب الألفاظ، وهذا النوع مذموما لأنه يتطلب جهدا ذهنيا زائدا على المقدار الذي يجب أن يكون في مثله، لذا ينبغي أن يكون المعنى لطيفا عجيبا حتى يكون الجهد الذهني المبذول في مبررا، كما أنه لابد من وضع علامات على طريق المعنى حتى يهتدي بها القارئ ، المخاطب، السامع ، في ظلمة ليل المعنى "[(4)].

---

(1)– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ص:154

(4)– المرجع نفسه، ص :262.

(2)– محمد سالم محمد الأمين الطلبة:الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص: 264.

(3)– عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة ،تحقيق :محمد رشيد رضا،بيروت،دار المعرفة،1981،ط1،ص:93 ص:94

(3)–محمد سالم الأمين الطلبة:الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 268.

ويعد **المنهج التداولي** أنجع وسيلة إجرائية لمقاربة النص الخطابي، حيث سمح بتوضيح السبل **الحجاجية** التي تجنح إلى الإبتعاد عن الاستدلال البرهاني والمعتمدة في التأثير والإقناع والاستمالة، فضلا عن أنه كشف عن جوانب مقام الخطاب ، ومن ثم إبراز مقاصد المتكلم وأثرها في المتلقي.

وختاما لهذا الفصل يمكن أن نقول أن-**محمدالعمري**-يُعَدُ أحدأبرز البلاغيينالعربالمعاصرينالذينأسهموافيتجديدمفهومالبلاغةوتطويرهتنظيراوإنجازا؛فقدمكنمنج زهالعلميوالأكاديمي -المدركوالمُتَخَيَّل- منبناءمشروعيؤسسلمنهججديدفيقراءةمختلفأشكالالتعبيراللغويوالجماليوالأيقوني،وتتبعالموروثالبلاغ يفيمختلفمستوياتتشكلهواشتغاله،تتبعالايكتفيبمتابعةالأصولومراحلالتطور،بلينشغلأيضاوأساسابال نظرفيطرائقامتدادتلكالأصولوبداياتهاالأولىفيالسياقاتالتاريخيةوالمعرفيةاللاحقةلها.

ولئنكانقدأسسبصنيعههذاالمقاربةنسقيةللبلاغةالعربية – تؤكدأنفهمالسابقرهينباستيعاباللاحق – فقدأسهمأيضافيإحياءالتصورالحيويالعميقوالأصيللبلاغةوالمنفتحعلىأسئلةالحاضروإشكالاتهوتحدي اتهاالحضاريةوالدينيةوالسياسيةبأنردمالهوةبينهاوبينالانشغالاتاليوميةللإنسان،فلمتعدالبلاغةعنده ضربامنالتنميقالجماليللخطابفقط،ولامستوىمنالتحليلالأسلوبيوالتركيبيللنصوصالشعريةوالنثريةفح سب،بلصارتكذلكوسيلةللتفاعلمعالمجتمعومواكبةنقاشاتهحولقضاياهالعامة،وتحليلمستوياتالإجابةوا لمقارباتلماتطرحهمنأسئلة،وماتدعوإليهمنمواقف.

والقارئ**لمنجز-محمدالعمري**- يلاحظهذاالمسارالذيوسممسيرةالبلاغةلديه،ومكنهمنالتأسيس – بإسهاماتهالعلميةوالأكاديميةوالجمالية – لمشروعرائدفيدراسةالبلاغةوإحيائهامنجديد؛وهومشروعتشكلتعناصرهوقامتلبناتهعبرالبحثفيمستوياتمتع ددة،واختلفتمسافاتهومستوياتهنتيجةتحولاتفيالرؤيةوالتصور،وانعكستعلىالمقاربة؛فبعدانكبابهعلىالتراث البلاغيتحقيقاومدارسةمنخلالتحقيقه "المسلكالسهلفيشرحتوشيحابنسهل"لمحمدالإفراني؛ساربالبحثلديهفيسياقبنيويصرفأثمرالعديدمنالبحوث أبرزهاكتاب: "تحليلالخطابالشعري: البنيةالصوتية"وكتاب "اتجاهاتالتوازنالصوتيفيالشعرالعربيالقديم"،وكتاب "الموازناتالصوتيةفيالرؤيةالبلاغية"،وترجمتهلكتاب "بنيةاللغةالشعرية"لجانكوهن (بمشاركةمحمدالولي)؛ليوليانشغالهالعلميوالأكاديميبعدذلكشطرمقارباتتغنيتوجههاالأولبرؤىجديدةتنفتح

علىالنظرياتالأدبيةالجديدةوهوماتمثلهدراساتهفيبلاغةالخطابالإقناعي، "الاتجاهاتالسميولوجيةالمعاصرة"لمارسيلوداسكال (معآخرين)، "البلاغةوالأسلوبية"لهنريشبليت، "نظريةالأدبفيالقرنالعشرين"،لتنتهيمرحلةالبلاغةفيدروبنظرياتالحجاجمنخلال: "البلاغةالعربيةأصولهاوامتداداتها"،وكتاب "دائرةالحوارومزالقالعنف"،وكتاب "البلاغةالجديدةبينالتخييلوالتداول"،وكتاب "منطقرجالالمخزنوأوهامالأصوليين"،هذابالإضافةإلىالمنجزهالسردي: سيرتهالذاتية "أشواقدرعية"،وروايته "العودةإلىالحارةوزمنالطلبةوالعسكر".

ويتبينأن**أعمال-محمدالعمري**-

أسهمتفيتطويرآلياتالنظرالبلاغيوالمقاربةالمنهجيةعبرمتابعةالموروثالبلاغيالعربيالقديممتابعةتتجاوزالقراءةالعابرة،أوالهاوية،لتعيأنساقهالفكريةونظمهاالإصطلاحيةوالمفهومية،كماأغنتالمكتبةالعربيةفيالمجالياللسانيوالفلسفيالمنطقيوغيرهمامنعلومااللسانوالإنسان،علىنحوأعادللبلاغةتوهجها،وجعلهاعلماكلياللخطاباتالتخييليةوالتداوليةالهادفةإلىالتأثيروالإقناعأوهمامعاإيهاماأوتصديقا،الأمرالذيمكنهمنإعادةالاعتبارللبلاغةعبربناءنظريةحديثةوعامةتستوعبماهو**تخييليوحجاجي**،وتنفضالغبارعنالمكونالإقناعيالحجاجيوالمعرفيالعامللبلاغةالعربيةالذيظلمهملاعبرتاريخطويلمنالمدارسةوالتحليلوالتنظير،ممامكنهمنالإسهامفيبناءنموذجبلاغييستوعبالخطابينمعا

فيسياقمايسمى**بالبلاغةالعامة**.

تجليات حسه النقدي في وعي التراث البلاغي العربي.

- **معالم الاستكشاف التاريخية في البحث البلاغي العربي لدى القدماء.**
- **دواعي ومسوغات حسه النقدي في مكاشفة التراث البلاغي.**
- **منهج أليات القراءة النقدية البنيوية في تفكيره البلاغي.**
- **تداخل الرؤيا النقدية بالتفسير التاريخي.**
- **العدة المصطلحية.**
- **دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومو اقف نقدية).**

مقـــدمـــة

يتكلم "عبد العزيز إنميرات" عن التراث في كتابه " مناهج قراءات التراث في الفكر النهضوي العربي" قائلا: " التراث ضروري بكل المقاييس ، لا من أجل تحقيق شرط التواصل بين الازمنةالثلاثة (الماضي و الحاضر والمستقبل)، ولا من أجل تحقيق بحث إمكانات التقدم ....ولكن من أجل تحقيق الهوية والحفاظ على وجود الأمة بموازاة مع واقع رفع التحدي الحضاري الذي نعيشه " [1].التراث هو نقطة انطلاق مشروع الأمة وهو الركيزة الأساسيةالتي تبنى عليها المقاييس حينها يوضح محمد علي الصلابي في كتابه الدولة العثمانية أسباب السقوط و عوامل النهضة اهتمام الدارسين به قائلا :"قد انطلق الدارسون في العصر الحديث والمعاصر نحو الاهتمام بالتراث اللغوي العربي. والحق ان بداية الاهتمام بالتراث اللغوي العربي كانت مرتبطة بحملة نابليون على مصر (1798 – 1801)، وهي المرحلة التي بدأت فيها الثقافة العربية تنفتح على الثقافة الغربية، وساهمت في تحقيق تغيرات جذرية لها علاقة بالجانب اللغوي، إذ وضع نابليون قانونا جديدا يحكم به المسلمين غير شريعة الله، وهو ما استفز الشعوب العربية، وعمل على تنمية الشعور والنهضة بمختلف نواحي الحياة الفكرية والثقافية"[2].

حيث حاولوا استعادة أو بعث مقاييس لعلم جديد ومن الأمور المتعارف عليها أنه ليس هناك أي علم من العلوم النظرية أو التجريبية برز إلى الحياة مكتمل الأصول والظواهر، وإنما الذي ثبت على مر التاريخ أي فرع من فروع المعرفة ينشأ نشأة تدريجية، يبدأ بلبنة أو لبنات قليلة، ثم تتكاثر هذه اللبنات ، وتتطور بجهود المشتغلين بذلك العلم والدارسين له، وما يلبث أن ينضج ويزدهر.

وإذا عدنا إلى البلاغة كعلم من هذه العلوم وتساءلنا عن مدى التطور الذي لحق بمناهجها خلال هذه العقود، لوجدنا أن لغته جنحت محاولات للمواءمة بين معطيات بعض الفروع المتطورة في الدراسات اللغوية والأدبية والفنية، وبين بعض الأسس في علوم البلاغة التقليدية.

حيث هذا نتاج يحاول معالجة بعض الفصول كما قال: "أحمد درويش "في كتابه -النص البلاغي في التراث العربي الأوروبي: "هذه المحاولات الجزئية في إنعاش بعض الفصول من البلاغة القديمة ، تعني أن هذا الفرع قد وجد مكانته التي يمكن أن يؤدي من خلالها دورا حقيقيا في خدمة الفكر الأدبي العربي، فتلك المكانة لم تزل بعد هدفا، وإن الطريق إليهاغير قصير، وربما علينا ونحن نبحث حول إمكانية

---

[1]– عبد العزيز إنميرات:مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2013، ص: 40.

[2]– محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية أسباب السقوط وعوامل النهضة، دار البيارق، ط1، 1999، ص: 538.

تحقيق هذا الهدف، وأسباب غياب تلك المكانة، أن نتذكر الرصيد الطيب الذي تحتفظ به كلمة "البلاغة" في ضمير المجتمع الأدبي المعاصر، وإن هذه الكلمة كانت تعادل مصطلح "الأدب" حتى الربع الثاني من هذا القرن، وذلك ما دفع واحدا من رواد الدراسات الأدبية الحديثة وهو " أحمد ضيف" إلى أن يقدم محاضراته في الجامعة المصرية 1918 تحت عنوان " مقدمة لدراسة بلاغة العرب". فمصطلح البلاغة يستخدم من قبل **ناقد** عربي حديث استخدامًا يؤكد من قيمته و يوسع من مجاله"[1].

ولا شك في أن العرب مارسوا **نقد** الشعر أو **نقد** الكلام جملة، قبل ظهور المصطلح بزمان طويل.

هنا يوضح "هاري شو" في مادة **النقد على أنها : "** تقييم وتحليل فكري متعدد الجوانب. وتنحدر كلمة (criticiam نقد) من الكلمة الإغريقية kritikos، التي تعني (القاضي). ومن هنا يكون النقد تلك العملية التي تزن، وتقيم، وتحكم" [2].

أما كلمة "النقد " عند العرب يقول احمد بن فارس (ت 395 ه) في معجم مقاييس اللغة: " النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه. وتقول العرب : مازال فلان ينقد الشيء، إذ لم يَزلْ ينظر إليه". ويستفاد من هذا الأصل في مادة (نقد) أن تعني الإبراز والبروز والكشف عن حال الشيء من جهة جودته أو رداءته"[3].

فكلمة النقد تستعمل عادة بمعنى العيب،ومنه حديث "أبي الدر داء":<<إذا نقدت الناس نقدوك و ان تركتهم تركوك >>أي إن عيبتهم.

ويقول ريتشاردزفي كتابه مبادئ النقد الأدبي: " إن مؤهلات الناقد الجيد ثلاثة: أن يكون ماهرا في اختبار حال العقل إزاء العمل الفني الذي يحكم عليه، من دون اشتطاط. وأن يكون قادرا على التمييز بين الملامح الأقل سطحية للخبرات. وأن يكون خبيرا متمرسا بالقيم "[4]. و النقد فن من فنون مجال الأدب يدرس التحليل و التفسير و تقويم. يتحدث أبو القاسم محمد كروا عن النقد الأدبي في كتابه دراسات

---

[1]– أحمد درويش:النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص:6 ص:7.

[2]– عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب– مدخل الى نظرية الادب العربي، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، ط 9، 2012، ص :21.

[3]– المرجع نفسه، ص: 17.

[4]– المرجع نفسه، ص: 22.

في الأدب و النقد قائلا : " و من الحقائق المقررة أن النقد الأدبي نشأ مع اللأدب جنبا إلى جنب و تطور معه يوما بعد يوم "[1].

ولما كان موضوع دراستنا الحالية تركز على أحد النقاد العربيين المعاصرين " **محمد العمري**"، ونظرا للموضوع الذي شغل به هذا الفصل، فقد كان من المنطقي منهجيا التطرق إلى قضية على جانب كبير من الأهمية، هي قضية تجليات الحس النقدي لدى محمد العمري في وعي التراث البلاغي العربي، وذلك من خلال الخوض في معالمالاستكشاف التاريخية فبالبحثالبلاغيالعربيلدىالقدماء، ودواعي ومسوغات حسه النقدي في مكاشفة التراث البلاغي، وكذا منهج آليات القراءة النقدية البنيوية الذي اعتمد عليه في تفكيره البلاغي، كما تم إبراز العدة المصطلحية، ثم ختم هذا الفصل بدراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته(نصوص ومواقف نقدية).

معـــالم الاستكـشاف الـتاريخـية في البحث البلاغـي لدى القدمـاء

الحق أنّ الدرس البلاغي العربي القديم ، كان ذا تأثير بالغ في مسيرة النقد العربي حتى يومنا هذا، ومازالت أغلب أدواته هي عدة النقد الأساسية، ومن ثم كان الأمر في حاجة إلى معاودة النظر في مباحث البلاغة، حملة وتفصيلا، للإمساك بتصور شمولي يجمع بين مفرداتها من ناحية، والكشف عن تحول عميق لتحولاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى.

وقد أبدى محمد العمري اهتماما كبيرا بإحياء البلاغة العربية القديمة وهذا ما لوحظ في كتابه أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة قائلا:"والتنبيه إلى المكون المهمل من التراث البلاغي، ذلك المكون الذي غطاه الصدأ واختلط تبره بترابه. وعلى هذا الأساس أعدنا – يقول محمد العمري- الاعتبار للبعد الحجاجي والإقناعي والمعرفي العام للبلاغة العربية ، بعد أن عمقنا البحث في بعض الجوانب المهملة من البناء الشعري (البنية الصوتية). اقتضى كشف كل هذا الغنى (تنسيق) البلاغة العربية تاريخيا ليكون ذلك النسق حجة على أن البلاغة التي نسعى لبنائها ليست غريبة على التراث العربي، وهكذا كان كتابنا (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) خريطة لتلك الأرض التي ضاعت من البلاغة في ظروف انكماشها" [2].

---

[1]– أبو القاسم محمد كروا : دراسات في اللأدب و النقد ،دار المعارف ، سوسة ، تونس ، سنة1989م. ص: 99.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، افريقيا الشرق، 2013، ص: 5.

يوضح محمد العمري من خلال قراءته التركيز على معالجة النقائص التي شهدتها البلاغة ، و يهدف إلى صياغة مفاهيم كلية و ازدهار الحقل المعرفي لها ، و كذلك البحث في منابتها و كان كتابهالمعنون ب: البلاغة العربية أصولها و امتداداتها تضم المعارف التي ذهبت سودا و تركتا،حينها قام محمد العمري بعملية تأصيلية لاستكشاف المعالم التاريخية للبحث البلاغي ، وخلص إلى أن النشأة الاولى للبلاغة كانت من مصدرين، اكتشاف من الداخل - داخل المنجز اللغوي- وتمثلت معالمه في نقد الشعر واختياره، واكتشاف من الخارج – خارج الاهتمام البلاغي الصرف-وتمثلت معالمه في تقنين اللغة والفكر، وتنزيه الدين والإعجاز القرآني، والانتقال من السؤال المعرفي الى السؤال البلاغي ، وفي القراءة العربية للبلاغة اليونانية.

أولا:"الاكتشاف من الداخل:

وقد أنجزت عن طريق تأمل النص الشعري مباشرة (نقد الشعر واختياره)، أي عن طريق الملاحظة المباشرة والاختيار الفني،

ظهرت منذ العصر الجاهلي ملاحظات وتعليقات واصفة، أو مآخذ على القول الشعري الذي صار موضوع تأمل، ثم توسعت هذه الملاحظات وتكاثرت خلال العصر الاسلامي والأمويإلى أن ثارت الخصومة بين القدماء والمحدثين حول الأسبقية إلى مجموعة من الصور سميت **بالبديع**، فكانت بداية التأليف مع **ابن المعتز**"[1].

كان **ابن المعتز** من المنصفين لبعض الشعراء أمثال **أبي تمام** و لم تكن أحكامه أحكاما عامة و كان يقول عنه أنه يقدم المحاسن و يعللها حيث كان ابن المعتز معجبا بفنه من رغم لوم له في إفراطه في البديع ،و هذا ما ورد في كتابه "البديع" يقول **ابن المعتز**: " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبانواس ومن سلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكن كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه" [2].

لقد كثرت الاتجاهات في هذا العصر مما أدى إلى نشاط الحركة الثقافية و الكتاب البلاغي في التراث العربي و الأوروبي لصاحب أحمد درويش قال : " وكان من بين الاتجاهات التعبيرية ما أطلق عليه في

[1]– ينظر، محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :19،ص:20

[2]– أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، ص : 73.

الشعر خاصة مصطلح **البديع** ، وهو الاتجاه الذي كان يمثله شعراء المحدثين، من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وبشار بن برد وأبي تمام، فقد عرف هؤلاء باسم "شعراء البديع"،ويقال أن أحد هؤلاء الشعراء وهو مسلم بن الوليد المتوفى سنة 208هـ هو الذي أطلق هذا المصطلح وشاع من بعده "[1].

والملاحظ أن **ابن المعتز** لم يكن موقفه دفاعي في معظم ما كتبوه أمثال أبي تمام و إنما كان يتهجم عليه و يذكر مساوئه في الكثير من مؤلفه ،و الجاحظ كان من بين المؤلفين الذين استعملوا هذا المصطلح في كتابه البيان و التبيين .

ومواصلة الحديث عن البديع عند **ابن المعتز**قال أنه:"قريب من البلاغة ، لكن هذه البلاغة كانت تجري من قبل على ألسنة الناس، ويتخلل كلامهم استعارة طريفة من هنا ، أو جناس غريب من هناك، إلى أن جاء الشعراء المحدثون ، وأرادوا أن ينقلوا ذلك التعبير إلى اللغة ذاتها من خلال تعمد إلباسها أثوابا من هذا البديع، وكانت لتلك المحاولات ردود أفعال متباينة، وبعض الذين يستحسنونها يظنون أنهم أمام "لغة بلاغية جديدة" ، لم تكن اللغة القديمة تعرف مثيلا بها، وبعض الذين يتعصبون ضد المحاولة الجديدة يحتمون بالتراث معلنين أن ما يسمعونه من شعراء البديع هؤلاء تقاليد لم يعرفها "أدب التراث" ولا يقرها"[2].

نرى أن تعريف ابن المعتز لمصطلح البديع كان دقيق الملاحظة حيث جدد في الخصائص الفنية للبديع و حصرها في خمسة أبواب ،و المعروف أن ابن قتيبة كان يسوي بين القدماء و المحدثين و كان شذ على ذوق اللغويين على عكس ابن المعتز ،حيث قال شوقي ضيف ،في كتابه البلاغة تطور و تاريخ لقد كان **ابن المعتز**:"معتدلا في نظرته وحكمه على شاكلة الجاحظ وغيره من المتكلمين، فهو يسوي بين المحدثين والقدماء في الإحسان مع شيء من الاحتياط إزاءهم جميعا، وهو احتياط جعله يعقب على شواهدهم الرائعة في فنون البديع بما يعاب من كلامهم وأشعارهم جميعا. فهو يستحسن حين ينبغي الاستحسان ويستهجن حين ينبغي الاستهجان بغض النظر عن القدم والحداثة، إذ المعول على الحسن الذاتي لا على الزمان ولا على المكان. ويكفيه فضلا أنه أول من صنّف في البديع ورسم فنونه وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البينة والشواهد الناطقة بحيث أصبح إماما لكل من صنَّفوا في البديع بعده ونبراسا يهديهم الطريق "[3].

---

[1]– أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي ، ص :76.

[2]– المرجع نفسه ، ص : 77.

[3]– شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ، ص :74، ص:75.

فيقال لكل مقام مقال فالجدير بالذكر أن ابن المعتز بنى مقاما للبديع وجعله في أحسن حلة من تنظيم و تصنيف فضلا له مما قدم من علم ونير الطريق لأسلافه.

واشتمالا على ما قيل وضح محمد العمري في كتاب البلاغة العربية أصولها امتداداتهاعن انتقادات الباحثين و العلماء قائلا:"وانطلق تقليد كتب البديع والبديعيات . تغذت هذه الكتب من الخصومات النقدية، فتكاثرت الصور والأمثلة والتعريفات. فشكل عمل النقاد التطبيقين والبديعيين المرحلة الأولى، مرحلة الملاحظات المنبثقة من الموضوع نفسه. ومن هذه المجموعات تغذت كتب التنظير النقدي(**قدامة مثلا**)، والبلاغي الجرجاني فيما بعد، عبر معالجة الاعجازيين الانتقائية كما مارسها **الباقلاني**"[1].

إلى جانب هذا المسار النقدي البديعي كانت عملية اختيار الشعر والنثر أيضا مسعفة في كشف الصناعة البلاغية والتمهيد لطرح الأسئلة حولها. كما في اختيار **أبي تمام** على أسس جمالية وفكرية وأخلاقية في الحماسة والوحشيات.

يذكر العمري في كتابه بإخبارنا عن ما قال عبد اللهالطيب عن **أبي تمام**: " لقد كانت له مقدرة خارقة على تمييز الشعر الجيد من الشعر غير الجيد، حتى أن بعضهم يحتكمون إليه، لقد كان من هذه الناحية ناقدا تطبيقيا "[2] .

وفي شرح **المرزوقي** لجانب هذا الاختيار(الحماسة). هذا الشرح الذي يمكن اعتباره من أهم كتب البلاغة التطبيقية قبل وجود البلاغة كنظرية. وذلك فضلا عن الأسئلة المباشرة التي طرحها المرزوقي حول عمود الشعر في مقدمة شرحه قائلا : "وقد كشفت مقدمة المرزوقي بصورة طبيعية وملموسة عن وشائج القربي بين الاختيار والنظرية النقدية. لقد حاول المرزوقي كشف شرائط الاختيار في عمل أبي تمام فأوصله ذلك إلى البحث عن عمود الشعر من جهة، وطبيعة التلقي من جهة ثانية. فتحدث عن سبع خصوصيات بنائية ، كما تحدث عن المطبوع والمصنوع، ومن يقدم هذا ومن يقدم ذاك. وهذه الأسئلة هي الأسئلة البلاغية كما سيصوغها عبد القاهر الجرجاني فيما بعد: ما الذي يجعل بعض الكلام أحسن من بعض؟.بل نجد ربطا صريحا بين الاختيار والنقد عند بلاغي مشهور ، مات قبل المرزوقي بربع قرن، هو **العسكري**، انتقد اختيار اللغويين ورأى أنه غير مبني على أسس بلاغية "[3].

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :20.

[2]–المرجع نفسه ،ص :67.

[3]– المرجع نفسه،ص:68.

و كان المرزوقي : (-1427 هـ) من السابقين إلى توضيح الاختلاف في مذهب أبي تمام في اختيار الشعر عنه في نظمه، فقد بين مذهبه في قول الشعر و أعقبه ببيان مذهبه في اختياره فقال :"إنّ أبا تمام معروف المذهب فيها يقرظه ، مألوف المسلك لما ينظمه ، نازع في الإبداع إلى كل غاية ، حامل في الاستعارات كل مشقة ، فتوصل إلى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف و بماذا عثر فتغلغل إلى توعير اللفظ و تغميض المعنى"[1].

فهذا وصف المرزوقي لأبي تمام في النظم أما رأيه في مذهبه في اختيار الشعر فقال : " وعادل فيما أنتجه في هذا المجموع عن سلوك معاطف ميدانه ، و مرتض ما لم يكن فيها يصوغه من أمره و شأنه ، فلقد فليته فلم أجد ما يوافق ذلك إلاّ اليسير ، و معلوم أن طبع كل امرئ _ إذا ملك زمام الاختيار _ يجذبه على ما يستلذه و يهواه ، و يصرفه عما ينفر منه و لا يرضاه"[2].

وبعد أن بين "المرزوقي" مذهب أبي تمام في نظمه ، و اختياره له و علل سببذلك الاختلاف إلى أن مذهب أبي تمام في نظمه ناشئ من شهواته لقوله الشعر على حين أن مذهبه في الاختيار منطلق من استجادته للشعر الذي يروق و يصوغ ، و الشهوة لقوله الشعر تنتج الحسن و الرديء و لكن الاختيار و الإستجادة لا تصطفي إلا الجيد الحسن ، ومن هنا جاء التفاوت بين مذهبه في النظم و مذهبه في الاختيار .

إن أبا تمام خرج عن الناس بطريقة جديدة فوجهت له الكثير من الاتهامات و الانتقادات حول شعره فاعتبره البعض أنه المريض بالأصباغ البديعية و الولوع بالتنميق و الزخرف و التأنق و الزينة و التكلف و التعقيد و المزج بين ألوان الثقافات و المعارف المختلفة كالفلسفة و نحوها وقد بالغ في صناعته الفنية و جنح في معانيه نحو الغموض و الدقة في التعبير و التعسف في التعصب مما جعل معانيه الشعرية لا تدرك و لا تفهم بالسهولة المتوقعة إلا بعد اتعاب الفكر و إنهاء الذاكرة و إجهاد الخاطر وإذا رجعنا إلىشعره نجده يبالغ كثيرا فيه ، كما شاعت ظاهرة التنميق الزخرف و التصنيع مما أدى بالنقاد إلى اتهامه بالتكلف الثقيل و الصنعة الفاسدة مع أن أبا تمام يبقى بتعسفه و تصنعه هذا شاعرا مبدعا .

وقد تمكن محمد العمري في تاريخ الاختيار الشعري القديم تبيان ثلاثة توجهات :

---

[1]– المرزوقي،شرحديوانالحماسة،تحقيقأحمدأمينوعبدالسلامهارون،لجنةالتأليف والترجمةوالنشر،القاهرة، 1967،ص : 4.

[2]– عبدالفتاحلاشين،الخصوماتالبلاغيةوالنقديةحولصنعةأبيتمام،دارالمعارفللنشر،القاهرة،سنة 1998م،ص: 48 .

- "هيمنة الموضوع.
- هيمنة الصورة البلاغية.
- الملاءمة أو المزاوجة بين الموضوع والصورة.

ويمكن تبيان ذلك في الجدول الآتي [1] :

الاهتمام بالموضوع في المقام الأول	المزاوجة بين الموضوع والصورة	الاهتمام بالصورة في المقام الأول
- البحتري في: الحماسة - ابن داود في: الزهرة ومؤلفات كثيرة في موضوعات خاصة مثل حلبة الكميت ومراتع الغزلان للقاضي النواجي.	- أبو تمام في: الحماسة في حين تميل الوحشيات نحو الاهتمام أكثر بالصورة	- ابن المعتز في: فصول التماثيل - الانباري في: كتاب التشبيهات - الخالديان في: الاشباه والنظائر.

لقد شكلت الحماسة عند أبي تمام- توفي سنة 231 هـ - رصيدا متميزا في تحليل النص لغويا و بلاغيا على عكس البحتري توفي سنة (284 هـ) وهذا راجع إلى الاختيار،و لقد حاول محمد العمري تحرير مفهوم النقد والناقد من الفهم التقليدي الذي يهيمن عليه الجانب الإخباري والتوثيقي، وإعادة صياغتها في إطار الجهود التي تبذلها جمالية التلقي لكتابة تاريخ الأدب ونقده. مستشهدا بما قاله هانس روبرت ياوس: " إن تاريخ الأدب عملية متوالية من التلقي والإنتاج الجمالي بين، عملية تتحقق في تحيين النصوص الأدبية من طرف القارئ الذي يقرأ، والناقد الذي يتأمل، والكاتب نفسه الذي يدفع بدوره إلى الكتابة،وخَلُص إلى أن هناك ثلاثة أنواع من المتلقين أو القراء هم:

- القارئ العادي المستهلك (المتلقي الأول).
- القارئ المتأمل (الناقد).
- والقارئ المبدع الذي يتفاعل مع العمل الأدبي فينتج بدوره معارضا للمقروء بشتى صور المعارضة."

[2].

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :74، ص :75

[2]– المرجع نفسه ، ص :67.

وقد تم تسمية هذا العمل البلاغي من طرف محمد العمري في كتابه "تحليل الخطاب الشعري" بـ بـلاغة الرصد، لكونها ترصد الملاحظات وتجمعها وتسميها دون اهتمام بنسق تنظيري.

ثانـيا: " الاستكـشاف من الخــارج:

فقد نتج عن عملية التأليف العلمي التي استهدفت تقـنين اللـغة والفـكر، وتنـزيه الديـــنوالإعجازالقرآني، والانتقال من السؤال المعرفي إلى السؤال البلاغي .

1- تقنين اللغة والفكر:

أدت عملية الاختزال التي طالت المنجز من الخطاب (أي مجموع النصوص الشعرية والنثرية بما فيها القرآن الكريم والشعر الجاهلي) إلى تعارض بين القاعدة القياسية والنص الخارج عن القياس. لقد أدى الإطراد القياسي الذي تطلَّبه وضع النحو إلى التعارض مع النص القرآني من جهة، والشعر العربي من جهة ثانية. فكان أن فُتح التوسع في اللغة منذ البداية مع **سيبويه** "[1]. تعتبر هذه المرحلة الأولى لبلاغة الرصد .

كما وضح عبد القادر حسين في كتابه المعون ب : المختصر في تاريخ البلاغةقائلا : " قد استطاع كتاب سيبويه أن يجمع القواعد، ويعقد أبوابا يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية. وإذا كان كتاب سيبويه ترجع أهميته العظمى عند الأقدمين لما حواه من قواعد نحوية نحتاج لتعلمها على مر العصور، حفاظا على اللغة العربية وسلامتها، فإنه يحوي – أي سيبويه- بجوار ذلك تحليلا رائعا وإحساسا دقيقا بفقه اللغة وأساليبها وأسرار تراكيبها فهو لا يسجل أصول النحو وقواعده فحسب، وإنما يلاحظ العبارات ويتأملها، ويستنبط خواصها ومعانيها بما وهب من حس دقيق مرهف "[2].

فنجد سيبويه ينص في كتابه في مواضيع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب تدخل في فن البلاغة مثل التخفيف والايجاز والسعة.كما تحدث في صدر كتابه على موضوعات المعاني من خلال ما ذكره عن التقديم والتأخير، ويلفت إلى سر بلاغي هام حين يقدم المفعول على الفاعل أو الفعل. وتناول أيضا بعض مباحث علم البيان ، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتنويع وغير ذلك. بل تجاوز علم المعاني والبيان إلى ذكر بعض ألوان البديع، وكان أول هذه الألوان تأكيد المدح بما يشبه الذم.

حيث تحدث محمد العمري في كتابه أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة عن علاقة البلاغةو النحو قال : " وقد يبدو غريبا أن تتولد البلاغة، أو مكون من مكوناتها، في مهد النحو

[1]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص : 20.

[2]– عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص : 51 ، ص :52.

وهونقيضها، أي المعيار الذي تنزاح عنه. ولكن الذي وقع تاريخيا هو أنّ الظواهر البلاغية وقفت في وقت مبكرفي وجه الصرامة العلمية التي نعت بها القياس النحوي واطراد القواعد، فأوقفت ذلك القياس الصارم عند حدوده، تحمل في يدها اليمنى نص القرآن الكريم، وفي يدها اليسرى ديوان الشعر العربي، تُعطِّل بهما وصول القياس إلى نهايته "[1].

استنتاجا مما ورد في النص أن نظرية الانزياح تبنى على أساس القياس النحوي .

و تتبعا لما قاله العمري : "وبذلك قبل النحاة مقاسمة المكان مع البلاغة حيث خرج أول جيل بلاغي من صفوف اللغويين. وتوالت التأليف بعد سيبويه في الضرورة الشعرية، وهذه أول لبنة قوية "نظرية" في البلاغة العربية، بلاغة الشعر، أو الشعرية"[2].

لقد فتح باب التوسع من طرف النحاة و كان في مقدمتهم سبويه حتى يتسنى مسايرة المطلب البلاغي وفي الحديث عن ضرورة الشعر التي هي الوجه الآخر لعملية التوسع طرح السؤال البلاغي الجوهري : ما الذي يجوز في الشعر مما لا يحتمله الكلام؟.

ويرى محمد العمر ي أن ما يحتمله الشعر عند سيبويه جزء من بناء النحو: " يمتد منالتصرففي الكلمة بحذف جزء منها، إلى تعقيد العلاقات الدلالية بالتقديم والتأخير والحذف والإبدال عن التصرف في الأوجه الإعرابية. يتم ذلك كله ضمن مفهوم **التوسع** في اللغة، مما يقتضه الإنجاز ويُسيغُه **الحمل**- حمل الظواهر بعضها على بعض- والإلحاق عن طريق **التشبيه والتوهم**، وغير ذلك من الآليات التي تشغلها الذات والأعراف الفنية للشعر والخطابة" [3].

فسيبويه يميز أن ما يحتمل التصرف: كل ما يدخل في حكم الحمل والتشبيه، ومالا يحتمله: ما سوى ذلك من الاجراءات التي لا وجه لها.

قدم العمري في كتابه الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية و الممارسة الشعرية في إحدى عقبات من الزمن قائلا : "لقد كان القرن الثاني الهجري بالنسبة للبحث في مكونات الشعر عصر تنظير العروض مع الخليل بن أحمد (100- 170 ه) ومن عاصره من علماء اللغة، ففي هذه البيئة طورت قضايا البناء

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 113.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 113.

[3]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص :118.

الصوتي في الشعر قبل أن تحقق استقلالها. وبقي الاهتمام منصبا على الجانب المقنن من البناء الصوتي ، أي على الوزن والقافية"[1].

و يرى محمد العمري أن :" المقوم الصوتي يحتل مكانة مرموقة بين أبواب البديع ، وهذه الابواب هي:

- الاستعارة.
- التجنيس.
- المطابقة.
- رد الأعجاز على الصدور.

المذهب الكلامي.

يرجع مقومان من هذه المقومات إلى المستوى الصوتي، وهما التجنيس ورد الأعجاز على الصدور"[2].

وخَلصُ أن محمد العمري في بداية أبحاثه كانت حول قراءة التراث البلاغي العربي و كانت تتركز على الجانب الصوتي في الظاهرة اللغوية، وحاول جاهدا كشف معالم الدور الفعال الذي يقوم به الأداء الصوتي من لغة وموسيقى وقافية وعروض وغيرها في صنع الاختلاف والتمايز الدلالي.

2- تنـزيــه الــديـــــنوالإعجازالقرآني:

حين انتقل عمل المتكلمين من **التـنزيــه** (الدفاع عن النص القرآني ودفع الشبهات عنه)إلى البحث عن **المـزيــة** (بيان وجه الإعجاز)،والاحتجاج للنبوة بالإعجاز اتضح السؤال البلاغي :**"كيف يتفوق النص القرآني على النص الشعري العربي؟ وكيف يتفوق نص على نص إجمالا؟. ولماذا النص القرآني والنص الحديثي بالذات؟.**

لماذا نصية القرآن ونصية الحديث؟ الجواب القريب: أن النصين عماد الحضارة الإسلامية ومؤسسها. وقد تعرض النص القرآني على وجه الخصوص لحملة تأويلية واسعة من قبل المذاهب والفرق والاتجاهات المختلفة منذ القديم، ووصل الاختلاف بينها في هذا الأمر إلى درجة التعارض والانقسام، ويعود هذا الاختلاف في جزء كبير منه إلى اختلاف في منهج فهم النص والآليات المعتمدة، وتكون في الغالب بعيدة عن منظومة مقاصد الشريعة الإسلامية "[3].

---

[1]– محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية، ص :65.

[2]– محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية، ص :66.

[3]– عبد الرحمن بودرع: نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، ص :33،ص :34.

وموقف عبد الرحمن بودرع في مقال :نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن و الحديث قائلا : " وإذا قلنا إن الشعر متفرد بنظمه وأساليبه وعباراته ونماذجه الفذة، فإن القرآن الكريم من باب أولى وأَحرَى أن نتحدث فيه عن إلتباس (ترابط) المعاني فيما بينها في العبارة الواحدة، وتماسكها واتساقها كأنهاصُبَّت في ذلك القالب اللغوي إصبابة واحدة وسُبكت سبكا واحدا، ولم يعد للفظ الواحد وجود إلا بسابقه وتاليه، ولو أبدلت لفظا مكان لفظ لارتبك التعبير واضطرب ولخرج من **باب البلاغة** إلى باب الكلام المألوف، فلمّا أُخرِجَت عبارات القرآن العظيم ذلك الإخراج الكريم تميَّز بناؤه اللغوي والبلاغي وتفردت عباراته البديعة، وأصبحت أمثَالًا تُضربُ و نماذجَ تُحتذَى، مما لم يُسمَع مثلها في بلاد القول"[1]. فالقرآن الكريم نزل فصيحا بشر به الأمة ، و كلامه لا يشبه كلام العرب فالقرآن الكريم نص كامل متكامل .

فكانت نظرة العمري من ذلك كما ورد في كتابه أسئلة البلاغة في النظرية و التاريخ و القراءة قائلا :"وحين شرع البلاغيون في تفصيل القول في معجزة النبوة (القرآن الكريم) ذكروا البلاغة ضمن مجموعة كبيرة من الفضائل والمعجزات التي تتحدى علمَ الانسان وقدرتَه، غير أننا لا نتقدم إلا خطوات قليلة في التاريخ نجد البلاغة تهيمن على الموضوع، وعلى اجتهادات الباحثين فيه. ويمكن ملاحظة ذلك بالانتقال من جهود الخطابي والرماني والباقلاني والقاضي عبد الجبار في القرن الرابع، إلى تصور عبد القاهر الجرجاني الذي فصل بين الاعتبار البلاغي وغيره، وأفرغ جعبته وكفاءته العلمية والسجالية في "الدلائل الإعجازية" للبلاغية، فانتهى به المطاف إلى تأسيس أحد ركائز البلاغة العربية، أي "علم المعاني"، الذي استخرجه السكاكي من مفهوم النظم عند الجرجاني"[2].وضح العمري استحضار البلاغة في النص القرآني مقوم راق واسم لايستطيع العلماء و الباحثون بلوغ بلاغته.

فنجد "الخطابي" يقترح أن الإعجاز القرآني يرجع الى ثلاثة هي : " القول بالصَّرفة، والإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، والإعجاز اللغوي. واستدرك في أخر رسالته وجها رابعا اقتراحه، وهو تأثيرالقرآن في القلوب والنفوس" [3].

---

[1]– عبد الرحمن بودرع ، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن و الحديث ، ص:37.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 115.

[3]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص : 162.

أما "الرماني" فأوصلها إلى سبعة اقتراحات: " ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة" [1].

أما "الباقلاني" فاستدل على إمكان إثبات وحدانية الله تعالى بالإعجاز البلاغي بقوله تعالى : " ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾هود، 13.14.

قال الباقلاني: فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلا على أنه منه، ودليلا على وحدانيته. وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تعلم بالقرآن الوحدانية، فقلنا إذا ثبت بما بيناه إعجازه، وأن الخلق لا يقدرون عليه ثبت أن الذي أتي به غيرهم"[2].

ويقول الباقلاني: "الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها مطردة كإطرادها. ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل القرآن القديم الذي لا مثيل له "[3].

وتطور السؤال البلاغي في البحث الكلامي حول كلام الله إلى السؤال عن ذات الله وصفاته. ويرى محمد العمري أنه لا يجب الخوض في هذه الأسئلة إلا ما يتعلق منها بالجوانب التطبيقية، على أساس أن الجوانب التطبيقية هي التي تمخض عنها البحث البلاغي.

يتلخص الجانب التطبيقي من الكلام حول القرآن الكريم في الالتزامين التاليين [4]:

- الدفاع عن النص القرآني و دفع الشبهات عنه (التنزيه).
- بيان وجه الإعجاز (المزية).

أما الالتزام الأول يخص الدفاع عن القرآن الكريم ومواجهة المشككين فيه، وهنا نجد "ابن قتيبة" في كتابه " تأويل مشكل القرآن" يتصدى للطاعنين في القرآن ، ويرد عليهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة. قائلا :" جعل الردود المباشرة في أربعة أبواب هي: باب الرد عليهم في أبواب القراءات، وباب ما أدعى على القرآن من اللحن، وباب التناقض والإختلاف، والباب الرابع باب المتشابه. أما الردود غير المباشرة فتأتي

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص :162.

[2]– المرجع نفسه ، ص :160.

[3]– المرجع نفسه ،ص: 163.

[4]– المرجع نفسه ، ص :140.

في الفصول اللاحقة التي تناول فيها المجاز، والاستعارة، والمقلوب، والحذف، والاختصار، والتكرار، والزيادة، والكناية ، والتعريض، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، وتأويل الحروف التي أُدعي على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، واللفظ الواحد للمعاني المختلفة" [1].

أما الالتزام الثاني يخص بيان الإعجاز في القرآن الكريم، وهنا يرى محمد العمري أن جهود الخطابي والرماني والباقلاني والقاضي عبد الجبار في القرن الرابع الهجري، حسمت الأسئلة الإعجازية للبلاغة، وأسست لبداية الأعمال التنظيرية فيها.

وفي كشفه لسر البلاغة يرى **محمد العمري** أنه من المجازفة أن نربط الهوية البلاغية بالسؤال الإعجازي، ولكن يمكن رد الاعتبار الإعجازي إلى أهم الحوافز التي دفعت إلى البحث، وتوجيه مفهوم البلاغة في التراث العربي.

3- الانتـــقـال من السؤال المعــرفي الى السؤال البـلاغــي:

وهنا أردا **محمد العمري** النظر إلى عملية الاستكشاف من زاوية المعرفة استخلاصا وبثا، ويرى أن أحسن مثال يوضح الإنتقال من السؤال المعرفي إلى السؤال البلاغي هو كتاب **البيان والتبيين للجاحظ**، باعتباره نهاية اجتهادات الجاحظ البيانية وبداية اجتهادات منظرين آخرين.

ويقف محمد الصغير بناني في كتابه" النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب :" عاجزا في وصف هذا الكتاب، نظرا لتعدد مواضيعه وأغراضه. هل هو كتاب في البلاغة ؟ أو في الأدب؟ أو في الدين؟ أو في الصراع العقائدي؟ أو في الكلام؟. لينتهي –أي محمد الصغير بناني -إلى التساؤل التالي: " تُرى لماذا كتب الجاحظ البيان و التبيين؟ وهل كانت له غاية واحدة أم غايات؟ وما هي الطريقة التي سلكها للوصول إلى ذلك؟ " [2].

أما **محمد العمري**عملاً منه على كشف العلاقة بين البلاغة والبيان على الجاحظ لخَّصَ موضوع الكتاب الى ثلاثة محاور:[3]

- وظيفة البيان وقيمته.
- العملية البيانية وأدواتها.
- البيان العربي.

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص :144.

[2]– ينظر،المرجع نفسه ، ص: 190.

[3]– المرجع نفسه، ص :193.

ويمكن تمثيلها بالتشجير التالي:

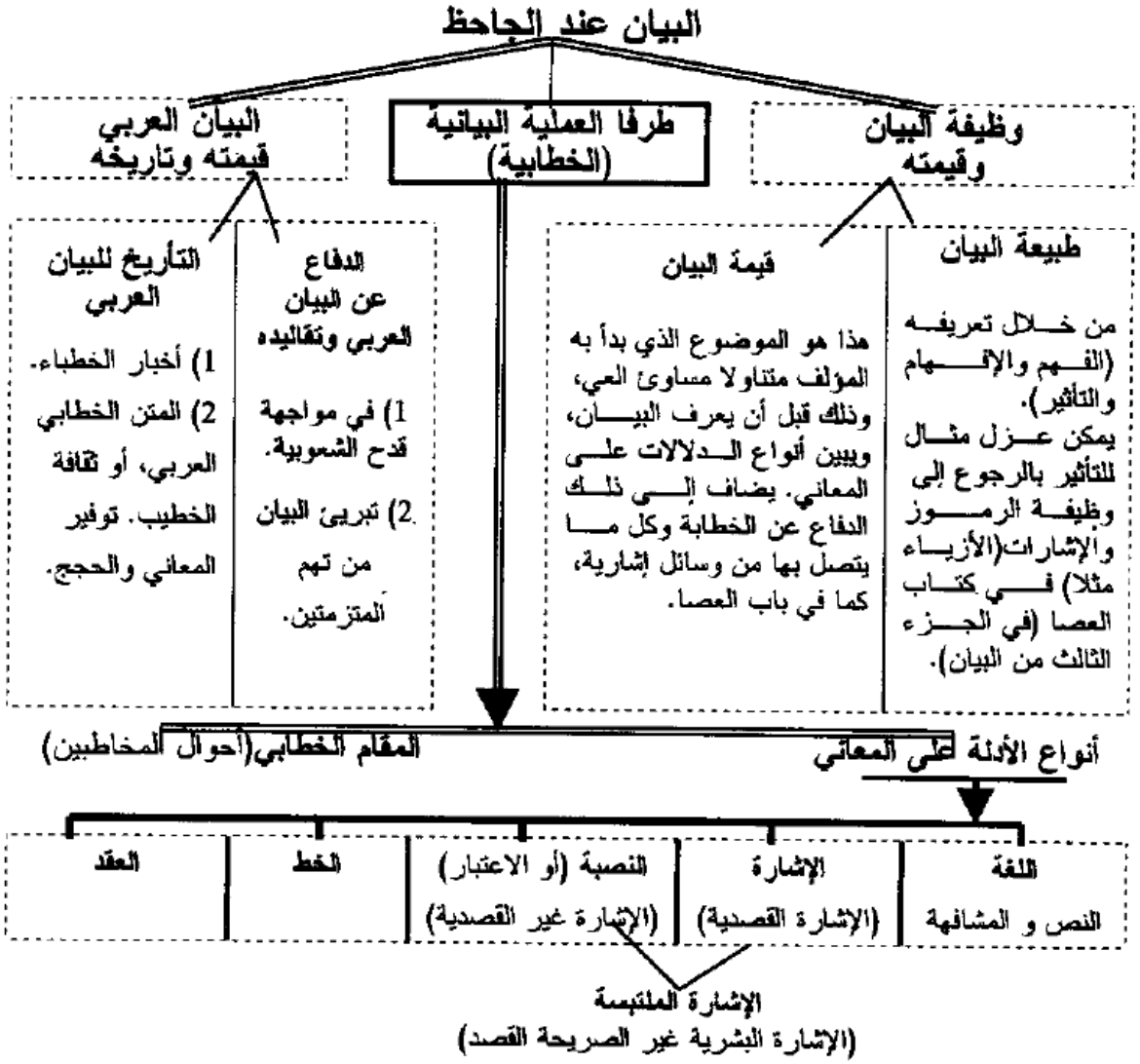

كما بيَّن أن الكتاب يضم مفهومين او وظيفتين في قوله: " يتنازع البيان والتبيين مفهومان أو وظيفتان:

- البيان معرفة: الوظيفة الفهمية.

- البيان إقناع: الوظيفة الإقناعية.

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريحة والوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة المتحكمة في مقدمة الكتاب "[1].

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص : 194.

إن المستوى الثاني – الوظيفة الإقناعية- اعتبره محمد العمري بلاغيا، والمستوى الأول- الوظيفة الفهمية- اعتبره لغويا أو سيميائيا، ويُعدُ المستوى الثاني مستوى من مستويات الأول، حيث قدم الجاحظ (ت 204 ه) تصوره لبلاغة إقناعية قائمة على الصواب اللغوي والتوسط البلاغي في حوار مع المقام قائلا :" ولم يكد الجاحظ ينتهي من تعريف البيان باعتباره فهما وإفهاما بالوسائل اللغوية وغير اللغوية حتى قايض كلمة **بـــيـان** بكلمة **بـــلاغـــة**. قلنا - أي محمد العمري - (قايض) لأنه لم يقدم أي بيان يرتب العلاقة بين المفهومين، كان يتحدث عن البيان باعتباره موضوعا للكتاب ثم صار يتحدث عن البلاغة باعتبارها الموضوع نفسه، غير أنه من جهة أخرى لم يعتمد تعريف البيان تعريفا للبلاغة، بل صار يورد اقتراحات مختلفة منسوبة إلى الأمم مثل الهند والفرس وإلى أعلام من الثقافة العربية "[1].

ومن وجهة نظرت **محمد العمري** فإن كتاب البيان والتبيين يعتبر مشروع إقناعي متحضر، يمثل محاولة ارساء مجتمع عقلاني تربط بين أفراده علاقات الإقناع بالمنطق والاستمالة بشتى صور الدلالة، بالاعتماد على الأقوال الخطبية والشعرية المأثورة التي تسمو إلى مستوى الحكمة والمثل. وذلك في ظل عصر غلبت فيه نزعتان متعارضتين، الأولى ممارسة العنف السياسي والأعنات الفكري من طرف الخوارج وبنو أمية، والثانية التزام الصمت من طرف رجال الدين والعلماء على أسئلة أعتبروها محيرة، وهذا هو الصمت الذي رفضه الجاحظ وتصدى له بكل الحجج الضرورية.

والجدير بالذكر في قراءة محمد العمري لكتاب البيان والتبيين استحضاره قراءة ابن وهب محددا فيها صور التكميل لتصور الجاحظ، وصور المخالفة بينهما.

ويختم قراءته بما توصل إليه من خلال مقارنته لأعمال الجـاحظ وابـن وهب قائـلا : " إن عمل **ابن وهب** أقرب إلى **نظرية معرفية**، في حين أن عمل **الجاحظ** يندرج ضمن **النظرية البلاغية**: بلاغة الخطاب"[2].

فبعد التمعن في خطة البيان والتبيين في حديثه عن أنواع الدلالة على المعاني، وبالنظر لقراءة ابن وهب لها، يقول محمد العمري: " إن الجاحظ وصل إلى بلاغة الخطاب الإقناعي من خلال البحث في المعرفة بصفة عامة: **كيف نَفهم وكيف نُفهم؟**بلاغة قوامها الاعتدال في الصور البلاغية حسب الأحوال

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 200.

[2]– المرجع نفسه ، ص :213.

والمقامات،مع توظيف كل الإمكانيات المسعفة واعتماد ذخيرة معرفية شديدة التنوع من النصوص الأدبية والدينية والأخباروالأمثال والحكم (ثقافة الخطيب) "[1].

دواعـي ومسوغات حسه النقدي في مكاشفة التراث البلاغـي

يرى محمد العمري أن الغوص في تاريخ التراث البلاغي العربي مسألة لابد منها لاعتبارين اثنين عام وخاص:

1- "**اعتبارعام: و اقعي وتاريخي:** يتصل بقلة ما أنجز من الدراسات في هذا المجال سواء أكانت استكشافية وصفية أم تفسيرية. في استثناء أعمال قليلة ، فإن الدراسات المنجزة في مجال تاريخ البلاغة بالتحديد دراسات جزئية تتناول ظواهر أو قضايا لها أهمية أحيانا، ولكنها ليست أكثر من لبنات من بناء تجب إقامته على قاعدة واسعة، حتى وإن لم يكن عاليا، أو من طبقة أو طبقتين فقط"[2].

2- "**اعتبارخاص قرائي:أي منهاجي صرف:** ذلك أن تغير المعطيات التي نمتلكها ، والإمكانيات التي نسخرها، وتغير الأسئلة المطروحة على الأدب، يجعل من اللازم إعادة الكتابة كلما تغيرت شروط القراءة وظروفها. فالحاضر يغني الماضي بقدر ما يغتني بمحاورته، فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام"[3].

إن موقف الدراسين المحدثين من تعامل الفلاسفة العرب مع التراث الأرسطي،وتباين قراءات البلاغيين والنقاد للتراث البلاغي ، وكذا الدراسات التحقيبية الوضعية غير الوافية بالنمو الداخلي للعلاقات القرائية وما تحمله من تعارضات وتقابلات، بالإضافة إلى النقص الذي شاب الدراسات البنيوية الصرف، **جعل محمد العمري** يعمل ضمن مشروعه في إعادة النظر في تلك القراءات للتراث البلاغي العربي،مما تسمح بـ:

☜ "**مراجعة مفهوم اللغة المهيمن:** وتعيد إلى هذا العلم الأرض الذي استلبت منه فحولته من امبراطورية مترامية الأطراف إلى مجرد إمارة محصورة داخل أصوار منيعة متمنعة. إن التصور السائد حاليا ومنذ قرون، هو تصور **السكاكي**، هو قراءة السكاكي للتراث القديم، وهي قراءة مشروعة لكنها

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص :24.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 7.

[3]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

مشروطة بظروف. وقد صار السكاكي اليوم ككل القدماء، جزءا من التراث البلاغي، فينبغي أن يدمج فيه قبل القيام بقراءة جديدة. ومن يومها سيدرس (البيان، والمعاني،والبديع) كتصور لمدرسة لا كصورة كلية نهائية للبلاغة العربية. ولا أقل من أن يقدم بجانبه مشروع **حازم القرطاجني** الذي يفتح البلاغة على النقد الأدبي ، وكل المقومات الفلسفية واللسانية والشعرية التي تسنده.

☜ **تسمح بنقل الرصيد البلاغي:** من وضعية البنيةالتاريخية الجامدة المرتبطة بعصرها إلى حلقة من دينامية الأسئلة الإنسانية التي يتصل أولها بآخرها تجاورا وتعارضا وتقابلا، حيث نجد البلاغة في تجاذب مع الشعر والنحو والمنطق ، انزياح مستمر ، ونزوع إلى الاتبناء ككيان قائم الذات. ومشروعا السكاكي وحازم كفيلان بهذه المهمة.

☜ **تسمح أخيرا بإعادة الارتباط بين البلاغة وتاريخ الأدب والنقد:** أي بالحركة الدائرة حول النصوص الحية وعملية الإنتاج"[1].

ونظرا لأهمية هذه المقاييس فيتضح في كتاب البلاغة و الأسلوبية أنه : " للأهمية المتزايدة للسانيات المتداولة، ونظريات التواصل والسيمائيات والنقد الإيديولوجي، وكذا الشعرية اللسانية ، ازداد الاهتمام وبصفة مفرطة بالأعمال المنسوبة للبلاغة تنظيريا وتأريخيا في أوروبا والولايات المتحدة، ونتيجة لهذه الأهمية يسجل محمد العمري أولا،أن البلاغة صارت علما، وأننا نهدف من جهة ثانية إلى نظرية بلاغية، وأن البلاغة من جهة ثالثة ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع " [2].

نقف موقف الدافع أن الباحثين الأوروبيين أمثال: رولان بارت و بيرلمان و غيرهم أن جعلوا البلاغة علما معاصرا من طريق الترجمة.

ويحاول العمري إعادة بناء البلاغة النسقية لتطبق على جميع النصوص، حيث يعلق قائلا : " وتستند عملية إعادة بناء البلاغة، باعتبارها منهجا لتحليل النصوص، على مبررين: المبرر الأول ذو طبيعة تاريخية.فهناك أمر أكيد وهو أنه على طول تاريخ وجود نظرية بلاغية فإن نصوصا مختلفة (خطابات ، مواعظ، ورسائل، وأشعار...الخ) تنتج حسب قواعدها. فإذا استعملنا ، بعدذلك، المقولات البلاغية لتأويل تلك النصوص فإننا سنساهم في كشف تركيبها الشكلي القصدي. فما كان متصورا عن طريق الفكر والتعابير المعيارية أمكن إدراكه اليوم بفضل الوصف العلمي. إن وظيفة المنهج البلاغي المطبق بهذا الشكل

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 12.

[2]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية– نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري: ص: 22.

تكمن في إعادة البناء. والمبرر الثاني ذو طبيعة جوهرية ومنهجية ، فقد أظهر النسق البلاغي، عبر قرون، قابلية الاستمرار، بل ومرونة تسمح بالتمادي في تطبيقه على نصوص جديدة" [1].

منهج آليات القراءة النقدية البنيوية في تفكيره البلاغي

كانتالبلاغة،معكلماتقدم،أوقبلكلماتقدم،تقتربمنلغةالشعر،منالنقدالتطبيقي،ومنالأحكامالجزئيةا لتفصيلية،ومنالخصوماتالتيتصدرهذهالأحكامعلىطبيعةالمكوناتالشعرية،وتلاحظالاختياراتالشعريةوم نطقهاالخفي.

ففي نظر عبد العزيز انميرات في كتاب مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي أن : " المطلوب من فعل النقد...ليس إبداء وجهة نظر، بقدر ما يتطلب الأمر، على وجه الخصوص، إعادة النظر، كما أن المطلوب ليس تعزيز موقف من المواقف، بقدر ما يتطلب الأمر مراجعة المواقف جميعها، بالبحث في مرجعياتها المعرفية وأصولها التاريخية، ذلك أن الفعل يتعلق – أولا وأخيرا – بمواقف إيديولوجية. وعليه يكون التحليل النقدي وحده القادر على التمييز بين الزبد الذي يذهب هباء، وبين ما ينفع الناس في كل موقف" [2].

ورغم اختلاف الآراء النقدية حول المناهج إلا إننا نجد إن النصوص النقدية المختلفة تناولت منهج البنيوية و عمر السنوي الخالدي من بين الباحثين الذين درسوا هذا المنهج وتناوله في مقاله قائلا : " وقد تعددت مناهج الدراسة النقدية للأدب، وكان **المنهج البنيوي** من المناهج التي طبقت في مختلف الميادين. إن المدرسة البنيوية أو المنهج البنيوي لم يظهر في الساحة النقدية الأدبية اللغوية إلا في منتصف القرن العشرين، وتحديدا في فرنسا في عقد الستينيات من القرن العشرين، وذلك عندما قام "نودوروف" بترجمة أعمال الشكلانيين الروس إلى اللغة الفرنسية، في كتاب بعنوان" نظرية الأدب ، نصوص الشكلانيين الروس" [3].فالمنهج البنيوي أخذ حيزا و اتجاها واسعا في تحليل النصوص الأدبية.

تحدث محمد بلقاسم عن المنهج البنيوي و رأى أنه يرجع بالأساس إلى التحليل اللغوي للنصوص يقول :"إن التحليل البنيوي يركز على الجانب اللغوي ويتعمق في دلالات الألفاظ ومعاني الكلمات، وبما أن

---

[1]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية– نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري: ص:23، ص :24.

[2]– عبد العزيز إنميرات: مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي، ص:506 ،ص: 507.

[3]– عمر السنوي الخالدي: البنيوية، أسباب النشأة وأسباب التقوص، مقال نشر بتاريخ 17-04-2017 م / 20-07-1438هـ، الموقع الالكتروني: الألوكةالأدبية واللغوية، تم الاطلاع عليه يوم 2020/01/20.

البنيوية الشكلية اقتصر اهتمامها على الناحية الداخلية للنص الأدبيورفضها لكل سياق خارجي، مما جعلها لا تلقى الرواج والتجاوب لدى النقاد، وهكذا حتى ظهر اتجاه **البنيوية التكوينية** الذي حاول الجمع بين الاتجاه الاجتماعي والاتجاه البنيوي، فقد كان هذا المنهج بديلا للبنيوية الشكلانية" [1].

مؤكدا على وجهة نظره أن : " المنهج البنيوي لم يكتسح الساحة النقدية إلا بعد ظهور **البنيوية التكوينية**، وقد لقيت رواجا وإقبالا من قبل النقد العربي الحديث، وقد ظهرت دراسات كثيرة منه دراسة محمد بنيس "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"، ويؤكد فيها أنها مقاربة بنيوية تكوينية، لأنه يرى أن البنية التكوينية تتجاوز الدراسة الاجتماعية للمضمون دون الشكلعندما تعتبر أن قراءة النص تلزمنا أن تنطلق من النص ولا شيء غير النص. فالبنيوية التكوينية تقوم على مبدأ تحديد العلاقة الجدلية بين القراءة الخارجية لكل عمل أدبي ، ومدى تفاعل هذا العمل مع القراءة " [2].

ونجد أيضا محمد العمري في كتابه نظرية الأدب في القرن العشرين محاولة ازدواجية التكوينية و الشكلانية فنجده يقول :" ولقد تسارعت الخطأ خلال العقود الثلاثة الأخيرة من النقد الإيديولوجي، الذي هيمن خلال السبعينات، **إلى البنيوية التكوينية**، التي حاولت عقد قران شرعي بينه وبين الشكلانية النصية" [3].

يحاول رصد تحول النص من مفهوم الوثيقة إلى نص التحفة انتقالا إلى نص العلامة.

ويبدو أن **محمد العمري**اعتمد على هذا المنهج – البنيوية التكوينية- في قرائته النقدية في تفكيره البلاغي، وذلك بتركيزه على النسق، وتسخيره كأداة إجرائية تمكنه من رصد الخيوط التي تحرك المشاريع البلاغية، وها هو يقول:" كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات" [4].

وقد كان أول عمل له في هذا الصدد قراءته لسر الفصاحة لابن سنان، ثم قراءته لبيان الجاحظ، وتأمله لعمل السكاكي في مفتاح العلوم، وكذا قراءته لعمل عبد القادر الجرجاني عبر كتابيه الأسرار والدلائل. ويرى الباحث أنه من الكفاية التطرق إلى نموذجين يتعلقان بعمل كل من ابن سنان والجاحظ.

☜ **قــراءة العمري لعملابن ســنان**

---

[1]– محمد بلقاسم: النقد البنيوي– الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، الأثر، مجلة اللغات والأدب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الثامن، ماي 2009م، ص: 149.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 149 وما يليها.

[3]–محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، 1996، ص: 5.

[4]–محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص :14.

يرى محمد العمري أن عمل ابن سنان يقوم على أساسيين:

- " أما الأول الصحة والإعتدال،

- وأما الثاني التناسب والانسجام"[1].

ويُرجِعُ ذلك إلى أن الصحة والتناسب مفهومان يخترقان الكتاب من أوله الى آخره، ويستوعبان مادته الى حد كبير.

وقبل أن يخوض في هذين المفهومين، تطرق إلى موضوع الفصاحة ومجالها ،ورَّكزَ على انتقال ابن سنان من فصاحة الأصوات إلى بلاغة المعاني، حيث يلاحظ أنّه بدأ ينزاح عن المفهوم الصوتي إلى ضرورة فتح الباب للمعنى إلى جانب الصوت ليتسع الكلام للفصاحة والبلاغة معا.

ويعود بعد ذلك لفتح مبحث بعنوان الرؤية البلاغية في المنجز لغوص في عمق المفهومين السابقين، فالصحة والتناسب هي عماد مشروع ابن سنان كما يرى العمري:" الصحة والتناسب تشكلان جوهر الفكر البلاغي الكلاسيكي، الصحة هي في الغالب جواز مرور المحافظة، والتناسب هو ترجيح للحسي البسيط (المسموع هنا) على العقلي المعقد الذي يرصد عناصر التنافر والشذوذ في اللغة والحياة، ويرصد العلاقات البعيدة. وبعبارة أخرى فإن الحسي يهادن العقل ويداعب الأذن" [2].

و يقول العمري : " ومن الصحة صحة الأوصاف في الأغراض، وهو أن يمدح الإنسان بما يليق به ولا ينفر منه.....وكذلك في كل غرض من الأغراض الشعرية من هجاء وفخر وعتاب ووصف وغير ذلك، حتى يكون كل شيء موضوعا في المكان الذي يليق به" [3].

ومن المناسبة ، مناسبة المعاني للأعراض فقد تناولها ابن سنان في باب تأليف الألفاظ،ووضع شروط للمؤلف، من بينها:" ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراضالألفاظ اللائقة بذلك الغرض، في موضع الجد ألفاظه، وفي موضع الهزل ألفاظه" [4].

وفي ذكره- محمد العمري- للفكر البلاغي الكلاسيكي يستحضر ما قاله (بوالو) عن الكلاسيكية(1669-1670)، فهذا الأخير يرجع الكلاسيكية إلى ستة مبادئ: " 1- أسبقية العقل.

---

[1]– محمدالعمري : البلاغةالعربيةأصولهاوامتداداتها،ص :432 .

[2]– المرجع نفسه ، ص: 432.

[3]– المرجع نفسه، ص :440.

[4]– المرجع نفسه ، ص : 440.

2- ضرورة الوضوح، والوضوح هو في الواقع هو إحدى نتائج التفكير المتعقل، واحترام العقل يتطلب استعمال المحسنات الجميلة باعتدال، خاصة القلب.

3- احترامقواعد اللغة.....فقد اعتبر القصيد مكانا لحفظ اللغة. 4- اختيار معجم رفيع، وسرعان ما تعرض هذا المبدأ السوسيولوجي للنقد. 5- سيادة العروض، أي اتساق التركيب النحوي مع الوقفات العروضية وتجنب التضمين. 6- البحث عن تناغم المنظوم، واجتناب الأصوات المتنافرة، عن طريق اختيار الألفاظالمتناغمة"[1].

من خلال هذه المبادئ يحاول الإخلاص للتقليد أي المحافظة على الموروث وفي هذا الشأن يقارن محمد العمري مبادئ الكلاسيكية عند (بوالو) مع عمل ابن سنان ، ليصل إلىنتيجة مفادها أن المتمعن في عمل هذا الأخير ثم حازم بعده يُخَيلُإليه أن بوالو استنبط مبادئ الكلاسيكية من تصورهما .

وفيما يخص المقام الخطابي والمقام الشعري يقول : " إن مركز كتاب سر الفصاحة هوالخطاب التداولي الناجع الذي يصل ويوصل بدقة. والشعر يشكل أزمة ومعارضة للمسار النثري للكتاب، وذلك كمثل ما شكل النثر أزمة ومعارضة بالنسبة لكتاب أسرار البلاغة" [2].

وأتخيل – يقول محمد العمري- "أن ابن سنان لو استأنف كتابه بكتاب آخر ، كما فعل الجرجاني في الدلائل بعد الأسرار ، لفتح مجالا أوسع للغرابة الشعرية للتقليل من هيمنة الوظيفة الخطابية للكلام"[3].

قدم كل من ابن سنان و الجرجاني نفس الأمثلة مما فتح مجال النقاش و الحوار ألا أنّ الرجلان افترقا.

☜ **قـراءة العمري لبـيان الجـــاحــظ (ت 255 هـ):**

أخذ الجاحظ اللغة عن القدماء أمثال الأصمعي و أبي عبيدة، و النحو عن الأخفش، وأخذ الحكمة عن صالح بن جناح اللخمي و كان للجاحظ ثقافة واسعة مما أثمرت عدة مؤلفات و كانت –كتبه - تشهد له بالإجادة في مؤلفاته فيقول ابن العميد : " كتب الجاحظ تعلم العقل أولا و الأدب ثانيا"[4].

---

[1]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص : 432.

[2]– المرجع نفسه، ص : 470.

[3]– المرجع نفسه، ص : 472.

[4]–عيسىعليالعاكوبالتفكيرالنقديعندالعرب،ط 9،مدخلإلىنظريةالأدبالعربي،جامعةالإماراتالعربيةالمتحدة،ص : 137.

ولقدانطلق محمد العمري في قراءته هذه من تبيان الإختلاف في قراءة بيان الجاحظ بين المحدثين،لكون كتابه " ليس ذا إستراتيجية محددة ومضبوطة. وكثيرا ما اعتبر الجاحظ مجرد جامع لما استقر إلى حدود عصره من مصطلحات ومفاهيم نقدية وبلاغية "[1].ننظر مثلا،مصطلحات نقدية و بلاغية في كتاب البيان و التبيين للشاهد البوشيخي .

و كان الباحث حمادي صمود له دور مشترك بقراءته للتراث البلاغي ،قراءة نقدية حيث خصص قسما كبيرا في أطروحته الموسومة ب : التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس الهجري و البلاغة الجاحظية هي مرحلة التأسيس حيث ضبط الكثير من المصطلحات و المفاهيم العلمية للبلاغة العربية القديمة و ركز قراءاته على رؤية الجاحظ لبلاغة البيان حيث اهتم بالحجاج و الجدل المنطقي و من المعطيات التي عرفها هي : المفاهيم و المنهج و الإجراء.

أ- المفاهيم: المقصودة بها " جملة المصطلحات التي تمثل قمة الإستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم و ماهيته ،و سعي القائمين عليه على إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها ، أدق أبعاده الأصولية "[2].يلاحظ حمادي صمود أن البلاغيون كان اهتمامهم بالحقيقة و المجاز و الفصاحة و البلاغة فالأولى (الحقيقة و المجاز) تتمثل في بناء تصور للتعبير الأدبي بالكشف عن خصوصيات و آليات بناءه و جماليه بين المخاطب و المتلقي. أما الثانية (الفصاحة و البلاغة) يري حمادي أنها تصلح بتحديد منهج الدراسة الأسلوبية و تكشف عن جودة و بلاغة النص أي الحرص على انتقاء المصطلحات و طرقة توظيفها .

ب- المنهج : و يقصد به" الأسس و الطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية، و الوقوف على أسباب تلك البلاغة و أسرارها "[3]. يرى صمود بأن منهج الدراسة النقدية البلاغية عند العرب نوعان أولا: منهج المدرسة الكلامية،ثانيا: منهج المدرسة الأدبية فالأول يهتم بالمنطق و الفلسفة و الثاني بالأسلوب و الخصائص الفنية و الجمالية ،يهتم بنظام النص و دلالات اللغة.

---

[1]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص : 189.

[2]– حماديصمودالتفكيرالبلاغيعندالعرب :أسسهوتطورهحتىالقرنالسادسالهجري،منشوراتالجامعةالتونسية،تونس،ط1 ،1981،ص: 392.

[3]– المرجع نفسه، ص :393

ت- الإجراء : و يقصد به " مختلف المقاييس التطبيقية التي حددوا بها بلاغة النص و جودته على صعيد الشكل و المضمون "[1] .

يرى صمود في هذا المصطلح هو الكشف عنوظيفة النص و جودته أي استخدام البيان و تحكمهم في الذوق الأدبي

ثم يبين نقط الارتكاز التي اعتمد عليها مشروع الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، حيث اعتبر أن فهم عمل الجاحظ يكمن في التفرقة بين المركز والمحيط. فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارات الخاصة، أما المحيط فقد كان إلى حد ما مرن بإرادة ووعي من الجاحظ، وقد عبر عن ذلك في مناسبات عديدة وبعبارات لا لبس فيها [2].

ثم ينتقل إلى تحديد مفهوم البيان عند الجاحظ، حيث يرى أن البيان عند هذا الأخير ينازعه مفهومان:أماالأول فهو **معرفة** واستكشاف ، أي فهم وإفهام، وأما الثاني: **إقناع**، أي الدور الإقناعي للكلام وما يتصل به من عناصر إقناعية غير لغوية.

و الملاحظ أن الجاحظ و صف بعض الأعراب بصفات تتمثل : في العقل الفصاحة ، و العلم ، و البلاغة و يذكر عيسى علي في كتابه ما قاله الجاحظ في كتابه البيان و التبيين :" و أنا أقول : أنه ليس في الأرض كلام هو أمتع و لا آنق ، و لا ألذ في الأسماع ، و لا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، و لا أفتق للسان ، و لا أجود تقويما للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، و العلماء البلغاء "[3].

يتضمن الكلام ضرب من الإقناع و ذلك أن يبدع المخاطب في إلقائه النص بوسائل إقناعية مثير و يعد حجج مقنعة مناسبة لمقام النص .

ويخوض محمد العمري في مكونات الخطاب البياني، ليذكر مكونين اعتمدا عليهما الجاحظ هما: **اللغة** (الصواب والاعتدال)، و**الإشارة**. وفي حديثه عن **اللغة**أعطى الجاحظ دورا حاسما **للمقام**، " غير أنه ما كاد يستقر كمبدأ نظري حتى اصطدم بأمرين: أحدهما ، وهو الأهم، حالة اللغة العربية في عصره حيث عمت العجمة واللحن في النطق والنحو، والثاني توجه البيان نحو النماذج الخطابية والأمثال والحكم الجيدة المتفاضلة" [4] .

---

[1]– حماديصمودالتفكيرالبلاغيعندالعرب :أسسهوتطورهحتىالقرنالسادسالهجري ،ص: 393.

[2]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، ص : 191.

[3]– عيسىعليالعاكوب،التفكيرالنقديعندالعرب،ط9 ،ص:149.

[4]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص : 202.

قد يكون المخاطب حين تلقيه النص على يقين و في استعداد تام و تنتاب في نفسه الثقة ، و ينبغي أن يحلق أقوى عناصر الإقناع و التفنن و الشواهد المقنعة و المثيرة في اللغة العربية ، و إلقاء الكلام على نحو صحيح و يكون النص بناءا و هادفا .

ومع هذا المسار نحو اللغة فقد ظل يحتفظ بالبعد العام الإشاري، ورفعا للبس قَسَّمَ العمري تناول الجاحظ **للإشارة**إلى مستويين: " الإشارة المساعدة على التبليغ ، المصاحبة للفظ المكملة له" [1].حيث يعبر عن الاتساق بين إبداع المخاطب (الإشارة) و اللفظ المنطوق المكملة له و يقول أن : "والإشارة الدالة في حد ذاتها باعتبارها نسقا منفصلا عن اللغة، وتشمل عنده صور التعبير الاجتماعي مثل طريقة اللباس والأزياء والمراكب، وغير ذلك من المظاهر المعبرة التي يقصد منها التأثير في الآخرين "[2].

واكب هذا الخطاب غير المنطوق ، ممارسات و هيئات تفرض الوجود لمسارات تحد أبعاد معرفية غير المنطوقة قصد التأثير في الأطراف الأخرى أي تكون معادلة موازية بين الهيئات و الذات للكشف عن الظل من خلال الملاحظة أو المشاهدة .

أما عن **المحتوى الفكري لبيان الجاحظ** يقول محمد العمري إنالجاحظ كان : " أكثر صراحة وإلحاحا في إيضاح قيمة البيان في المستوى المعرفي والاجتماعي معا. تحدث من أول الكتاب عن اللسان وما قيل فيه من شعر وأخبار، ثم أعقب ذلك في حديث لاحق بذكر زلاته، ثم عاد للدفاع عن البيان معتبرا أن كل ما قيل في تفضيل الصمت مجرد روايات معدولة عن وجهها " [3] .

و يقول أيضا: " وحين يستعرض المرء الظروف التي سبقت هذا الاحتفال بالبيان (باعتباره احتجاجا بالمعنى البلاغي والاجتماعي) سيقتنع أن كتاب البيان والتبيين وما سار في اتجاهه، كان يمثل موقفا حضاريا هو محاولة إرساء مجتمع عقلاني تربط بين أفراده علاقات الإقناع بالمنطق والاستمالة بشتى صور الدلالة والتعبير الاجتماعي" [4].

نرى أساس التفكير العلمي هو المنطق و الاستقراء و الجاحظ كان من المفكرين و المبدعين و كان نشاطه العقلي مبنيا على المنطق و كانت السمات الرئيسية للتفكير عنده تحت سيطرته كما اتضح من

---

[1]– المرجع نفسه، ص : 205.

[2]– ينظر، المرجع نفسه ، ص :206.

[3]–المرجع نفسه، ص : 208.

[4]– المرجع نفسه، ص : 209.

خلال كتابه البيان و من المستحسن القول أن ذكاء الرجل له علاقة بالقدرة على تكييف الخبرة لحل نطاق واسع من المسائل ، تربط مجمل مستويات و العلاقات .

وفي ختام قراءته يرجع وظائف البيان إلى ثلاث وظائف أساسية: " الوظيفية الاخبارية المعرفية التعليمية، الوظيفة التأثيرية، والوظيفة الحجاجية" [1]. درس الرجل هذه الوظائف وأعطاها حيزا من الاهتمام وخاصة الوظيفة الأخيرة وهي الوظيفة الحجاجية .

مجملا،

يبدو أن التمرس السابق بالتحليل البنيوي ظاهرا في الكتاب (البلاغة العربية أصولها وامتدادتها)من خلال تحليل بنياتِ المؤلفات البلاغية، وكشف أنساقها الداخلية، والإبتعاد عن مكرور الكلام من الأخبار والتراجم والأحكام الجاهزة.

العدة المصطلحية

من عواقب عملية التحول داخل البناء تغير مفاهيم المصطلحات بل وتناقضها أحيانا. وهذا الواقع يجعل مهمة استخراج المصطلحات وتعريفها دون الوصول إلى التصورِ العا م الذي يُشغِّلها أمراً محفوفاً بالمزالق، فهو يؤدي من بين ما يؤدي إليه: إما إلى الخطأ في تعريف المصطلح أصلا، وإما إلى جعلِ المركزيّ ثانويّاً والثانويّ مركزيّاً، بل قد يؤدي إلى إهمال مصطلحات جوهرية لا يستقيم الفهم في غيابها.

وهذا ما جعل**محمد العمري**لا يكف، منذ سنوات، عن انتقاد توجه بعض الزملاء من الدارسين العرب في مجال البحث المصطلحي ممن يكتفون بالتعريف المعجمي أو بالتصريح العابر للمؤلف في موقع من المواقع دون أن يبذلوا جهدا لكشف موقع المصطلح من خلال النسق العام النهائي أو المتحول للمشروع العلمي.وقوله: "دون بذل جهد"، يُرجعه إلى أن المصطلحات تُعرف من داخل العلم الذي تنتمي إليه، أو من سياق البناء النظري لمؤلِّف أو مدرسة، وهذا ما يقصده المختصون حين يقولون: إن المصطلحات تتعارف، أي يَعرفُ بعضها بعضا ويُعرِّفه.

[1]– محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص : 212.

نكتفي هنا بتقديم مثالين أساسيين من مشروع عبد القاهر الجرجاني يبينان المنزلق الذي يمكن أن يؤدي إليه أخذ المصطلح خارج السياق[1]:

المثال الأول: المعنى العقلي

استُعْمِلَ العقلُ والعَقلي عند الجرجاني استعمالين متناقضين: من الضد إلى الضد: وذلك داخل كتاب أسرار البلاغة وحده.

أ. المعنى الأول: العقلي ضد الحسي

تتبع الجرجاني في القسم الأول من الأسرار مستويات البلاغة باعتبار الحسية والعقلية. فهو يرى أن قيمتها تزيد صعوداً كلما زادت عقليةً وتجريداًحتى تصل إلى الجمع بين أعناق المتنافرات عن طريق التخييل.

ب. المعنى الثاني: العقلي ضد التخييلي

وحين انتقل في آخر الكتاب للحديث عن المعاني القابلة للأخذ، أي للسرقة، والمعاني غير القابلة للأخذ، جعل المعنى العقلي في مُقابل التخييلي، فالعقلي هنا ما لا يعتد فيه بالأخذ لأنه مشترك أي غير شعري. العقلي هنا هو المنطقي المجرد.

إنه من السهل أن نمد قنطرة بين المعاني العقلية في أول الكتاب والمعاني التخييلية في آخره و هذا ما بيناه فعلا، ولكن هذا لا يحل مشكل استعمال مصطلح واحد استعمالين مختلفين متناقضين.

المثال الثاني: "اللفظ"

تحدث الجرجاني عن اللفظ في الأسرار باعتباره أصواتا مسموعة. وهو بذلك نقيضٌ للمعنى. وأرجع المعنى إلى أصول عامة هي: التشبيه والاستعارة والتمثيل، والمجاز أيضا، باعتباره أصلا للاستعارة.

وعلى هذا الأساس بني كتابه أسرار البلاغة. وعند الانتقال إلى كتابِ الدلائل، أي عند الانتقال من الغرابة الشعرية إلى المناسبة التداولية، أدرجَ هذه الأصول المعنوية تحتَ العناصر البلاغيةِ اللفظيةِ. فاللفظ في النَّسق البلاغي للدلائل هو: الاستعارة والتمثيل والكناية. وهذا المفهوم يدخل في عملية مصالحة من الاتجاه التقليدي الذي يجعل البلاغة في اللفظ. وفي إطار هذه المصالحة تمت الإبداعات

[1]– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 13 جانفي 2021.

الكبرى للبيان تحت مفهوم صورة المعنى ومعنى المعنى، فما يُسميه القدماء لفظاً هو: صورة المعنى، ومعنى المعنى، وليس ما فهمه المتأخرون أي الأصوات.

وهناك إشكالات أخرى،وذلك من أن الواقعة البلاغية الواحدة يمكن أن تأخذ عدة أسماء تبعا للجهة التي ننظر إليها منها، ومعنى ذلك أن التعرف على النظام المصطلحي يتطلب الخوض في اشتغال النظرية.

ولمَّا كانت بلاغة الشعر تقدم فائضا من المصطلحات يغني الباحث عن اقتراح مصطلحات جديدة، فقد اكتفى محمد العمري بالاختيار والتنسيق وإعادة التعريف عند الضرورة، كما فعل في كتابيه تحليل الخطاب والموازنات.

☜ **مصطلح الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية**

"وردت كلمة موازنة في التراث البلاغي العربي متأرجحة بين النعت اللغوي العام والاصطلاح البلاغي المحدد"[1].

"وفي مستوى الاصطلاح يمكن التمييز بين ثلاث تصورات:

أ- اعتبار الموازنة بابا كبيرا من أبواب علم البيان بمعناه العام، نجد هذا التصور عند ابن أبي الحديد في فصل خاص عقده للحديث عنها، وهي تضم عنده، المقابلة بين الصيغ الصرفية والتفعيلات، إنها تقابل مفهوم الترصيع عندنا (بل كما حدده قدامة نفسه). يقول ابن أبي الحديد مفرقا بين الموازنة والسجع : " والموازنة أعم من السجع لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد ، نحو القريب والغريب والنسيب، وما أشبه ذلك. وأما الموازنة، فنحو القريب و الشديد والجليل، وإن لم يكن الحرف الآخرُ بعينه واحداً. وكل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعاً.

ب- اعتبار الموازنة توازنا غير مسجوع ، وهذا هو المفهوم الذي حُدد لها عند عند البديعيين المتأخرين"[2].

ج-" اعتبار الموازنة نوعا من المقابلة حين تعتبر الأخيرة جنسا أعلى، كما هو شأنها عند ابن الرشيق، وتضم جانبا من البناء الصوتي"[3].

ويقول : "يمكن أن نقسم المادة الصوتية المنضوية تحت مبحث الإيقاعإلى ثلاثة أقسام:

---

[1]– محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية، ص : 15.

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة

[3]– المرجع نفسه، ص : 16.

أ- **الوزن العروضي:** وهو ذو طبيعة تجريدية. مكون من توالي الحركات والسكنات في وحدات سميت أسبابا وأوتادا. تُمثَّل بصيغ صرفية، أو تفعيلات حسب نظام الخليل الذي نجده مناسبا في هذه الدراسة.

ب-**الأداء:** ويضم كلصور تجليات الإنجاز الشفوي، أو التأويل الشفوي للنص. بما فيه من مدة وشدة وارتفاع..وهو مجال الدراسة التجريبية المَخبرية.

ج- **الموازنات:** تضم الموازنات كل صور تكرار الصوامت والصوائت[1] مستقلة أو ضمن كلمات"[2].

ولابد من التنبيه بأنه لا ينبغي أن يتبادر إلىالأذهان أننا نختزل الشعر في الموازنات الصوتية مهما توسع تفاعلها مع بقية العناصر المكونة للنص.

ويقول العمري قد ألصقت مثلُ هذه التهمة بياكوبسون فرد بحزم قائلا: " يجب أن يكون المرء واسع الخيال لكي يُلصقَ بمن يتعاط هذه الدراسات النحوية (نحو الشعر) النية الخفية لاختزال الشعر في مجرد نحوٍ. فالمختص في القافية لن يذهب به الأمر أبدا إلى التأكيد بأن الشعر يساوي القافية. وبنفس الشكل، لا يمكن أن نختزل الشعر في نسق الاستعارات ولا في مجموعة من المقاطع، ولا في أي شكل من هذه الإثارة المختلفة" [3].

كما قال جون كوهن في حديثه على بنية اللغة الشعرية فيعتبرها الموازنات مع الوزن و الأداء فهي أحد مستويي بنية اللغة الشعرية ،تكمن في الصوت و الدلالة،ويقول يوري لوتمان أن التكرار و الاستعارة هما يقسمان البنية الشعرية ويقول العمري : " لابد من الإشارة في الأخير إلى أن استخراج موقع الموازنات في الرؤية البلاغية العربية وتبينها هو في الوقت نفسه، كشف لبنية هذه البلاغة، ذلك أن موقع الموازنات إنّما يتحدد بالمقارنة مع مواقع العناصر الأخرى المشتركة معها في تكوين الخطاب الشعري، فالموقع الذي يخليه عنصر أو يطرد منه يحلُّه عنصر آخر لابد من إبرازه"[4].

ومن خلال تطلعنا على كتاب الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشعرية عن كشف الدور الفعال الذي يقوم به الأداء الصوتي من منظور اللغة و القافية و العروض في تيار الإختلاف بين النصوص و الحقل الدلالي و نتاج هذا العمل من خلال دراسة محمد العمري توصل أن البلاغة العربية

---

[1]– الموازنات المجسدة، بواسطة الصوامت، أي في **التجنيس**، والموازنات المجسدة، بواسطة الصوائت، أي **الترصيع**.

[2]– محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري للبنية الصوتية في الشعر– الكثافة.الفضاء.التفاعل ، الدار العالمية للطباعة والنشر، ط1، 1990، ص :11.

[3]– المرجع نفسه، ص : 13.

[4]– محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية، ص : 12.

القديمة قسمين بلاغة نثرية و بلاغة شعرية ، و نتيجة تداخل هاتين البلاغتين تنتج ثراء واسع للحركة الفكرية النقدية .

☜ **مصطلح تحليل الخطاب**

يُعدُّ من أكثر المصطلحات تداولا منذ القدم في الدرس اللغوي ،و لقي اهتماما كبيرا من قبل جميع الباحثين و العلماء العرب و الغرب ،و بسبب تلاحم و تلاقي الثقافتين تبين تحليل الخطاب ،ولم يستطيع الباحثون و العلماء تحديد مفهوما دقيقا له ،مما شك أنه مرتبط بمصطلح آخر ألا وهو مصطلح النص ، و لمصطلح تحليل الخطاب دلالات مختلفة بالنسبة للباحثين في شتى مجالات الدرس اللغوي. ففي نظر عالم اللغة الاجتماعي مثلا ، يتصل هذا المصطلح أساسا ببنية التفاعل الاجتماعي كما تتجلى في الحوار اللغوي، وهو في نظر عالم اللغة النفسي ذو صلة بالطريقة التي يتم بها فهم النصوص القصيرة المكتوبة.

فرؤية ج بروان في هذا المجال –تحليل الخطاب- قائلا : "إن تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال"[1].

لذلك، لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمله تلك اللغة من أجله، فاللغة تشمل حيزا فعالا و متميزا في الخطاب و لا ينتهي دورها عند تحريك المشاعر و الانفعالات، بل يتعدى ذلك ، واستحضارها بشكل مزدهر من الحجج المنطقية المعقولة التي يمتلكها عقل المتلقي و استنتاجا أن مفهوم تحليل الخطاب مرتبط ارتباطا محكما باللغة و مختلف استعمالاتها و هذا ما أكده ج بروان في نظريته التي ذكرت سابقا .

وهنا تتبع و إجراء**محمد العمري**على : " المفاهيم والمصطلحات البلاغية القديمة ، وكذا اجتهادات المحدثين لبلورة مقاييس لتمييز الموازنات الشعرية في مستوى النص والتلقي، وقد تبين له أن هناك مفاهيم عامة وأساسية تستوعب ما دونها وتبرز فاعليته، وهي **التراكم والفضاء والتفاعل.**

التراكم يتضمن النوع المتراكم. و**الفضاء** يتضمن الحديث عن المواقع والأنساق. وعند ممارسة التحليل ومواجهة النصوص البلاغية الشعرية بدأ ينكشف لنا كيف أن التراكم النوعي والفضاء هما عاملان من عوامل **التفاعل**،وأن التفاعل هو أساس الفاعلية الشعرية. التفاعل يتم طبعا، بين مواد

[1]– ج براون.ج بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1997، ص :1.

متراكمة في فضاء. يتم **التفاعل** في عدة مستويات حسب العلاقة بين العناصر المتفاعلة، حيث تمتد العلاقة بينها في التماثل إلى المضارعة والمقاربة إلى الاختلاف والتعارض والتناقض. فالحديث عن التراكم نفسه هو حديث عن العلاقة بين مواد متشابهة ومواد مختلفة، درجات من الاختلاف، هو بحث عن فاعلية الائتلاف والاختلاف"[1].

وعند تصفحلكتابه "تحليل الخطاب الشعري" يتلقي القارئ : " ألفاظ و مصطلحات مثل: المماثلة والمضارعة والمقاربة والاختلاف والتعارض والتضاد والاتساق والخرق والبتر والتنشيط والتنسيق.....الخ"[2].

دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومو اقف نقدية)

قراءة في منهاج البلغاء

يرى حازم : " أن علم البلاغة يشتمل على صناعتي الشعر والخطابة، فهما مشتركان في ماد المعاني ومفترقان في تصور التخييل والإقناع. وقد قارن في مناسبات عديدة بين الشعر والخطابة كما عرض لمكونات الحجاج. ومع ذلك فإن موضوع كتاب منهاج البلغاء هو بلاغة الشعر أو الشعرية حسب تعبيره"[3].

فالكتاب مكون من أربعة أقسام، وليست هذه الأقسامالأربعة شيئا آخر غير عناصر المحاكاة في الشعر وهي : اللفظ والمعنى والنظم والأسلوب.

ينتقد محمد العمري خطة الكتاب قائلا: " تبدو الخطة التي اعتمدها حازم لتحقيق مراهنته في الانتقال من الجملة إلى النص غير مضمونة العواقب من عدة جوانب منها: التفريق بين اللفظ والمعنى، التفريق بين النظم والأسلوب، التفريق بين الجملي والنصي،أضف إلى ذلك تداخل منهاج الكتاب. لقد كان من عواقب هذا التقسيم تداخل مواد الكتاب وعموم التكرار" [4]..

أما **تداخل اللفظ والمعنى** يظهر جليا في تقسيم مستوى الجملة إلى لفظ ومعنى، وهذا جدير بأن يوقعه في الحرج الذي وقع فيه الجرجاني وابن سنان[5].

---

[1]– محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري للبنية الصوتية في الشعر– الكثافة.الفضاء.التفاعل، ص: 51.

[2]– المرجع نفسه،ص : 51

[3]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 500.

[4]– المرجع نفسه، ص: 502.

[5]–محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،ص : 502.

فحين " لا يحدد اللفظ في المستوى الصوتي يجر، لا محالة، إلى الخوض في القضايا المعنوية"[1].

ويبدو أن حازم أحس بهذا الحرج حين تناول في القسم الثاني إلى **الغموض**، إذ لاحظ أن جانبا منه يعود إلىالألفاظ والعبارات.

وأما تداخل النظم والأسلوبيقول يرجع إلى: " أن الحديث عن النظم أخذ في البداية صيغة المدخل البلاغي العام: البلاغة هي النظم. والنظم صناعة آلتها الطبع.

ومرد الطبع إلى فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض.... وذلك إنما يكون بقوى فكرية واهتداءات خاطرية. وقد عدَّدَ عشرًا من تلك القوى، منها: القوة على التشبيه، القوة على تصور كليات الشعر، القوة على تصور صورة القصيدة، القوة على تخيل المعاني، القوة على ملاحظة التناسب بين المعاني.... "[2].

وهنا ينتقد محمد العمري ذلك قائلا: " لقد أفلت النظم من يدي المؤلف باعتباره امتدادا للفظ (أو العبارة)، كما هو الأمر في أصل المشروع. وحل محله النظم باعتباره كفاءة في إنتاج القصيدة، ابتداء من التشبيهات ووصولا إلى تخيل الهيكل العام وانتهاءإلى المقدرة النقدية التمييزية" [3].

كما انتقد جعل المؤلف المحاكاة منهج من مناهج المعنى. فالمحاكاة ليست خاصة بالمعنى إلاإذا أخذت بمفهومها الضيق المباشر: التشبيه والاستعارة.

وأما**تداخل الجملي والنصي** فقد أدى إلى : " تكرار كثير من القضايا والموضوعات مثل قضية علاقة المعاني بالأغراضآلت أُثِرت في الحديث عن المعنى من حيث تولد الأغراض ثم نوقشت في باب الأسلوب من حيث أسلوبها وبواعثها، والأمران ملتبسان متلاصقان لا يمكن الحديث عنهما منفصلان"[4]

وينتقد محمد العمري **تداخل مناهج الكتاب**قائلا: " إن تفريع القسم الواحد إلى أربعة مناهج تقسيم مفتعل غير مقنع، فقد أدى ذلك إلى تقسيم المادة الواحدة من الباب الواحد تقسيما غير مقنع" [5] .

فمن أكبر عيوب منهاج البلغاء عدم بلورة العناوين، وهذا يرجع إلىمحاولة تضمين عدة مداخل في عنوان واحد، ولو دققت العناوين وقام التصنيف على أساس واحد لظهر الكثير من التكرار في الكتاب.

☜ **قــراءةفي مفتاح العــلوم**

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 503.

[2]– المرجع نفسه، ص: 504.

[3]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]– المرجع نفسه، ص : 505.

[5]– المرجع نفسه، ص : 506.

اشتهر السكاكـيفي تاريخ الثقافة العربية بقراءته الخاصة للبلاغة العربية، تلك القراءة التي صنفت مباحثها الى معان وبيان وبديع. ويبدو أنه لم يقصد في البداية تأليف كتاب في البلاغة، وأول شاهد على ذلك عنوان كتابه: مفتاح العلوم.إلا أنه أوضح في السطور الأولى من كتابه أنه ليس مفتاحا لكل العلوم، بل هو مفتاح لعلم واحد سماه "علم الأدب".

ويُبدي محمد العمري وجهة نظره في ذلك قائلا: " الأدب يساوي عنده في نظرنا ، الخطاب السليم الناجع. من هذا المفهوم يتحدث السكاكي عن علم الأدب الذي نراه تصورا مبكرا لما يسمى حاليا علم النص. ونجد شبها قويا بين مفهوم الأدب عنده ومفهوم الثقافة اليوم. وهذا مفهوم للأدب شاع في العصور الإسلامية حيث كان تأديب الأبناء يتم عن طريق تحصيل اللغة والنصوص الأدبية" [1] .

وفيما يخص منجزه فإن علم المعاني والبيان منطقة حميمة يتسرب منها المنطق إلى النحو والنحو إلى المنطق. حيث جعل النحو والاستدلال في خدمة طرف ثالث موجود بينهما هو علم المعاني مكمَّلا بعلم البيان، كأنه يُمَنطق النحو ويُنَحون المنطق.

وهنا ينتقد العمري عمل السكاكي قائلا: " إن ما قدمه السكاكي في النحو والمنطق والعروض والقافية لم يُحِلّه أو لم يحقق له أية مكانة بين أعلام تلك العلوم، لأم ما قدمه هناك لا يحمل بصماته بوضوح، وذلك بخلاف صياغته لعلمي المعاني والبيان. وبذلك نسي مشروعه الذي أعلن عنه في الصفحات الأولى من الكتاب: علم الأدب، وحفظ منجزه الذي لم يأخذ اسم البلاغة إلا بعد الانتهاء منه، كما تقدم " [2] .

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 481..

[2]– المرجع نفسه، ص: 485.

تجليات حسه النقدي في فهم البلاغة الجديدة.

- **البلاغة الجديدة مفهوما ونشأة (في سياق البحث الأجنبي).**
- **دواعي ومسوغات حسه النقدي حيال قضايا البلاغة الجديدة..**
- **وسائط تلقي العمري للجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة (الأخذ المباشر/ الترجمة).**
- **آليات منهج القراءة النقدية في قضايا البلاغة الجديدة.**
- **العدة المصطلحية.**
- **دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومو اقف نقدية).**

مقـــدمـــة

وسنعرض في هذا الفصل جهود أحد المدارس العربية في بناء بلاغة جديدة وحديثة ، ويتعلق الأمر بالمدرسة المغربية الممثلة في الأستاذ **محمد العمري** من خلال إبراز تجليات حسه النقدي في فهم البلاغة الجديدة. ومن أجل ذلك سنحاول التطرق إلى عدة محاور، بدءا بالغوص في مفهوم ونشأة البلاغة الجديدة في سياق البحث الأجنبي، وتحديد دواعي ومسوغات حسه النقدي حيال قضايا البلاغة الجديدة، وكذا وسائطتلقيالعمريللجهازالمفاهيميللبلاغةالجديدة (الأخذالمباشر/ الترجمة)، وإظهار آليات التي اعتمدها في منهج قراءته النقدية للبلاغة الجديدة، ومن ثم التطرق إلى بعض المصطلحات التي جاءت بها البلاغة الجديدة، لنختم الفصل الثالث بدراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته ومواقفه النقدية.

البلاغة الجديدة مفهوما ونشأة (في سياق البحث الأجنبي)

يمثل مفهوم البلاغة الجديدة واحدا من المفاهيم التي ظهرت في موجة الدراسات الحجاجية التي دخلت الى دراساتنا اللغوية بسبب الترجمة، أو النقل عن دراسات الغرب المستحدثة في مجال إعادة بعث التراث الفكري لأرسطو وأفلاطون، ليأتي – هذا المفهوم – بدعوة صريحة للباحثين لتطوير البلاغة التراثية من خلال تطبيق آلياته ومحاولة بعث هذا التراث.

وليس من الغريب أن تعود الدراسات المعاصرة الى الميدان البلاغي، لأنه كان غائبا حاضرا، فالآليات التي اهتمت بها الاتجاهات النقدية، كانت تنتمي بشكل أو بآخر إلى جزء من جزئيات الدرس البلاغي، وتقع ضمن اهتمامه، ونجد ذلك عند الغرب كما نجده عند العرب. "والبلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبول" [1] .

"والمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية. ويمكن اعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة ، مادام ببرلمان وتيتيكا قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها ، لكن في ضوء رؤية جديدة " [2] . "والقول جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو) من ناحية، والبلاغة الأوروبية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى"[3] .

يرى العمري أنه بالضرورة بمكان الرجوع إلى البلاغة القديمة إذا ما أردنا بناء بلاغة جديدة، وقد ركز في كتابه البلاغة الجديدة على أهمية التراث البلاغي ، حيث قال: " عادت البلاغة القديمة محاورا جديا في بناء بلاغة جديدة وحديثة لعدة أسباب"[4].

"لقد صار استحضار البلاغة القديمة حجة على نجاعة المنهج وملاءمته لموضوعه، ومن هنا وجدنا الحديث (بل الاعتزاز) بوراثة البلاغة القديمة وتمثيلها، فتورودوف (وديكرو بالتضامن) يرى أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، ويصرح بيرلمان ومن معه بأن الوجهة الصحيحة لحجاج فعال وناجع في البيئة الديمقراطية الحديثة هي وجهة بلاغة أرسطو، كما يصرح رائد علم النص فان ديك، أن علم النص هو

---

[1]– عبد الله صولة: في نظرية الحجاج– دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص: 71.

[2]– جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص: 29.

[3]– عبد الله صولة: في نظرية الحجاج– دراسات وتطبيقات، ص: 71.

[4]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 64.

الممثل العصري للبلاغة، وتجاوز كوهن فتوى المشروعية فوضع يده على الميراث البلاغي مباشرة فسجله وحفظه تحت اسم اللغة الشعرية في كتابه:بنية اللغة الشعرية"[1].

"ومنالمفارقاتالتيقدتثيرالمتتبعلحركةتجديدالبلاغةوتشميلها،العودةُإلىالخطابيةأرسطو (أيالريطوريك) لتكونعنواناًللبلاغةالعامة،والحالأنأرسطوهوأولمنشطرعلمالخطابالإنشائيإلىالشعريةوخطابية (أوبويتيكوريطوريك).

وفيسياقالفصلبينالخطابيةوالشعريةفحصبولريكوربعمقعناصرالالتقاءوعناصرالافتراقبينالشعريةوالخطابية،فيمقالمركزتحتعنوان: الخطابية،الشعرية،التأويلية. وعليهفليسمنالممكن،فينظره- بول ريكور- قيامعلميستوعبالشعريةوالخطابية (بلوالتأويليةأيضا). فالملائمإذنهوأن "تتحدثكلواحدةباسمهاالخاص؛فتختصالخطابيةبفنالحجاجالهادفلإقناعالمستمَعبكونرأيمامقدماعلىمنازعه،وتختصالشعريةبفنبناءالحُبَكمستهدفةتوسيعَالخيالالفرديوالجماعي.."[2].

وفي حوار بين متطلبات البحث العلمي الحديث ومعطيات التراث البلاغي القديم تبلورت في البلاغة الحديثة ثلاثة تيارات كبرى:

☜ **تيار شعري بديعي:** يهتم بالصور البديعية، وبرغم استناد هذا التيار إلى الشعرية اللسانية البنيوية التي تفرعت من جهود الشكلانيين، وانتقلت إلى يد منظرين كبار، مثل باكويسون، إلى التداول العالمي، فإنها تعتبر في نظر الطامحين إلى بلاغة عامة للخطاب، كل خطاب، مجرد بلاغة مختزلة، وقد تحدث جيرار جنيت عن هذا المسار الانحساري في مقال مشهور بعنوان "البلاغة المختزلة" [3]. وتساءل بارت : كيف يأتي المعنى إلى الصورة؟ أين ينتهي؟ وإذا كان ينتهي فماذا يوجد وراءه؟ [4]،

☜ **تيار خطابي منطقي:** يهتم بالحجج وسبل الإقناع، وهو تيار يعلن ارتباطه بخطابية أرسطو وبناءه عليها. ويصدق على هذا التيار ما قيل في التيار الأول، فقد اختزل، هو الأخر في بعدها التداولي الحجاجي[5].

☜ **تيار خطابي:** البلاغة العامة، وهو يسعى إلى دمج التيارين السابقين باعتبارهما إقليمين متداخلين في منطقة واسعة،كما عبر أوليفي روبول في مقال له بعنوان: "الصورة والحجة" [6].

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 65 وما يليها.

[2]– موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 25 جانفي 2021.

[3]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 29.

[4]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة– بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص: 154.

[5]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات ، ص: 30.

[6]– المرجع نفسه ، ص: 31.

وفي استقصاء لأهم الاقتراحات القديمة والحديثة التي تيسر الإطلاع عليها وفهمها، ومن البحث في طبيعة الخطاب الممتد بين البرهان والهذر، اقترح محمد العمري تعريفا يبدو جامع لكل ما اعتبر بلاغة: "البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال...والخطاب الاحتمالي، كما قال ريكور، هو الخطاب الذي يمتد بين الاعتباط (أو الهذر)، في أسفل السلم، وبين الاستدلال البرهاني في أعلاه. الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن التصديق الشعري والتخييل الخطابي. فهذا المفهوم الحديث ينسجم مع التصور العربي القديم للبلاغة "[1].

وهو يحاول ربط القديم بالجديد استطاع العمري أن يحدد للكلمة ذات الأصل اليوناني **ريطورية** ثلاثة معان برجوعه إلى معجم ألفاظ الأسلوبية لجون مازاليغا وجورج موليني(JEAN MAZALERAT ET GEORGE MOLINIER):

- **الأول :** البلاغة مبحث قديم يهتم بفن الإقناع في مكوناته وتقنياته: استنباط الحجج ومعالجتها وبثها. ومن هذه الزاوية نجد البلاغة اليوم في ارتباط بالتداولية[2].
- **الثاني:** البلاغة مجموعة من صور التعبير منفصلة عن نوع الخطاب الذي استعملت فيه [3].
- **الثالث:** وقد تعني الكلمة أحيانا المقاييس المعيارية لفن الكتابة[4].

فالتعبير الشعري وفن الإقناع معان تقابل الريطورية في الثقافة الغربية، "وبذلك يبقى للبلاغة في التقليد الغربي معنيان كبيران: المعنى الحجاجي الإقناعي الذي يصب في التداولية الحديثة، والمعنى التعبيري الشعري الذي يصب في الأسلوبية"[5] .

وقد حاول بلاغيون غربيون بعد الحرب العالمية الثانية استثمار الأفق العام الذي تفتحه الريطورية القديمة في الواجهتين: في اتجاه الحجاج والجدل، وفي اتجاه الأسلوب والشعر.

فاهتمام العرب والغرب في البحث في التراث البلاغي دليل على أن ما سميت بالبلاغة الجديدة هو إعادة صياغة لنظرية جديدة للبلاغة مع حوار مع التراث. ومن خلال هذا النهج وصل محمد العمري إلى ثلاث توجهات:

---

[1]– محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات ، ص: 35.

[2]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:62.

[3]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]– المرجع نفسه ،نفس الصفحة.

[5]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

" **الأول** : التوجه الحجاجي / المنطقي (أو الفلسفي)، **الثاني:** التوجه الأسلوبي / الأدبي (أو الشعري)، **الثالث:** التوجه الخطابي / السيميائي (أو النصي)"[1].

دواعي ومسوغات حسه النقدي حيال قضايا البلاغة الجديدة

كان طموح التحديث والتجديد في نهاية الستينات وبداية السبعينات موجها لأكثر الطلبة الباحثين في الجامعة.

وإذا كان صحيحا أن بداية البحث محكومة بالإمكانيات والظروف المحيطة، فإن تَكَشُّفَ الآفاق العلميةِ يُدخل طالبَ العلم في مشروع يتجاوز تلك الظروف ويطمح إلى تغييرها، وبهذا يستحق صفة الباحث أو لا يستحقها. ولن يتحقق ذلك إلا بالمثابرة على الاستماع لمختلف الأصوات في مجال التخصص، والقدرة على الفهم والنقد و المراجعة إزاءَ النفس وإزاء الآخرين، على حد سواء. وإذا لم يُفلح طالب العلم في رسم أفقه الخاص، أي العمل في إطار مشروع، فإما أن يتوقف وينطفئ، وإما أن يتحول إلى آلة ناسخة، أو يد خفيفة تسرق تعب الآخرين .

وفي هذا المجال تأثر محمد العمري كثيرا بمسار"محمد مندور" قائلا: " تعلمت من مساره الكبير أن الحداثة تقتضي معرفة واسعة بالتراث الإنساني، وضمنَه، من باب أولى وأحرى، التراثُ العربي، كما تقتضي معرفةً نقدية بالعلوم الإنسانية لغوية ونفسية واجتماعية . "[2]. فمفهوم الحداثة عند العمري ارتبط بوصل التراث وليس القطيعة، وهذا قد يتنافى حسب بعض الباحثين مع مفهوم الحداثة في الغرب الذي يعني حسبهم القطيعة مع التراث. وفي هذا الاطار يجيب العمري في حوار أجراه مع محمد مرشد الكميم (باحث من اليمن) تحت عنوان : مسار حياة في البحث عن بلاغة عربية حديثة، قائلا: "الحداثة كلمة تثير أشد الحساسيات في بعض جهات الوطن العربي، وهي مخطوبة ومحبوبة في جهات أخرى منه، لا يهجرها إلا عنّين. هي مثل العلمانية والديمقراطية تعاديها أصوليتان: أصولية دينية وأصولية سياسية، لأنها تربط الاستحقاق بالعمل. ويزيد الأمر تعقيدا عند دارسي التراث التقليديين الكسالى العاجزين عن استيعاب التراث الإنساني حيث يُسقطون القدسية على التراث، ويقدحون في المناهج الحديثة باعتبارها إنتاجا غربيا تجب معاداته. ومثل هؤلاء التراثيين العاجزين المصعِّدين لعجزهم موجود بين حاملي شعار الحداثة الجاهلين بالتراث

---

[1]- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 66.

[2]- المشروع العلمي، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 29 جويلية 2021.

الإنساني. والواقع أن الدرس الأكاديمي الجدي في الدراسات الغربية الحديثة الذي نستلهمه قام على فحص التراث الغربي القديم اليوناني واللاتيني فحصا نقديا دقيقا وبَنَى عليه، بل ظلّ لحد الآن يستعمل مصطلحاته، وأمامنا الأرسطية الجديدة. لقد حسمت نظرية التلقي في هذا الإشكال: لا يمكن أن يقرأ القديم إلا من خلال أسئلة عصر القراءة، أي العصر الحديث، ولا يكتمل فهم الظواهر الإنسانية الحديثة إلا بمعرفة أصولها وإرهاصاتها القديمة. والعقل هو المحك، وهذا لا يقبله من حرمهم الله من نعمته. فأين توجد القطيعة في الدرس البلاغي؟ البلاغة الجديدة هي بلاغة أرسطو والجاحظ" [1].

ومن هنا تَرسَّخت لدى محمد العمري الاقتناع بضرورة الخوض في مناهج الدراسة الأدبية، وكان ذلك من خلال الترجمات العربية التي كثيرا ما لا تصل إلى درجة الإشباع والإطلاع على مصادرها الأصلية.

في هذا السياق حاول البحث عن أداة منهجية جديدة ، فانتهي به المسار إلى اقتحام باب الترجمة.

وهنا يحضرني ما قاله الدكتور احمد درويش : " رأينا خلال تحليل بعض النصوص التي استشهدنا بها من كتب البلاغة العربية، كيف أن بعض الاتجاهات في هذه البلاغة قد تأثرت بالترجمات التي نقلت إلى العربية عن الفكر الإغريقي، وعلى نحو ترجمات أرسطو، وليس في ذلك ما ينقص من قدر ذلك الفكر بل على العكس، فالحضارات القوية هي التي تبحث عن منافذ اتصال بالحضارات الأخرى، وتستفيد بما لديها بها في هذه الدورة التاريخية الخالدة" [2]. وكتب زكي نجيب محمود ذات يوم يقول:" إن تحقيق الثقافة العلمية والتقنية والصناعية لن يتم من خلال الرجوع إلى التراث القديم، بقدر ما يتطلب التوجه إلى أوروبا وأمريكا نستفي من منابعهم ما تطوعوا بالعطاء، وما استطعنا من القبول ،وتمثل ما قبلناه" [3].

ولعل هذا ما جعل **محمد العمري** يشرع في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة مسترشدا ببعض التجارب الغربية الموفقة التي كان لها صيت حسن عند الدارسين المحدثين على المستوى العالمي.

مثل بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وهو كتاب بسط نفوذه على كل المحاولات التجديدية في قراءة الشعر من وجهةِ نظرٍ **بنيوية لسانية**، في العالم الغربي قبل العربي. وأعمال كبديفار كا، خاصة ثوابت القصيد والأدب والبلاغة، ومشروع هنري شبليتفي إدماج البلاغة والأسلوبية في قالب سميائي عام يستثمر مزايا كل منهما في الجانب الذي تفوق فيه.

وغير ذلك من الأعمال.

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 283.

[2]– أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، ص: 171.

[3]– عبد العزيز إنميرات: مناهج قراءات التراث في الفكر النهضي العربي، ص: 501.

وفي إجابته عن السؤال التالي: كيف تختار ما يجب أن يترجم؟، في الحوار الذي أجراه مع محمد مرشد الكميم ، قال : " كل ما ترجمته داخل في أسئلة حارقة في وقتها : البحث عن المنهج. وكانت المناهج تمر بسرعة خارقة في الجامعة المغربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي. أترجم لأتعلم أولا، لأدخل في حوار جدي مع الأخر. اقتنعت مبكرا بأن القراءة العابرة لن تعطي شيئا بالنسبة لمُعرَّب مثلي مُشبع بثقافة عربية وإسلامية منغلقة على نفسها. فأنا خريج معهد إسلامي كانت نوافذه كلها إما مغلقة أو مفتوحة نحو رطوبة الداخل ودهاليزه. كان علي أن أقوم بثورة على نفسي أولا، بذلت جهدا كبيرا في تملك لغة أخرى ثم الحوار معها عن طريق الترجمة. عن طريق الترجمة اكتشفت قيمة الفكر النسقي. واكتشفت إني لم أكن مخطئا في عدم اقتناعي بالكثير مما يُكتب في النقد الأدبي العربي الحديث. أسير نحو هدف، أستغل وقتي كله، ولا أهتم بالزمن " [1].

وهكذا تحيلنا النصوص السابقة على مسألة أساسية نريد تأكيدها، ويتعلق الأمر بالعلاقة الوطيدة الموجودة بين الاهتمام بنقد العقل العربي الإسلامي، تاريخا وتراثا وبنية، وبين الاشتغال المكثف بأعمال خلاصات الفكر الغربي الحديث والمعاصر في باب المناهج وصياغة المفاهيم الإجرائية.

وسائط تلقي العمري للجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة(الأخذ المباشر/الترجمة)

لقد مضى على محمد العمري عقد من الزمن انكبَّ فيه على قراءة المشاريع البلاغية العربية القديمة، ليجد في نفسه بعد ذلك هوى محاورة النظريات الحديثة والقديمة من خلال الإقبال على الترجمة العربية.

أقدم على ترجمة العديد من الأعمال التي تدور في فلك الدراسات البلاغية والتداولية المعاصرة، فقد ترجم لجان كوهن (1986) ، وهنريش بليت (1989)، وكبدي فاركا (1992)، ومارسيلو داسكال (1997)، وأبدى اهتماما بالغا بإحياء البلاغة العربية القديمة، وذلك بمحاولة الانفتاح على العلوم المعرفية الحديثة والمعاصرة (اللسانيات البنيوية،علم الاجتماع الأدبي، ومباحث البلاغة الجديدة)، وكذا آليات التواصل وتقنياتها المتغيرة بسرعة فائقة في هذا العصر، وهي تقنيات عملت فعلا على تغيير موقع الإنسان (المخاطب، المشاهد، المستمع، القارئ.....) وتغيير علاقته بمحيطه وبمن حوله، وذلك من خلال إعادة تشكيل الأسس والمعايير التي كانت تقوم عليها تلك العلاقات [2]. وألحق ترجمته تلك بمساهمات أخرى حاول فيها رصد

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 300.

[2]– رمضان يوسف: البلاغات الجديدة في الدراسات العربية الحديثة (حمادي صمود ومحمد العمري نموذجا)، التعليمية، المجلد 4 العدد 09 جانفي 2017، ص: 8.

لتفاعل الساحة الثقافية المغربية على الخصوص والعربية على العموم مع حركية البحث العالمي في نظرية الأدب في فترة امتدت من بداية الثمانينات إلى الآن، جمعها في كتابه نظرية الأدب في القرن العشرين، حيث تطرق إلى نظرية الأدب في القرن العشرين لـ إلرود ابش و د .و. فوكيما، النص : بنياته ووظائفه- مدخل أولي إلى علم النصوص لـ فان ديك، ونحو جمالية التلقي لـ جان ستاروبانسكي.

أقدم محمد العمري بمشاركة محمد الولي على ترجمة كتاب بنية اللغة الشعرية لجان كوهن . ولأنه كان على علم بمراجع كوهن وخلفياته العروضية واللسانية ترجم القسم الأول منه المتعلق بالانزياح في البنية الصوتية، في حين أن محمد الولي ترجم القسم الثاني المتعلق بالانزياح الدلالي إذ كان قد قرأ كثيرا في هذا الموضوع، ثم راجع كل منهما عمل صاحبه. ويأتي هذا العمل بعد ترجمة محمد الدرويش لنفس الكتاب، وكان من المنتظر أن يقوم الدارسون بالمقارنة بين الترجمتين لصالح القارئ، ولعل المقارنة بينهما تتخذ بحثا مستقبلا.

وفي ترجمته لمشروع هنريش بليت " البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص" حاول محمد العمري تقريب صورة الأسلوبية البلاغية التي يقترحها صاحب المشروع - هنريش بليت – نموذجا بلاغيا جديدا لتحليل النص. ولعل ما شجعه على هذا العمل هو معاينته للمشاكل الحقيقية الملموسة التي يعاني منها الطلبة من جراء اضطراب المصطلح وانفصال الحقول المعرفية، وكذا ازورار بعض زملائه الأساتذة المشتغلين بالبحث الشعري والسيميائي الحديث من كلمة "بلاغة" وحمولتها القدحية. أملًا منه أن يكون مبشرا للبلاغة الجديدة لا منفرًا ،وان تساهم هذا الترجمة في فتح حوارا ايجابيا بينهم جميعا وتعمل على تقويم اعوجاجهم، . " نظرا لكون هذا البحث اختزالا لنظرية شاسعة الأطراف فقد طبعته صعوبتان: صعوبة ناتجة عن الإيجاز والاكتفاء باللمحة، وصعوبة ناتجة عن كثرة المصطلحات وتنوع مصادر الأمثلة (اللاتينية، والفرنسية، والألمانية، والانجليزية) "[1] .

أما مارسيلو داسكال استعرض في كتابه الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة أهم وجهات النظر السيميولوجية المعاصرة المهيمنة على الثقافة والبحث السيميولجيين بالكثير من التكثيف غير المخل بالطابع العلمي الرصين وبالوضوح المطلوب، باحثا عن القواسم المشتركة بين مختلف الاتجاهات. وساهم محمد العمري رفقة مجموعة من الأساتذة الباحثين (حميد لحمداني، عبد الرحمان طنكول، محمد الولي، مبارك حنون) ترجمة الفصل الثاني من هذا الكتاب، ومن شأن هذا العمل أن يطرح بجد مشكلة تعريف

[1]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية– نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، ص: 9.

العلوم الجديدة وإدماجها، بدون متاعب نظرية ومصطلحية كبيرة في البنية الثقافية العربية، إذ ما تزال البنية الذهنية تعاني من تأخر معرفي مريع. " ولقد حاول الأساتذة الباحثون في تعريبهم لهذا العمل أن يقربوه حد الإمكان إلى القارئ العربي من حيث الصياغة العربية الجيدة والتثبت من المصطلحات الملائمة، استعارة أو وضعا، وتقديم تعريفات للمفاهيم- المفاهيم الواردة في النص الأصلي "[1]. "ومن الأكيد أن القيام باختيار هذا النص وتعريبه يخدم هدفين اثنين: الهدف الأول ويكمن في تقديم المعارف الحديثة الجيدة وتعميمها على أوسع القراء، والهدف الثاني يتجلى في محاولة تأصيل هذا العلم وجعله جزءا لا يتجزأ من بنيتنا الثقافية عملا على استنهاضها، وذلك انطلاقا من معاودة النظر في مكوناتها وفي بنائها على أسس علمية صلبة جديدة ."[2]

وفي حرصه – محمد العمري - على تبسيط النص وتقريبه من الفهم، وإعطاء جواب جدي للسؤال المتعلق بالخصائص المميزة للنصوص الأدبية، عمل على ترجمة مشروع فان ديك " النص بنياته ووظائفه- مدخل أولي إلى علم النص"، محاولا ولو بصفة موجزة الإحاطة بالخصائص الأساسية للنصوص. " لن يقتصر الأمر هنا على استخراج الخصائص **الداخلية** للنصوص، أي مختلف البنيات التي تنطوي عليها، بل سيتعدى ذلك إلى المميزات **الخارجية** لهذه النصوص، وبعبارة أخرى سيتعدى ذلك إلى الظروف التي تحكمت في ظهورها في سياقات خاصة، وكذا إلى وظائفها وآثارها ضمن هذه السياقات، وسنعنى أيضا بتحديد العلاقات القائمة بين النص (بنية النص) والسياق"[3]. وقد سمح هذا العمل باستنتاج أن الدراسة النسقية للنصوص تكاملية، فالنصوص لا تحتوى على البنيات النحوية وحدها بل تحتوى ايضا على بنيات اخرى مثل البنيات العليا (الخطاطات) والبنيات البلاغية والاسلوبية. " وهذا كله يسمح لنا بأن نستخلص ان تحليل النصوص لا يستوجب مقاربة متعددة الابعاد. وكما سبق القول يجب وضع مختلف المستويات في علاقة بعضها مع بعض، في حين أن البنيات في مختلف المستويات يمكن ان ترتبط بصور مختلفة مع مختلف انماط السياقات، ومن ثم فإن الامر لا يقف عند فهم النص وتحليله في حد ذاته، بل يمتد قبل كل شيئ الى فهم مختلف وظائفه(الأفعال، الأثار....) وتحليلها في سياقاتها"[4]. وفي النهاية ينتقد محمد العمري لعدم معرفته المعمقة لكثير من النقط ، ومن ذلك أن العلاقة بين النص و السياق الاجتماعي لم تَكدْ تُدرس.

---

[1]– مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة محمد العمري وآخرون، إفريقيا الشرق، 1987، ص: 10.

[2]– المرجع نفسه، ص: 11.

[3]– محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص: 45.

[4]– محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص: 78 وما يليها.

وإذا ما القينا النظر في تاريخ الأدب نجد كتاب "هانس روبيرت هاوس" تحت عنوان " نحو جمالية للتلقي- تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب" ، وتكمن أهميته في كونه شَكَّلَ منعطفا هاما في مسار الدراسة الأدبية، حيث رسم الخطوط العريضة لتصور نظري وبديل منهجي يطمح إلى إعادة الاعتبار لتاريخ الأدب الذي فقد مكانته المميزة وأصبح يعيش في هامش الحركة الثقافية لذلك العصر، لقد تبين لـ **ياوس** أن تاريخ الأدب في عصره قد فقد مشروعيته، ولم يعد قادرا على الاستجابة لتطلعات القراء، لذا أصبح من الضروري تجديده بشكل يستجيب لرهانات هذا العصر ويجيب عن أسئلته. وفي مقال لـ "جان ستار وبانسكي" صدر بباريس ضمن منشورات كاليمار(Galimard)سنة 1978 قدَّم فيه ترجمة للفرنسية لهذا الكتاب، وانطلاقا من هذا النص الفرنسي قام **محمد العمري** بترجمته إلى العربية من أجل تفعيل تاريخ الأدب، هذا التفاعل الذي يبرز غنى الأثر الأدبي، ويكشف مدى قدرته على الاستمرارية من خلال الإجابة على الأسئلة الراهنة والمحتملة. وذلك لان " طريقة ياوس في الكتابة تقوم على الحوار، فهو لا يعتمد النقل والتسليم بما هو موجود، كما لا يتبنى نسقا مغلقا يتجاهل جهود الآخرين، بل قد يصل الحوار عنده إلى حد المساجلة، فيحرص على المحاسبة والمناقشة المستفيضة" [1] . "وتقترح الدراسات التي سنقرها هاهنا دفاعا عن التاريخ الأدبي وتوضيحا له، كما تحتوي مراجعة أساسية لنظامه: فهي تدعو إلى تحويل نقطة الارتكاز في الاهتمام التاريخي، فبتحديد موضوعات جديدة وتحمل مسؤولية متزايدة، يجد التاريخ نفسه مؤهلا لرفع تحدِّ خصب في وجه النظرية الأدبية، تحدِّ لا يتجه تأثيره إلى التشكيك في مشروعية النظرية الأدبية، بل إلى دعوتها إلى إعادة الاضطلاع بالبعد التاريخي للغة والتأليف الأدبي، وذلك بعد سنوات بدا فيها وكأن المقاربة البنيوية قد ضمنت ضرورة التخلي عن البعد الزمني" [2] . ويرى محمد العمري أن هذا هو المعنى الذي يحمله ما كتبه ياوس في عنوان المقالة الأولى: تاريخ الأدب: تحد لنظرية الأدب، وهي المقالة الرئيسة في الكتاب .

آليات منهج القراءة النقدية في قضايا البلاغة الجديدة

إن البحث في مفهوم البلاغة الجديدة يندرج في جملة ما يدعوا إليه المتأخرين المعنيين بهذا الشأن إلى تطوير البلاغة العربية من خلال استيراد فكرة البلاغة الجديدة الواردة في المؤلفات الغربية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كونها محاولة للتطوير تتلاءم مع التطور التكنولوجي السريع الذي يمر به العالم المعاصر،

[1]– المرجع نفسه، ص: 145.

[2]– المرجع نفسه، ص: 146 ومايليها.

دون تعسف أو ذوبان في الآخر. وقد كان لمحمد العمري في هذا الشأن جهود ظهرت من خلال ترجماته ومؤلفاته العديدة، حاول فيها الكشف عن الدرس البلاغي العربي بالاستعانة بالنظريات الغربية.

وتجدر الإشارة هنا أن أهم الخطوات الأساسية للقراءة هي " الجمع بين النظر إلى المضمون والنظر إلى المنهج الذي أنتج به، بل ويمكن القول في هذا المقام : إن الضرورة العلمية تقتضي أن يسبق البحث في منهج تأليف النص قبل البحث في مضمونه " [1] .

ولهذا كان لابد على الباحث تحديد المنهج الذي اعتمد عليه محمد العمري في قراءته لقضايا البلاغة الجديدة ، و لعل أبرزها **البنيوية** و**التداولية ونظرية التلقي**.

☜ **البنـيويـة**

إن الطبيعة المادية المكونة للأدب في التحليل النقدي الأخير كانت هي اللغة، فالأدب لا يتكون من أفكار ولا مشاعر ولا آراء وإنما هو جسد لغوي ممثل للنص الأدبي، ومن ثم فإن أي مقاربة لتحليل هذا الأدب بمنهج علمي كان من المفروض علينا أن تبدأ من منطلق اللغة، لا من منطلق ما وراء اللغة من فكر وميتافيزيقا وأشياء أخرى لا ترتبط بالمادة المباشرة للأعمال الأدبية، فتأسست على هذا الاعتبار **البنيوية** في النقد الأدبي [2].

كلمة بنيوية مشتقة من كلمة "بنية" وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني "Struere" أي "بنى" وهو الهيئة أو الكيفية إلى يوجد بها الشيء، والبناء لغويا أو معجميا هو الطريقة التي يتكون منها إنشاء من الإنشاءات أو شكل كلي [3] .

و يرتكز النقد في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة قائمة في لحظة معينة تمثل نظاما شاملا، والأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، وتحليلها يعني إدراك علائقها الداخلية ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها وتركيبها بهذا النمط الذي تؤدي به وظائفه الجمالية المتعددة، ومن هنا سنجد أن العنصر الجوهري في العمل الأدبي هو الذي لا يرتبط بالجانب الخارجي، سواء بالمؤلف أو سياقه النفسي، ولا بالمجتمع وضروراته الخارجية، ولا بالتاريخ وصيرورته، إنما يرتبط بما بدأ **البنيويون** يسمونه **بأدبية الأدب**،

---

[1]– عبد العزيز إنميرات: مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، ص: 594.

[2]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2002، ص: 90.

[3]– محمد بلقاسم: النقد البنيوي– الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الثامن، ماي 2009 ، ص: 155.

أي تلك العناصر التي تجعل الأدب أدبا، تلك العناصر التي يمكن اعتبارها ماثلة في النص محددة لجنسه الفني ومكيفة لطبيعة تكوينه وموجهة لدى كفاءته في أداء وظيفته الجمالية على وجه التحديد [1].

وتبدو البنية، بتقدير أولي ، مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقي أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية. وبكلمة موجزة، تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، والتحويلات، والضبط الذاتي[2] .

فنظرية الأدب ابتداءا من **البنيوية** قد أصابها تحول جذري، لم تصبح نظرية في الحياة وإنما أصبحت نظرية في ظواهر الإبداع الأدبي من منظورها اللغوي، والفني ، والجمالي [3].

ويظل هدف البنيوية هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية ودراسة علائقها وتراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولدها، ثم – وهذا أهم شيء- كيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية على وجه الخصوص [4].

وقد أمست هذه السيرة للنقد في محاولات النقد العربي هي الأكثر تبينا في معظم الممارسات النقدية المعاصرة.فالبنيوية أدت إلى تحويل عميق للنقد، فقد أصبحت " مهمة الناقد ليست هي اختبار مدى مصداقية الكاتب بالنسبة لعلاقته بالمجتمع كما كان النقد الإيديولوجي السابق يحصرها في هذا النطاق، إنما أصبحت مهمته أن يختبر لغة الكتابة الأدبية، يرى مدى تماسكها وتنظيمها المنطقي والرمزي ومدى قواها أو ضعفها، بغض النظر عن الحقيقة التي تزعم أنها تعكسها أو تعرضها في كتاباتها " [5] ." ولقد كان المشاركون من النقاد في ندوة القصة العربية بمكناس المغرب نادوا بضرورة تبني هذا الموقف النقدي الجديد في التعامل مع النصوص السردية العربية " [6].

وقد تبنى محمد العمري هذا الموقف النقدي الجديد كآلية لقراءة قضايا البلاغة الجديدة. ولا شك في أن للمعالجة البنيوية جدوى كبيرة في استخراج الأنساق وتفسير الفعالية. ففي سعيه لبناء بلاغة جديدة من خلال التنقيب عن فهم الغرب للبلاغة بالموازاة مع أسئلة البلاغة العربية لجأ إلى الترجمة والمساءلة. " وتُمثل هذه الدراسات والترجمات مشروعا علميا جريئا، فتح أُفقًا جديدا للدراسات البلاغية

---

[1]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ، ص: 91.

[2]– جان بياجيه: البنيوية، ترجمة عارف منيمن وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ط 4، 1985، ص: 8.

[3]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ، ص: 94.

[4]– المرجع نفسه، ص: 98.

[5]– المرجع نفسه، ص: 94.

[6]– محمد بلقاسم: النقد البنيوي– الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، ص: 158.

والنقدية، وكشف عما يتميز به صاحبه من تشبع بالتراث وتحكم في النظريات والمناهج الغربية وتشرب من مقولات الدرسين اللساني والبلاغي المعاصرين" [1] . وقد حاول في مجال الترجمة إلى الجمع بين مطلبين كثيرا ما أدى الاحتفاء بأحدهما إلى التضحية بالأخر: الدقة والوضوح، فمِثل هذه الأعمال تحتاج- بعد فهم المقاصد- إلى جملة عربية سليمة، بقدر ما تحتاج إلى دقة المصطلح واطراده. فقد حرص على ضبط المصطلحات من مصادرها الأصلية إما في المقدمة أو الحواشي، حيث يحتاج القارئ إلى معرفة الأصل لكي يفهم الترجمة، كما حرص على تقديم النصوص بمَدخل يبين فيه الخطة العامة للنص مساعدة للقارئ عل اقتحام النص والدخول معه في حوار.

ومن مظاهر التحليل البنيوي عند **العمري** استخدامه للمخططات والخرائط المفاهيمية للشرح والتفسير والاختزال مما يجعل عمله هذا " خريطة واضحة المسالك موصولة المواقع، وبهذا تتحول كتابة البلاغة العربية من الإنشائية الموضوعاتية والتاريخية إلى النسقي البنائية والتأويلية " [2]. فإذا ما نظرنا إلى ترجمته لكتاب هنريش بريت " البلاغة والأسلوبية- نحو نموذج سيميائي لتحليل النص" ،مع حرصه المُنصَّب في الرؤية والنسق، نجده لجأ إلى«مجموعة من الإجراءات المساعدة على الفهم، ومنها:

أ- تنظيم المتن:

- إعادة تنظيم النص بوضع عناوين دالة على المحتوى غير موجودة في الأصل أو منضوية في سياق الحديث.
- تنظيم الفقرات والرجوع إلى السطر عند التفصيل والترقيم.
- إبراز بعض المصطلحات والأفكار غير المبرزة في الأصل.
- تخفيف النص من بعض المقابلات اللاتينيةوغيرها مما لا يضيف جديدا بالنسبة للقارئ العادي.

ب-شروح وتعليقات: رجع أحيانا إلى أصول النظريات والآراء المعروضة والى مصادر ومراجع أخرى تَعرضها أو تنتقدها محاولا قدر الإمكان شرح الغامض وبيان اختلاف الرأي، كما عرض جميع المصطلحات البلاغية على المعاجم المختصة للتأكد من دلالتها.

ج- تعريب المصطلحات والشواهد: حاول وضع مقابلات عربية للمصطلحات البلاغية مع التنبيه لوجود اختلافات في تقطيع الواقعة الواحدة في التراثين، وأضاف أمثلة عربية تيسيراً للفهم.

---

[1]– ابتسام بن خراف: تلقي النص البلاغي عند محمد العمري– مقاربة وصفية تحليلية، ص: 47..

[2]– محمد اليملاحي: أسئلة الفكر البلاغي في المغرب– ضمن البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص:255.

د- **إبداء الرأي:** أبدى الرأي في بعض الأفكار أو التقسيمات التي اختلف بصددها مع المؤلف »[1].

وفي رصده لتفاعل الساحة الثقافية المغربية على الخصوص والعربية على العموم مع حركية البحث العالمي في نظرية الأدب من خلال ترجمته لكتاب " نظرية الأدب في القرن العشرين" نجده اضطلع « بمهمة تقديم خطاطة عامة ذات جذور في البلاغة الغربية والعربية على السواء، وهي خطاطة جديرة بالتعمق والتوسيع »[2] . كما تعامل مع النص في أبعاده المختلفة الأدبية وغير الأدبية (الصوتية والدلالية والتركيبية والبلاغية و الأسلوبية والتداولية ...) من خلال تقديم نصاً واسعا موسعا « ينظر شموليا فيما هو شمولي ويلتفت أحيانا الخصوصيات (خصوصيات السرد أو خصوصيات الشعر الغنائي مثلا) »[3].

كما يظهر التحليل البنيوي عند محمد العمري ظاهرا في كتابه"البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" من خلال تحليل بنياتِ المؤلفات البلاغية، وكشف أنساقها الداخلية، والابتعاد عن مكرور الكلام من الأخبار والتراجم والأحكام الجاهزة.

☜ **الـتداولـــية**

التداولية " هي منهج حديث دخل الدراسات اللسانية (اللغوية) المعاصرة، بعد أن دخل مجالات الدراسات الإنسانية، يقوم على الاهتمام بكشف الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المتلقين، ويبين الطابع الاجتماعي للكلام، أي أن التداولية لا تدرس الكلام، من حيث هو رسالة بين المتكلم والمتلقي فقط، بل تدرسه بوصفه نتاج ثقافة عصر معين، ويشتمل على سمات مميزة للشخص المرسل، وسمات مميزة للشخص المتلقي، وهو يخضع لزمن إنتاجه وزمن تلقيه، كما يخضع لمكان إنتاجه وتلقيه أيضا " [4] .

فمفهوم التداوليات التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين " عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز " [5].

وإذا كانت التداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية فإنها " أقرب ما تكون إلى حاجتنا من البلاغة بمفهومها الجديد" [6] .

---

[1]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية– نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، ص: 10 وما يليها.

[2]– محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص: 6.

[3]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد– المصطلح والنشأة والتجديد، ص: 279.

[5]– جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 94.

[6]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد– المصطلح والنشأة والتجديد، ص: 280.

لقد ربط الاتجاه التداولي البلاغة الجديدة بأفعال الكلام تقريرا وانجازا، فالنص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية : افعل ولا تفعل [1] . فمفهوم التداولية هذا يغطي بطريقة منهجية منظمة، المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية بعبارة (مقتضى الحال)، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة : لكل مقام مقال [2] .

وقد استعرض " جورج يول George Yule" في كتابه " pragmatics" [3] المجالات الأربعة التي تهتم التداولية بدراستها والمتمثلة في:

- التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم.
- التداولية هي دراسة المعنى السياقي.
- التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال.
- التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي.

وعلى هذا النحو راح البلاغيون الجدد يشتغلون بالبحث عن طبيعة التواصل في الخطاب البلاغي ، من خلال تحديد عناصره و وظائفه، وكشف مقاصده الظاهرة و المضمرة، مستلهمين في ذلك إلى المبادئ الأساسية التي قامت عليها النظرية التداولية، والتي كانت ثورة حقيقة في مسار الدراسات اللغوية المعاصرة.

"وأول مظاهر المنحنى التداولي للبلاغة العربية نزوعها إلى الوضوح ونفرتها من التعقيد والغموض، واجتناب كل ما يعوق اتصال المخاطب بالنص، أو يحجبه عن فهمه، أو يؤخر هذه المهمة"[4] .

إن البعد التداولي كان أكثر حضورا في أعمال البلاغيين وتحليلاتهم، لابسا لبوس الوضوح تارة، وثياب **الحجاج** والإقناع تارة أخرى .

وفي العصر الحديث تميز الفكر العربي بآراء مختلفة بين العلماء والباحثين حول مفهوم **الحجاج**، وهذا الاختلاف راجع لتوجهات ومنطلقات كل باحث في هذا الشأن [5] .

---

[1]– جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 93.

[2]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد– المصطلح والنشأة والتجديد، ص: 280.

[3]–كتاب ترجمه " قصي العتابي" من الأصل الانكليزي إلى العربية، الذي فضَّلَ ترجمة مصطلح "pragmatics" إلى "التداولية"، صدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة عن الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت سنة 2010.

[4]– مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ص: 14.

[5]– حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018، ص 84.

ولعل من بين الدراسات الأولى التي تطرقت للحجاج بشكل فني دقيق كتاب " فن الإقناع " 1985 لمحمد العمري، حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلا حجاجيا.

ويرى محمد العمري أن الحجاج يمثل رؤية بلاغية خطابية، فقد كانت منطلقاته مستمدة من الفكر الأرسطي لبلاغة الخطاب، وقد ركز فيه على مفهوم الإقناع في البلاغة العربية القديمة، ممثلا في دور المقام وصور الحجاج لتحديد ملامح الخطاب الإقناعي الحجاجي [1] . أما صور الحجاج عنده تتوزع بين القياس و المثل والشاهد : [2]

- فأما **القياس**: فهو قائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، ومنها التعارض والتّضاد والمستقصي .

- وأما **المثل** : فهو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتيهما، ويُقصد استنباط نتيجة الحالة الأولى على منوال نتيجة الحالة الثانية.

- وأما **الشاهد**: فيمثل مجموع الأمثال والأبيات الشعرية والشواهد القرآنية وكل الحجج الجاهزة.

إن مفهوم الحجاج عند محمد العمري مرتبط بمفهوم الإقناع وهو غاية الخطاب البلاغي – عنده- للتأثير في المتلقي واستمالته لفعل معين ، وهذا الخطاب البلاغي يعتمد أساسا على البيان، لقدرته على إحداث الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب،فالفهم يأتي من زاوية معرفية ، أما الإفهام فإنه يأتي من آلية إقناعية وفق المخطط الأتي : [3]

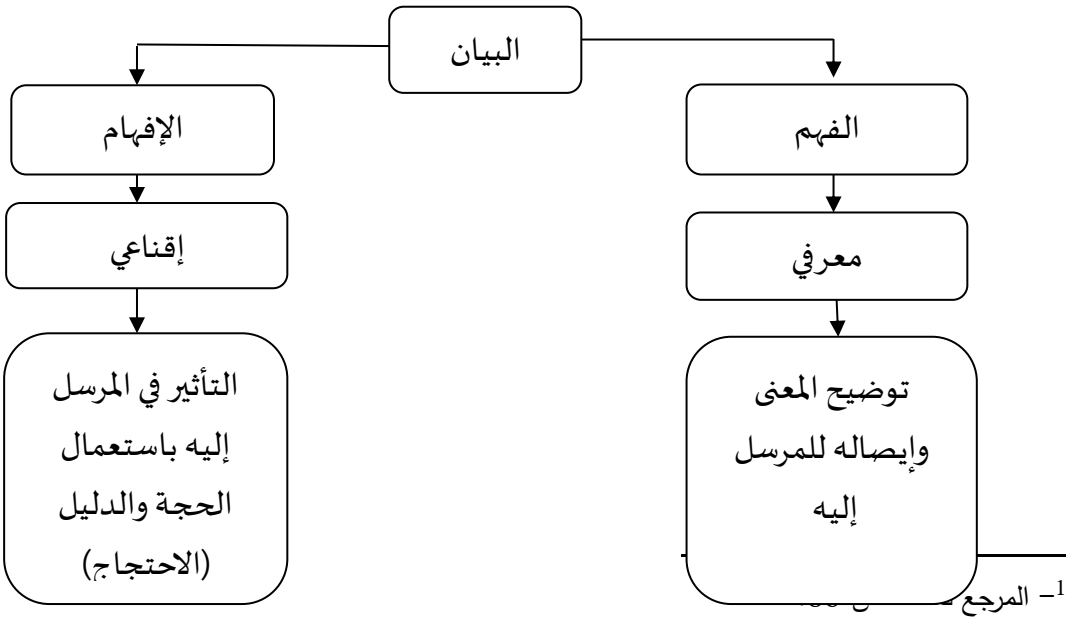

[1]– المرجع [illegible]

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]– المرجع نفسه، ص 87.

فالجاحظ كان يستعمل المصطلح – الحجاج- بمعان شتى ربطها محمد العمري بثلاث وظائف أساسية: [1]

- **الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية:** أي إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.
- **الوظيفة التأثيرية:** بتقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.
- **الوظيفة الحجاجية** :وهي إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

وإذا سلمنا بتعدد دلالات مصطلح البلاغة عند الجاحظ فإن الجانب الحجاجي أحد هذه الدلالات، وهو الاستعمال المنطقي اللساني الهادف إلى الإقناع، وفي هذا يرى محمد العمري أن الخطاب التداولي الإقناعي أحد وجهي البلاغة، ووجهها الثاني التخييل، فالبلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخييلية من شعر وسرد وغيرهما، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي...فبلاغة الخطاب الإقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخييلي وتتداخل معها [2] .

لقد أثبتت البحوث أن المنظرين العرب قد ركزوا في دراساتهم وأبحاثهم على المرسل والمتلقي والرسالة وعملية التأثير والتأثر، والقصد ونوايا المتكلم والفائدة من الكلام والإفهام، وهذه هي جوهر النظرية التداولية، حتى أن أحد المحدثين العرب وهو محمد العمري ذهب في كتابه "البلاغة العربية" إلى أن التداولية الحديثة هي بعد جاحظي في أصولها، وإذا كان المنظرون العرب قد جردوا ثلاث وظائف للعملية التواصلية وهي الوظيفة الإخبارية- الوظيفة التأثيرية –الوظيفة الحجاجية ، فإن الملاحظ هو أن كل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل والإقناع و التأثير و المعنى، ومن ثم حق لنا تأكيد المجاهرة بالقول أن التداولية لها حضور قوي وقديم جدا في التراث العربي لا يقل عنه في التراث الغربي [3] .

☜ **نظرية التلقي**

---

[1]– مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ص: 127.

[2]– المرجع نفسه، ص: 128.

[3]– مبارك تريكي: بحوث لسانية محكمة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2020، ص: 206.

منذ بداية السبعينات بدأت عملية التسرب من المنهج الجدلي التاريخي ، عبر البنيوية التكوينية، نحو البنيوية اللسانية والسميائيات. وكان ذلك تحت شعار إعادة الاعتبار للنص في وجه الدراسات التاريخية وخارج النصية التي تحابي المؤلف. ومنذ بضع سنوات بدا الاهتمام يتجه نحو المتلقي باعتباره الطرف الذي ما يزال غائبا لاستكمال أطراف المقام التواصلي(أو أفراد المسرحية حسب تعبير ستاروبنسكي) وهي: المؤَلِّف، والمؤَلَّف، والمتلقي (أو القارئ) . " ويلح **ياوس** على أن تاريخ الأدب والفن بصفة عامة كان لزمن طويل جدا تاريخا للمؤلفين والمؤَلفات، ولقد اضطهد أو تناسى من اعتبرو مجرد سوقة (غير نبلاء) وهم القارئ أو المستمع أو المشاهد المتأمل.....ذلك أن الأدب والفن لا يصير صيرورة تاريخية ملموسة إلا بواسطة تجربة أولئك الذين يتلقون المؤلفات ويتمتعون بها، ويقومُونها ، ومن ثم يعترفون بها أو يرفضونها ، يختارونها أو يهملونها، فيبنون لذلك تقاليد بل إنهم يستطيعون بصفة خاصة أن ينهضوا من جهتهم بالدور النشيط المتمثل في الاستجابة لتقليد ما، وذلك بإنتاج مؤلفات جديدة " [1]. فالأدب والفن لا يصبح لهما تاريخ له خاصية السياق إلا عندما يتحقق تعاقب الأعمال، لا من خلال الذات المنتجة، ل من خلال الذات المستهلكة كذلك، أي من خلال التفاعل بين المؤلف والجمهور[2].

"إن نظرية التلقي بالمعنى الدقيق ، ترفض الموضوعية التي تستند إليها نظرية النصوص وتحليلها. وهذه المسلمة تشمل:

1- المشروع الفينومينولوجي الذي يدحض، هيسيرل، الموضوعية.

2- المشروع الهيرمينوطيقي الذي يفترض الوحدة بين سيرورة الفهم وذات المنتج وذات مؤول المعنى.

3- نقطة انطلاق أبحاث ميكاروفسكي القائمة على التكوين الاجتماعي للمواضعات.

4- وأخيرا، مشروع التجريبيين المُنبنى على نظرية العمل وعلى علم النفس وعلم الاجتماع" [3].

يعرف اولريش كلاين ULRICH KLEIN كلمة "**تلقي**" في معجم علم الآداب كما يلي: يفهم من التلقي الأدبي، بمعناه الضيق، الاستقبال (إعادة الإنتاج، التكييف Adaptation، الاستيعاب، التقييم النقدي) لمنتوج أدبي أو لعناصره بإدماجه في علاقات أوسع أو بغير ذلك.... ويصنف التلقي في تلق أولي وآخر ثانوي: الأولي يعني تلقي قارئ أول، والثانوي يعني التلقي الذي خضع لتأويل سابق [4].

---

[1]– محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص: 148.

[2]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 151.

[3]– الرود إبش: التلقي الأدبي، ترجمة محمد برادة، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، العدد 6،1992، ص: 13.

[4]– كونتر جريم: التأثير والمتلقي– المصطلح والموضوع، ترجمة وتقديم أحمد المأمون، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، العدد السابع، 1992، ص: 20.

ويميز كلاين KLEIN في إطار البحث المعاصر في التلقي بين ستة اتجاهات رئيسية:[1]

1- محاولة النظرية المعرفية (فينومينولوجيا، التأويل HERMENEUTIK).

2- محاولة الاستدلال أو محاولة الوصف (البنيوية، الشكلانية الروسية، الإجراء المادي التاريخي، الإجراء الديالكتيكي).

3- المحاولة النظرية التجريبية السوسيوأدبية (سوسيولوجيا الجمهور، وسوسيولوجيا المتذوقين).

4- المحاولة السيكولوجية (البحث في اجيال القراءة والقراء)

5- محاولة نظرية التواصل (أو السميوطيقا)

6- المحاولة السوسيولوجية للتواصل الجمهوري.

فنظرية التلقي تقوم على تفعيل دور المتلقي الذي كان غائبا، حيث كان قبل هذا الاهتمام بالمؤلف والمؤلفات وإهمال القارئ أو المتلقي. "وقد أدرك ياوس أن تطور دراسات التلقي تمثل اسهاما في نظرية الاتصال، وتقصد في الدرجة الأولى إلى تقدير وظائف الإنتاج والتلقي والتفاعل برد الاعتبار إلى القارئ والسامع والمشاهد وهم المتلقون في الدراسات الأدبية "[2] .

لقد كانت نظرية التلقي حاضرة في أعمال محمد العمري. وقد ترجم الاهتمام بهذه النظرية أن خصص العدد السادس، وجزء من العدد السابع، من مجلة دراسات سميائية أدبية ولسانية التي يعتبر المدير المسؤول عنها، لهذه النظرية. كما ساهم رفقة محمد مفتاح في أعمال "ندوة التلقي" التي تنظمها كلية الآداب بالرباط بتعاون مع منظمة كونراد الألمانية، وكانت تجري بمدينة مراكش. وقد وجه اهتمامه في هذه المرحلة إلى أعمال هانس روبيرت ياوس، باعتباره رائداً للاتجاه التاريخي في جمالية التلقي. ومن الأكيد أن هذه النظرية تسمح بإعادة النظر في الأحكام الصادرة في حق البلاغة العربية من زوايا نظر مختلفة.

كان يأمل بعد الانتهاء مباشرة من المستوى الصوتي الشروع في قراءة نسقية للمستوى الدلالي، لكن اهتمامه الواسع بنظرية التلقي جعله يعطي الأسبقية إلى إعادة النظر في تاريخ البلاغة العربية، آملا التوفيق في كشف أصولها وامتداداتها. وقد كانت هذه بدايةَ رحلة طويلة، فيها من المتعة بقدر ما فيها من المعاناة والإرهاق؛ دامت أكثر من عشر سنوات، وكان من ثمرتها كتاب: البلاغة العربية، أصولها وامتداداته.

إن الإستفادة من نظرية التلقي بارزة في هذا الكتاب. من خلال الانطلاق من "الأسئلة التاريخية" و"التوقعات" و"المشاريع والمنجزات" و"قراءة اللاحق للسابق"، وغير ذلك من قضايا التلقي

---

[1]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[2]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 157.

والقراءة. فالكتاب، كما لاحظ ذلك الكثير من قرائه، كتاب نسقي؛ يرصد خطوط الطول والعرض في خريطة زمنية تمتد عبر قرون. فالحاجة كانت ماسة لهذه الخريطة التي يمكن ملؤها بيسر من خلال أعمال أخرى ينجزها باحثون آخرون، شباب في الغالب.

وقد تحولت فصول الكتاب ومباحثه بسرعة فائقة إلى منطلقات جديدة لأطروحات جامعية نالت الإعجاب. وكان الكثير من هؤلاء الباحثين قد تابع عرضَ مباحثه في الدراسات العليا، أو اطلع عليه قبل طبعه بسنوات، خاصة طلبة "وحدة النقد القديم" التي كان يشرف عليها العمري بكلية الآداب بفاس. واغلب هذه الأطروحات نالت إعجاب اللجنة المناقشة، وتحصلت على أعلى درجات التنويه والتقدير.

وفي الأخير يمكننا أن نشير بالقول الوجيز أن النظريات والمناهج النقدية الحديثة بعد تفعيلها لوسائل قراءة النص وتحليل عناصره وبيان وسائل تماسكه وروابطه فضلا عن تمثيله لمضامين مركزية ودلالات فرعية،قد بينَتأن النصوص التراثية بوصفها نصوصا كاملة لسمات النص المؤثر قابلة للحضور في مجال المعرفة وفق تصور حديث يختلف عن تصور منتجها منهجيا، كما اتضح مدى عمق هذه النظريات والأسس التي أرساها بلاغيون العرب التي كانت ولا تزال محط أنظار كبار النقاد وباحثي البلاغة.

العدة المصطلحية

إن تاريخ البلاغة العربية هو تاريخ تفريغ وتشجير أثقل كاهلها بالعديد من الفنون والظواهر التي ترتد إلى أصول بلاغية كبرى يمكن الاكتفاء بها، وذلك بإلحاق الفروع بأصولها، واعتماد منهجية المحاور، حيث تكون هناك كليات يجمعها ضابط واحد أو أكثر، وذلك من أجل الاستغناء عن منهج التجزيء والتكثير والتفريع..... لأنه منهج ثبت ضعفه، ودل واقع الإشتغال والتدريس على إرهاقه للبحث البلاغي وللطلبة والدارسين على حد سواء....إضافة إلى أن فكرة المحاور تُعد أمراً تربويا تعليميا، لأنها ستعطي للدرس البلاغي دفعة جديدة نحو تجديد شأنه، بوصل الطلبة والباحثين بالقواعد الكلية [1] .

ومحاولة لإستخراج المحاور الكبرى التي تندرج ضمنها المفاهيم والمصطلحات البلاغية من خلال الدراسات الأسلوبية والتداولية الحديثة، توصل أحد الباحثين إلى هذه المصطلحات يمكن ردها إلى ثلاثة محاور كبرى : العدول والانزياح، التناسب والتشاكل، التكثيف والإيحاء.

[1]– مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ص: 170.

فمن المصطلحات ذات الصلة بظاهرة **العدول والانزياح**: العدول، والتحويل، والمجاز، والتغيير، والانحراف، والتحريف، والخروج، واللحن، والنقل، والانتقال، والرجوع، والالتفات، والصرف، والانصراف، والتلوين، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، فهذه المصطلحات كلها تلتقي حول مفهوم واحد هو العدول عن أصل مفترض إلى استعمال خاص. ومن المصطلحات البلاغية الدالة على **التناسب والتشاكل**: الائتلاف والاتساق، والالتئام، والتجانس، والتشابه، والتعادل، والتنسيق، والتوافق، وصحة المقابلة، والمؤاخاة، والتوازن، والمساواة، والمشاكلة، والمطابقة، والمماثلة، والتناسب..... ومن المصطلحات الدائرة في فلك **التكثيف والإيحاء**: التلميح، والتورية، والكناية، والتخييل، والإيماء، والتضمين، والتعريض، والإشارة، والإيهام، والإضمار، فهي مصطلحات تندرج ضمن المفهوم العام للإيحاء، وتدل على طريقة من طرائقه، أو آلية من آلياته أو نوع من أنواعه [1].

و لا يبرأ الجهاز الاصطلاحي المعتمد في الدراسات العربية من داء الخلط وعدم الدقة والاشتراك، فالمصطلحات المعتمدة في هذا السياق تخضع لاجتهادات الباحثين وحدود اطلاعهم ومحاولات ترجمة ما اطلعوا عليه في اللغة أو اللغات الأجنبية التي تيسَّر لبعضهم الإلمام بها، وهنا نجد البرهان والاستدلال والحجاج والجدال والاستقراء و القياس، وغيرها من المصطلحات الأساسية في النظريات الحجاجية غير المستقرة، ولم يغلب عليها في السياق العربي العام توجُّه واضح يُعفي الباحث الجديد من تلمُّس الطريق الشائكة نحو مزيد التدقيق الجهاز الاصطلاحي[2].

ولعلَ من الأسباب التي جعلت البون شاسعا بين الاختيارات الاصطلاحية التي يعمد إليها الباحثون العرب، هو التفاوت في نقل هذه المعرفة النظرية من اللغات الأجنبية، فمنهم من يترجم مباشرة عن الأصل الأجنبي، ومنهم من يأخذ عن التراجمة دون أن يتمكن من الاطلاع على الأصل [3].

وهذا ينجَّرُ عنه سوء التطبيق على السياق العربي المستهدف عبر عملية التثاقف والانفتاح على النظريات الغربية، " فالعائق الأول للتفاهم في المجال العلمي، بل في كل المجالات، هو عدم ضبط المفاهيم"

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 171.

[2]– صابر الحباشة: التداولية والحجاج– مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1 ، 2008، ص: 46

[3]– صابر الحباشة: التداولية والحجاج– مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1 ، 2008،ص:46.

[1] . وفي هذا الشأن يذهب **محمد العمري** إلى الحاجة الماسة والملحة إلى نظام مصطلحي، والتأكيد على ضرورة إنتاج المصطلح، وسحب حاجياتنا الحالية من الرصيد القديم وإضافة مكتسباتنا الجديدة. " فبلاغة الحجاج والإقناع تتطلب فعلا وضع مصطلحات جديدة تستجيب للنسق الهرمي العام لبناء هذه النظرية في البلاغة الحديثة" [2]. كما أن " قيام بلاغة عامة يتطلب منظومة مصطلحية تعبر عن المشترك بين التخييل والتداول، من جهة، وتميز بعض الخصوصيات التي لم تأخذ ما تستحقه من اهتمام في الدرس العربي، من جهة ثانية " [3].

وفي حوار بين التراث البلاغي العربي وبين المقترحات النظرية الحديثة رغبة في الوصول إلى نموذج حديث حقا لا يلغي مرجعيتنا، اقترح محمد العمري عدد من المصطلحات الأساسية وجد حاجة لوضعها، وقد لقيت القبول وأخذت طريقها إلى الرواج، ومن نماذج ذلك :

- استعمل مصطلح **الانزياح** ترجمة لمصطلح **écart** وتغليبه على مصطلحات أخرى كانت تنافسه، مثل: "فجوة" و "عدول" "وانحراف" و "بُعد".
- ولتغطية جانب مهم من بنية التداول الحجاجي اقترح: **الاستهواء و الخطابية**.
- و للدلالة على الخصوصية النوعية لكل من المجالين التداولي والتخييلي ومدى التداخل والتخارج بينهما احتاج إلى لفظين: **الصورة والحجة**.
- ومن المصطلحات التي نفض الغبار عنها مصطلحا : **المُستَمع والإنشاء**.

☜ **مصطلح "الانزياح"**

لقد كان استعمال العمري لمصطلح **"انزياح"** في ترجمة مصطلح **écart** في كتاب: بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، حاسما في تثبيت هذا المصطلح المركزي.

ينطلق مفهوم كوهن للغة الشعرية من منظور لساني محض، فالشعرية في تصوره هي علم موضوعه الشعر، وانطلاقا من هذا المفهوم يكون كوهن قد اتفق مع ما ذهب إليه جاكبسون بأن الشعرية علم مستقل بذاته. والمتأمل لمشروع كوهن اللغوي يجده متأثرا إلى حد بعيد بمبدأ المحايثة في صورته اللسانية، فهو أراد لشعريته أن تصطبغ بصبغة علمية، يُقرأ من خلالها المنتوج الشعري وما يكتنزه هذا المنتوج من جماليات

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2017، ص: 41.

[2]– المشروع العلمي بين المأمول والمتاح، موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm. أطلع عليه يوم 11أوت 2021.

[3]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 22.

أسلوبية، ومن هذا المنطلق نجد كوهن يولي اهتمامه الكبير بظاهرة **الانزياح** اللغوي في الشعر، وهذا ما يتجلى واضحا من خلال تعريفه للشعر الذي يرى انه علم الانزياحات اللغوية، بعدما حدد موضع الشعرية التي يراها صفة ضاربة في مستوى النظمي للشعر المنطوي بدوره على مستويين: المستوى الصوتي والمستوى الدلالي وما يحملانه من خصائص [1].

ومن المستوى الدلالي استطاع جان كوهن أن يتنبه إلى قضية **الانزياح** في الشعر الذي عرفه بالخطأ المتعمد يُستهدف من ورائه على تصحيحه خاص . ومنه يكون الشعر عند جان كوهن هو خروج عن قانون اللغة، وهو لا يعني المقابل المفهومي للحن أو الخطأ في النحو العربي، وإنما خرق القاعدة العربية عند كوهن هو ما يستخدمه الشعر من آليات تخرج باللغة عن الخطاب العلمي، والخطاب النثري، إذ تعمل اللغة على تقوية الجملة بالترابط الدلالي والنحوي، وتدعم هذا الترابط بعنصر صوتي هو الوقفة (النقطة والفاصلة)، فإن الشعر يعمل على خرق هذا الترابط عن طريق التضمين بمعناه الواسع اختلاف الوقفة الدلالية والتضمينية، وإذا كانت اللغة النثرية تعمل على ضمان سلامة الرسالة بترتيب ما، فإن الشعر يعمل على تشويشها بالتقديم والتأخير [2].

يخرق **الانزياح** إذن قانون اللغة في اللحظة الأولى، وما كان لهذا الانزياح ليكون شعريا لو أنه وقف عند هذا الحد، إنه لا يُعَد شعريا إلا لأنه يعود في لحظة ثانية لكي يخضع لعملية تصحيح وليعيد للكلام انسجامه ووظيفته التواصلية [3].

ومما سبق نستنتج أن شعرية جان كوهن كانت شعرية أسلوبية قائمة على **مبدأ الانزياح** في الجنس الشعري فقط على مستواه التركيبي من خلال خلخلة المواقع الترتيبية للألفاظ عبر إستراتيجية التقديم والتأخير [4].

ويمكن أن نقول بإيجاز أن **الانزياح** يمثل في أبسط تجلياته المفهومية، بؤرة التَّشكِيل اللغوي الذي يمدُّ النصوص صفتها الأدبية أو الشعرية/الجمالية. ومن هنا يكون الانزياح عن المألوف الخصيصة الجوهرية التي تمكِّنُ اللغة من الخروج عن طابعها التواصلي الاعتيادي إلى لغةٍ أدبيةٍ شعريةٍ، بحيث تنفتح اللغة- في هذه الحالة- عبر ظاهرة الانزياح على عدة خصائص أسلوبية تعدُّ الملاذ التفردي عند الأداء المميز للغة، حين

---

[1]– توتاي سيف الله هشام: شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017، ص: 54.

[2]– المرجع نفسه، ص: 55.

[3]– جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1986، ص: 6.

[4]– توتاي سيف الله هشام: شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، ص: 56.

يخرج المبدع بمختلف ممارساته اللغوية غير المباشرة عن النسق اللُّغوي المألوف ، وأعرَافه الوفية للمدونات النقدية التي تسعى إلى توجيه الخطوط الإبداعية نحو قوانين ومفاهيم منمطة في قوالبَ نقدية معينة. فيصبح مصطلح **الانزياح**- من هذه الزاوية- هو السمة الأساسية أو الخلطة السرية المساهمة في تكوين الظاهرة الشعرية التي ظلت ومازالت تأرق الخطابات النقدية على مرِّ العصور، لأنها تمثل هوية كلَّ نصٍّ أدبي، بل لا يمكن أن يكون أدبيًا إلاَّ إذا ارتدي عباءة الاختلاف بكسره التصورات المنطقية الجاهزة في قوالبَ موروثة دون أن يدخل في خانة اللحن والخطأ.

☜ **مصطلح "الخطابية"**

لتجاوز الخلط بين مفهوم أرسطو وبيرلمان، لكلمة ريطوريك، والمفهوم الحديث الذي يتسع للخطاب الإقناعي والشعري اقترح **العمري** لريطورية أرسطو وبيرلمان مصطلح "**الخطابية**" قياسا على كلمة شعرية التي ترجمت بها بوتيقا أرسطو.

من الملموس أن القارئ الغربي لا يعاني كثيرا من هذا الاختلاف بين المعنى الأرسطي للريطورية وبين المعنى الحديث، لان السياق يسعفه في التمييز بينهما. أم القارئ العربي ، فإن كلمة بلاغة التي تحُلُّ محل الريطورية قد اتسعت عنده، منذ البداية، لكل أنواع الخطاب الشعري والخطابي، ولذلك سيختلط عليه الأمر لا محالة، حين يجد جانبا من المناطقة (المنطق الطبيعي، والمنطق غير الصوري) يفرقون بين الخطابة والحجاج قاصدين بالبلاغة "فن الخطابة"، أي أن الفن الذي يتكلف الإقناع حسب المقامات مستعينا بالمؤثرات غير النصية المتعلقة بالصورة التي يكونها الخطيب عن نفسه ethos، أو الانفعالات التي يثيرها عند الجمهور pathos ، وكل ما يتعلق بالمستمع auditoire. فالقارئ العربي حين يسمع كلمة بلاغة يستحضر الشعر في المقام الأول، في حين أنه غائب عند الطرف الآخر المنطقي الحديث، أو مجرد تابع وامتداد في أحسن الأحوال [1].

ولقد وقف محمد العمري عند هذا الإشكال أثناء محاضراته في قراءة معطيات البلاغة العربية مستلهما بأرسطو وبيرلمان، وكان ذلك بجامعة فاس تحت عنوان " بلاغة الخطاب الإقناعي" ، وقد جمع محاضراته تلك في كتابه بعنوان " في بلاغة الخطاب الإقناعي - .مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية" سنة 1985.

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 27 وما يليها.

وكان اقتراح "بلاغة الخطاب الإقناعي" مؤقتا، لأنه مجرد وصف لا يستوفي متطلبات الاصطلاح العلمي الإجرائي الذي يسمح بالاشتقاق والتشعيب [1]. وقد بدا له بعد ذلك أن الأجدى اصطلاحا ، والمناسب دلالة ، استعمال كلمة واحدة هي: الخطابية.

واستدراكاً منه لذلك عاد من جديد إلى الموضوع واقترح " كلمة خطابية مقابلا لفن الخطابة، قياسا على الشعرية التي حلت محل فن الشعر دون حرج " [2] . ويظهر ذلك جليا في كتابه " البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" سنة 2005، حيث أعاد صياغة عدة مصطلحات تفاديا للخلط والتشويش على القراء. قائلا : " وقبل أن نخوض في الإشكالات التي يثيرها المفهوم العام النسقي للبلاغة – وهو الذي يهمنا هنا- نشير إلى أن المفاهيم المذكورة لكلمة ريطوريك كثيرا ما خرجت عن سياقها الغربي، أو أُخرجت منه، بفعل الترجمة إلى العربية بكلمة بلاغة دون تقييد، فأدى ذلك إلى الخلط والتشويش على القراء، ويقال نفس الشيء عن ترجمة الريطورية الأرسطية بكلمة خطابة، لذلك نقترح ترجمة **الريطورية** الأرسطية بكلمة **خطابية**، قياسا على كلمة شعرية التي بسطت سلطتها في مجال التخييل، موضوع الأولى الخطابة بمعناها العام، وموضوع الثانية الشعر بمعناه العام " [3].

☜ **مصطلح "الاستهواء"**

في خضم الصراع العملي أفرزت المجتمعات هيئات تحكيمية انبثقت عنها مؤسسات تشريعية.

تمثل هذه الهيئات الصمام الأول بين المطلق والعابر. فالتداول أو الحوار بين المشرعين ليس من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة، بل من أجل ضبط الحوار التطبيقي السياسي.

وفي ظل هذا اهتم محمد العمري بالخطاب السياسي، " أي الخطاب الذي يتناول تدبير الاختلاف في الحياة المدنية" [4] . ويمثل الخطاب السياسي مركز بلاغة الحجاج، وذلك باعتباره الفضاء اللغوي الذي تنشر فيه وتبسط كل قضايا تدبير الحياة المدنية، أي كل ما يتعلق بتنظيم حياة إنسانية جماعية. ولعل هذا ما يؤكده العمري في قوله " بلاغة الخطاب السياسي هي جزء من بلاغة الإقناع، والإقناع قائم على الحجاج" [5] . ومن الطبيعي أن تكون بلاغة الخطاب السياسي هي بلاغة الحوار ، أي " العلم الذي يتناول مكونات الحوار

---

[1]–المرجع نفسه، ص: 28.

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:13.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 59.

[5]– المرجع نفسه، ص: 271.

وأخلاقياته و آليات اشتغاله، وهي تنتمي إلى النظرية العامة للإقناع التي هي فرع من البلاغة العامة، أو البلاغة دون زيادة " [1].

ودائرة الحوار – من وجهة نظر العمري - هي " دائرة الممكن، دائرة ما يتطلب انجازه أخذَ الآخر بعين الاعتبار، متعاونا (مشاورات) أو منازعا (مناظرات)، أو منقادا دون روية (استهواء) " [2].

ويمكن القول أن الحوار هو توجيه الخطاب من أجل الالتقاء في موقع على المسافة الفاصلة بين المتخاطبين. و يمكن أن نميز بين أصناف ثلاثة من الحوار مُتمايزة في طبيعتها وهي: المشاورة، المناظرة، والاستهواء (والمشاحنة). ولعل القارئ – من وجهة نظر العمري – لا يجد صعوبة في فهم المقصود من المشاورة و المناظرة، ولكن الحديث عن الاستهواء قد يؤدي إلى الارتياب، لذلك لزم توضيح المقصود منه ووجه العناية منه.

الاستهواء هو أحد أضلاع مثلث بلاغة الحوار، ففي داخل هذه الدائرة تمارس المشاورة والمناظرة والاستهواء. والاستهواء هو الاستمالة بوسائل موسيقية وتصويرية وتلميحات وغيرها (كما هو الحال في الاشهار) [3].

يقول العمري: " لقد حاولنا بعد عمل تطبيقي موسع على النص الخطابي الحديث 'في كتاب دائرة الحوار) ، أن نجد كلمة نستوعب ما لا يستوعبه الاستعلام والتشاور، من جهة، والمنازعة الحجاجية المحتكمة إلى العقل والمسلمات المشتركة بين الطرفين، من جهة أخرى، فكاد ذلك يتعذر. وترجع هذه الصعوبة إلى أن مكونات المنطقة التي يغطيها التشاور والتناظر مختلفة في طبيعتها، متباينة في في قيمتها الوجدانية والأخلاقية: الاستمالة والمشاحنة والمغالطة (يستقر طرف منها داخل دائرة الحوار، ويمتد طرف اخر خارج الدائرة). وبعد تأمل طويل استقر رأينا على كلمة **استهواء**، من الهوى أي الميل النفسي، خيرا كان أو شرا، دون احتكامٍ إلى العقل والعرف وما هو مشترك، والمجال الأثير للاستهواء هو الإشهار، إشهار البضائع والمواقف والأفكار....الخ" [4] .

في لسان العرب(هوى): الهوى، مقصور: هوى النفس ... والجمع أهواء... قال الله عز وجل: "ونهى النفس عن الهوى"؛ معناها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل."واستهوته الشياطين": ذهبت بهواه

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 60.

[2]– المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

[3]– المرجع نفسه، ص: 23.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 65.

وعقله..وقيل استهوته: استهامته وحيرته، وقيل: زينت الشياطين هواه.ومتى تُكُلِّمَ بالهوى مطلقا لم يتكلم إلا مذموما حتى ينعت بما يُخرِج معناه، كقولهم هوىً حسنٌ، وهوىً موافق للصواب.ونحن نستعمل الاستهواء بالمعنى المطلق أساساً والمقيد استثناء. والاستهواء منطقة ملتبسة بين الإقناعِ الحجاجي بمعناه الدقيق وبين العنف اللغوي التخييلي والمرجعي، وهو إيجابي الدلالة لكونه بديلا حضارياً للعنف في موقع يُشرف على تلك الصفات[1].

إن الحديث عن **الاستهواء** يستعيد بعدا غائبا عن البلاغة الجديدة وعن علم المناظرة الاسلامي على سواء ، وهو البعد التخييلي والشعري [2] .

☜ **الصورة والحجة**

من المصطلحات المستعملة في القراءة العربية لأرسطو: " الشعر كذب يحتمل الصدق، والخطابة صدق يحتمل الكذب" [3] . وكان أرسطو يفرق بين الشعرية والخطابية، " الشعر لا وجود يحتمل الوجود، والخطابة وجود يحتمل اللا وجود" [4] .

وقد توجهت جهود بعض الباحثين إلى المنطقة المشتركة بين الشعرية والخطابية قصد توسيعها، من أجل أن تكون موضوعا للبلاغة العامة، وذلك عن طريق " التقريب بين قطبي الاحتمال (الصدق والكذب) من خلال فحص الآليات الجوهرية الخاصة بكل منهما، أو المعتبرة كذلك و هي: **الصور** figures و **الحجج**arguments " [5]. " فعند قطب التخييل نفترض درجة صفر من التصديق، أي تستقل الصورة figure، أو تكاد، في موقع قد يكون افتراضيا، وعند قطب التصديق تستقل الحجة argument بنفس التقويم والاعتبار " [6].

---

[1]– محمد العمري: الاعناب والمغالطة في مقام الأخذ والعطا، مقال في قسم الكتابة الصحفية والحوارات، من موقع محمد العمري http://www.medelomari.net/entree.htmأطلع عليه يوم 10 أوت 2021.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 68 .

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:21.

[4]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[5]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 22.

[6]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 84.

وتبعا لذلك اقترح العمري " كلمة صورة مقابلا لكلمة figure ، وكلمة حجة مقابلا لكلمة argument باعتبارهما الآليتين الأساسيتين في التخييل (الشعري) من جهة، والحجاج (الخطابي) من جهة ثانية " [1] .

لترجمة مصطلح **figure** اقترح محمد العمري في البداية " الصورة البلاغية" ، كما فعل في ترجمة كتاب جان كوهن "بنية اللغة الشعرية"رفقة محمد الولي، وتمادى في استعمالها في كتاب " البلاغة الأسلوبية " و "تحليل الخطاب الشعري"، قبل أن يستقر رأيه على كلمة **" صورة "** دون زيادة، في حين يميل بعض الباحثين إلى كلمة " محسن".

الصورة هي على العموم، إجراء أسلوبي، أي طريقة في التعبير حرة ومقننة. والمقصود بكون الصورة حرة لجوء المتحدث إليها بمحض اختياره، بحيث يمكنه تعويضها بغيرها. والمقصود بكونها مقننة انتساب كل صورة إلى نسق أو بنية معروفة يمكن نقلها من محتوى إلى آخر مثل الاستعارة والكناية [2].

ويمكن تقسيم الصور إلى ثلاثة أنواع: صور الكلمات، وصور المعنى، وصور التركيب. وتلعب **الصور** دورين، " داخلي وخارجي، يتمثل دورها الخارجي في تسهيل عملية الحجاج، فهي تشد الانتباه من خلال خرق المعتاد، فتطبع الذكرى في الذهن، كما أنها تلائم بين الأفكار والمستمع، أي تسهل المعاقلة. أما دورها الداخلي فيتجلى في دخولها، هي نفسها، في صلب الحجاج، كما هو حال الجناس، حيث يوهم تجانس الألفاظ تجانس المعاني " [3].

أما **الحجة فهي** "مظهرعقلي، وصورة لفظية لا يخلو منها كلام، وتنصبغ بنوع الموضوع الذي تساق لأجله، وتتناسب مع مستوى المتكلم ومستوى السامع على السواء " [4].

وقد كانت المعاجم العربية لتعطي لمعنى **الحجة** وجهين، الأول من الغلبة والظهور، فنقول حجه إذا علا عليه، وكل كلام يقصد به غلبة الغير فهو حجة، والثاني مأخوذ من حجة الطريق، فكل كلام يعتمده الانسان لنفي رأي أو إثباته فهو حجة [5] .

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 13.

[2]– المرجع نفسه، ص: 23.

[3]–المرجع نفسه، ص 24.

[4]– بلقاسم حمام: البلاغة العربية وآلية الحجة، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، ماي 2005، ص: 239.

[5]– بلقاسم حمام: البلاغة العربية وآلية الحجة، ص: 239.

ومن بين أنواع **الحجج** التي ننقلها عن بعض الدارسين [1] :

- حجّة التبرير: l'argument de gaspillage وأداتها "بما أن".
- حجّة الاتجاه : direction، وغرضها التحذير من شيء ما .
- الحجة التواجدية: تبنى على علاقة الشخص بعمله، ويمكن ان نمثل لها بقوله صلى الله عليه وسلم :" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، إذ يمكن أن نقول أن المتعلم بوصفه شخصا في جوهره ليس فضوليا، وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام.
- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في الذين يقرّون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين، والهلال بالنسبة لحضارة الإسلام، والصليب بالنسبة للمسيحية، والميزان إلى العدالة.

ويميز أرسطو بين نوعين من الحجج، أحدهما الحجج غير الصناعية، والثاني الحجج الصناعية:

- **الحجج غير الصناعية (الجاهزة):** يقصد بالحجج غير الصناعية عند أرسطو ، تلك التي لا يكون للخطيب دخل فيها، إذ هي خارجة عن نطاق تصرفه واجتهاده، مثل الشهود، والاعترافات، والوثائق والاثباتات، والاقوال المنتزعة عن طريق التعذيب...[2].
- **الحجج الصناعية (غير الجاهزة):** يقصد بالحجج الصناعية، الحجج التي تكون من اختصاص الخطيب، وتتوقف على مدى فطنته في نسجها والادلاء بها في وقتها المناسب [3] .

ولبيان أنواع البراهين والحجج الخطابية استعان **محمد العمري**، بالخطاطة التالية: [4]

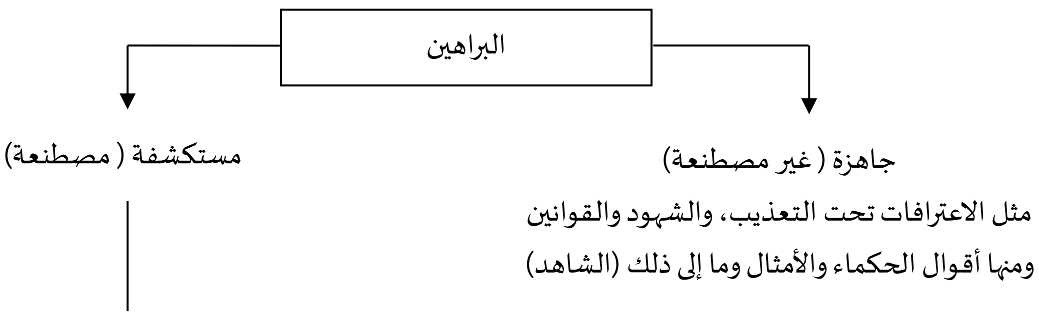

[1]– صابر الحباشة: التداولية والحجاج– مداخل ونصوص، ص: 48.

[2]– عبد الله علمي: في الحجاج– دراسات لأنواع الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، 2019، ص: 12.

[3]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]– محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 27.

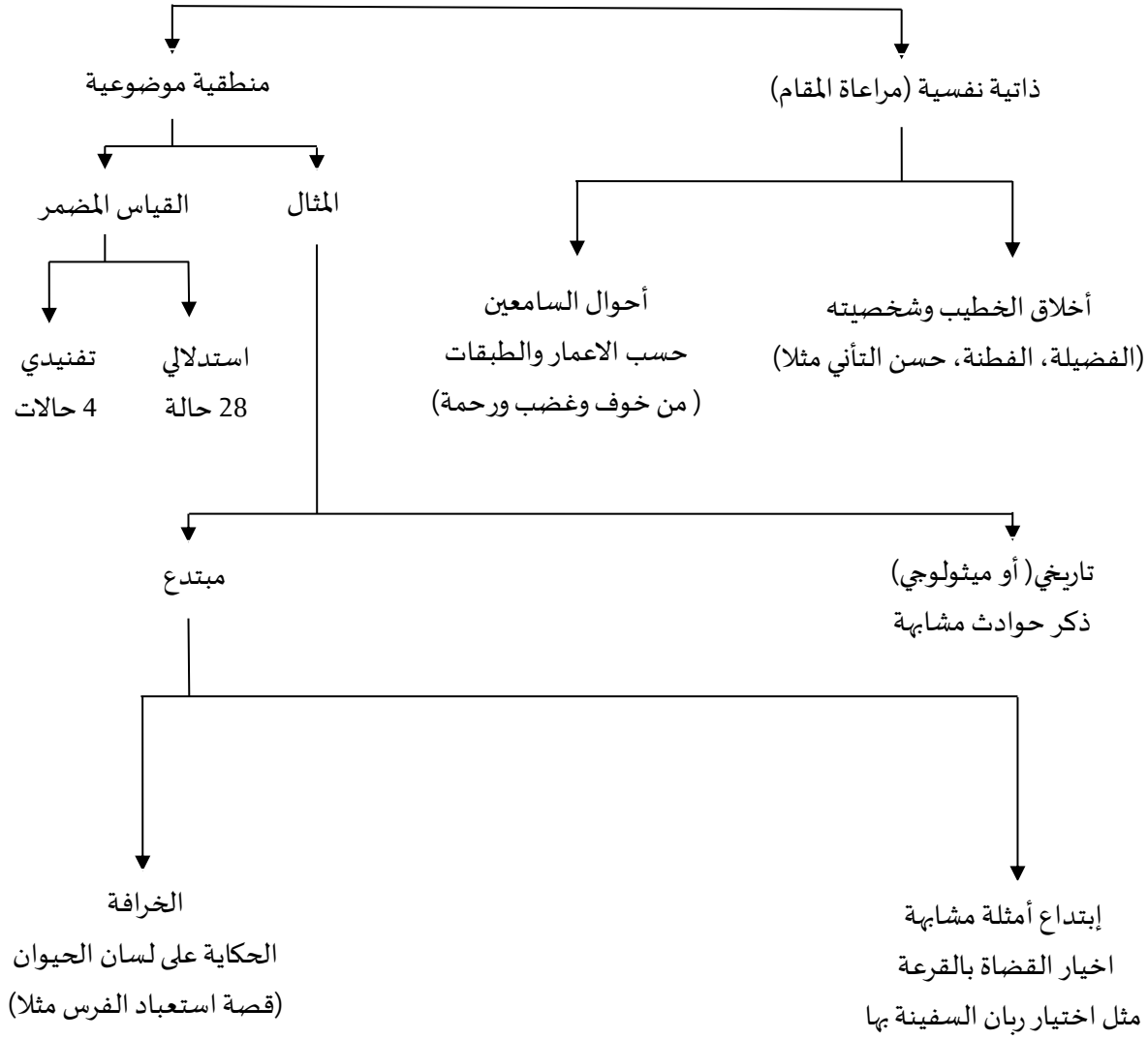

ومن صور **الحجة** في البلاغة العربية : القياس، التمثيل، جمال الأسلوب، و الاستشهاد [1] .

وقد جعلها **محمد العمري** في الخطاب البلاغي ثلاثة أقسام وهي: القياس والمثال، والشاهد.

تشترك هذه الوسائل (القياس والمثال والشاهد) في دعوتها العقل إلى الانسجام مع مبادئه (السببية وعدم التناقض...)، أو مع العالم الخارجي المحيط به بما فيه من قيم و مواضعات اجتماعية ورصيد ثقافي ونصوص مقدسة وتشريعات وقوانين ومصلحة عامة [2].

[1]– بلقاسم حمام: البلاغة العربية وآلية الحجة، ص: 244.

[2]– محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 71.

أما الانسجام مع مبادئه هو ما سماه العمري الانسجام الداخلي وجعل فيه القياس الخطابي والتمثيل. وأما الانسجام مع الخارج ويدخل في نطاقها القوانيين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء ، وتختص بالخطابة القضائية ، وقد سماها أرسطو الحجج الجاهزة أو غير الصناعية.

وقد عرض التفاصيل في كتابه " في بلاغة الخطاب الاقناعي" ضمن الفصل الثالث: صور الحجاج.

إذن حسب **العمري** فإن **الصورة والحجة** مصطلحان أساسيان في بناء البلاغة العامة. وتبريرا لذلك يقول: " **الصورة** تستمد رجحانها لاعتبار الشعر جنسا من التصوير عند مؤسسي البلاغة العربية: الجاحظ والجرجاني. وقد حشد الجرجاني النعوت الكثيرة التي استعملت في بيئة تلقي الشعر، وكلها تنظر الى الصنائع التي تظهر مهارتها في التصوير والتطريز والسبك والنسج..الخ. ولذلك لا يمكن منافستها بصطلحات اخرى، من قبيل المحسن والوجه، والنكتة ...الخ. أما **الحجة** فلسنا في حاجة لتبرير استعمالها، فهي بدون منافس " [1].

☜ **مصطلح "المستمع"**

دأب محمد العمري على استعمال كلمة "**مستمع**" ترجمة للكلمة الجوهرية في التداول الحجاجي **auditoire**بدل المقام، "وهيتعني المقام الخطابي بمكوناته الثقافية والمكانية والزمانية " [2] . " والمستمع هو المتلقي /المتلقون في زمن ومكان محددين واقعا أو افتراضا" [3]

المستمع ، على وزن مجتمع تدل على ما اشتقت منه صيغةً وأصواتاً : أي مستمعون في سياق مكاني محدد، وهي كلمة دقيقة لا تغني عنها كلمة "مقام" ولا كلمة "سياق" ، ولا كلمة "مستمعين" ولا "جمهور" ، كما في بعض الدراسات [4] .

وقد اختزل أرسطو الخطابة في ثلاثة أجناس: القضائية، والاستشارية، والاحتفالية، وأبرز في كل جنس مقومات **المستمع** كالتالي: في الجنس القضائي المستمع هم القضاة، في الاستشاري هو التجمع الشعبي، في حين يمثل المستمع المتفرج في الجنس الاحتفالي [5].

---

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 84.

[2]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:14.

[3]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 49.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 22.

[5]– عبد الله علمي: في الحجاج– دراسات لأنواع الخطاب، ص: 53، بتصرف....

فمصطلح **مُستَمَع** " يخصصُ العمومَ الذي يطبع مصطلح مقام دون أن يحل محله. المستمَع هو محفل فيه مستمعون معينون ضمن شروط زمنية ومكانية محددة. إذ قلنا بأن القلب النابض للخطاب التداولي هو المقام، فإن قلب هذا القلب هو المستمَع، المقام أوسع" [1].

☜ **مصطلح "الإنشاء"**

يقول محمد العمري: " حين نتحدث عن بلاغة عامة لن يفيدنا استعمال مصطلحات نصية من قبيل: القصيدة، والنثيرة، والأرجوزة، والموشح، والرواية، والقصة، والسيرة الذاتية، والمناظرة، والإشهار، والمقامة، والمسرحية، والخرافية والأحجية.....لأن كل جنس من هذه الأجناس (العليا أو الدنيا) يحتوى على خاصية أو خصائص لا توجد في غيره، أو العكس، ولذلك فاستعمال أي منها سيغفل خصوصية تميز غيره عنه، فتبطل العمومية....من هنا كان لابد أن نعتمد مصطلحا يدل على جميع النصوص مهما اختلفت جناسها، وقد سبق لي أن ترجمت دراسة في غاية الأهمية، منذ أكثر من خمس سنوات لكبدي فاركا بعنوان: البلاغة وإنتاج النص، فلاحظت أن استعمال لفظ الإنتاج يسَّر له الحديث عن جميع النصوص بيسر. ولم أفكر طويلا حتى تذكرت أن في اللغة العربية مصطلحا غير مركَّب ، وهو الإنشاء، فكلمة إنشاء تدل في حد ذاتها، على إنتاج النصوص، كل النصوص برغم استعمالها قديما في الكتابة الديوانية، وقد قوي هذا الاستعمال العام استعمالها في البرامج الدراسية للدلالة على إنتاج النصوص المختلفة " [2].

وقال أيضا: " أول مـا نحتاج إليه في هذا الصدد كلمة تدل دلالة اصطلاحية على منتج الخـطاب بقطع النـظر عـن كونه خطيبا أو شاعرا أو كاتبا، الكلمة التي تقابل لفظ production (أي الإنتاج)، ويشتق منها في الوقت نفسه ما يقابل لفظ auteur (أي المؤلف)، وقد وجدنا أن اللفظ العربي **الإنشاء** ، ومنه المنشئ، يعبر عن هذا المعنى بدقة، فاعتمدناه بعد إعادة تعريفه " [3].

فعند الحديث عن البلاغة العامة نجد هناك **إنشاء**، وهناك **منشئ**. فمصطلح" **الإنشاء** " من المصطلحات التي نفض **محمد العمري** الغبار عنها . حيث يرى أن الذي ينشئ ليس هو الشاعر وحده، ولا الكاتب وحده، ولا الخطيب وحده، ولا المصور ولا المخرج، بل هو المنشئ.

وقد عرفه على انه " كل خطاب يحمل جهدا تخييليا أو حجاجيا، أي الخطاب الذي فيه **صـنـعة** قصدية للتأثير والإقناع، الخطاب الذي يوجد بين البرهنة والاعتباط " [4].

---

[1]- محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 87.

[2]– المرجع نفسه، ص: 83 وما يليها.

[3]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 22.

[4]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:13.

ويبدو أن تعريفه هذا يقترب كثيرا من مفهوم الحجج الصناعية عند أرسطو التي سبق تعريفها. حيث ذكر أرسطو أن " الحجج الصناعية ثلاثة أنواع:

- ما يتعلق بسمت الخطيب وأخلاقه، وهو ما يعرف بـ éthos.
- ما يتعلق بأحوال السامعين ونفسياتهم وهو ما أطلق عليه pathos .
- ما يتعلق بكلام المتكلم ، وما تحمله اللغة داخلها من حجج منطقية logos " [1] .

ويرى الباحث أن هذا خطاب فيه صنعة، ويتلاءم مع ما ذهب إليه العمري في تعريفه **للإنشاء**.

هذه إذن منظومة من العدة المصطلحية التي يقتضيه بناء بلاغة عامة من منظور العمري، "منظومة جديدة ناتجة عن الحوار بين الرصيد البلاغي العربي الغني والمعرفة الحديثة المنظمة المفعَّلة في اتجاه كونية المعرفة " [2] ، تُسهِل التخاطب داخلها دون لبس، وإلا صار الكثير من سوء الفهم بين المتحدثين في الموضوع والمتحاورين فيه، وتجدر بالإشارة أننا نجده في كتاباته قَايَض بعض المصطلحات بأخرى تنتمي لحقل واحد، وذلك لما يقتضيه السياق. ومن أمثلة ذلك مصطلح "التداول"، ففي سياق بلاغة الإقناع الجديدة حلَّ محله "الحجاج"، وفي سياق الحديث مع الجاحظ حلَّ محله "البيان" . والملاحظ أيضا أن هناك كلمات تهتز، لم تستقر بعد على قرار مثل: أدب و إنشاء.

دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومو اقف نقدية):

علاقة البلاغة بالحجاج (قراءة في الخطاب السياسي)

إذا كان الجانب التاريخي يقدم معرفة بمنابت البلاغتين العربية والغربية، ويصرف النظر عن بعض الأسئلة الزائفة، مثل سؤال الأصل والأثر، فإنه يقدم بدوره الحجة القاطعة على أن البلاغة كانت دائما ذات جناحين: جناح شعري وجناح خطابي، جناح تخييلي وجناح تداولي (حجاجي).

[1]– عبد الله علمي: في الحجاج– دراسات لأنواع الخطاب، ص: 12.

[2]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 41.

و الواقع الراهن للعالم العربي يقتضي - من منظور العمري- تقوية البعد الحجاجي في البلاغة، وإبراز العلاقة بين البلاغة و الحجاج من جوانب تطبيقية ناهيك عن الجوانب النظرية.

هذا الجانب التطبيقي الذي تناول فيه **الخطاب السياسي في المغرب** جمع جانب من مواده في كتابه " دائرة الحوار ومزالق العنف" سنة 2002، وفي كتاب " منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين" سنة 2008.

- **الهوية البلاغية للخطاب السياسي:**

بلاغة الخطاب السياسي هي جزء من بلاغة الإقناع. والإقناع قائم على الحجاج، وهو مستويات.وكان أرسطو أول من قسم الخطابة إلى سياسية استشارية وقضائية"مشاجرية"، وتقييميه استهوائية قوامها التحسين والتقبيح، وسمي كتابه: فن الخطابة. وظل هذا التقسيم يفرضُ نفسه برغم كل التعديلات التي أُدخلت عليه[1] .

والوظيفة الإقناعية لهذا الخطاب، وطبيعته الحجاجية، تجعل المدخل الرئيسي إليه هو المدخل البلاغي. فالخطاب السياسي ينتمي إذن إلى المجال البلاغي باعتباره خطابا ينشد التأثير والاستمالة قصد الانخراط أو الفعل[2] .

ويمثل الخطاب السياسي مركز بلاغة الحجاج، وذلك باعتباره الفضاء اللغوي الذي تنشر فيه وتبسط كل قضايا تدبير الحياة المدنية، أي كل ما يتعلق بتنظيم حياة إنسانية جماعية، من جهة، ولكون الجنسين الآخرين اللذين يقتسمان معه الموضوع (أي الخطاب التقييمي المحفلي والخطاب القضائي) يمتدان إما نحو التخييل الشعري (التقريظ) أو البرهنة والاستدلال.

وبناء على ما تقدم كان من الطبيعي أن تكون بلاغة الخطاب السياسي هي بلاغة الحوار، أي العلم الذي يتناول مكونات الحوار وأخلاقياته وآليات اشتغاله. وهي تنتمي إلى النظرية العامة للإقناع التي هي فرع من البلاغة العامة، (أو البلاغة، دون زيادة).

- **موضوع الحوار، فِيمَ نتحاور؟:**

السياسة، في مفهومها الحديث، مجال للحوار من أجل تدبير الشؤون المدنية، حوار بين استراتيجيات تمثلها أحزاب، إذ لا سياسة في العصر الحديث دون أحزاب. وحين نتحدث– محمد العمري- عن الحوار فنحن نتحدث ضرورة عن مجال ترتيب القيم: من الأحسن إلى الحسن إلى الأقل قبحا، ومن الأنفع إلى النافع

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 271.

[2]– محمد العمري: بلاغة الخطاب السياسي– الهوية والرسالة، عرض ألقي يوم 2007/09/26 بدار الثقافة بالمحمدية، بمناسبة افتتاح السنة الثقافية لأنشطة مكتب فرع اتحاد كتاب المغرب بالمحمدية، من موقع محمد العمري http://www.medelomari.net/entree.htm

إلى الأقل ضررا، ومن الأعدل إلى العادل إلى الأقل ظلما...الخ .تُرتب هذه القيم في إطار الإكراهات التي يفرضها الواقع[1] .

و دائرة الحوار هي ...دائرةُ الممكن، دائرة ما يتطلب إنجازه أخذ "الآخر" بعين الاعتبار. متعاونا (مشاورات) أو منازعا (مناظرات)، أو منقادا دون روية (استهواء). وخارج هذه الدائرة توجد دائرة المطلق (أو المطلقات). لكل صيغة من صيغ الحوار، أو جنس من أجناسه امتداد: ففي امتداد التشاور توجد المعرفة في بعدها التخزيني، أي نشاط الذاكرة بشكل أساسي، وفي امتداد المناظرة يوجد التأمل والاعتبار والمعرفة المنطقية والبرهانية، أي نشاط العقل بصفة أساسية. وفي امتداد الاستهواء يوجد العنف السيكولوجي والرمزي، أي نشاط الوجدان بشكل أساسي[2].

و موضوع الحوار السياسي هو تحويل القيم من قيم مطلقة إلى ممارسة نسبية مقبولة وذلك بترتيبها ترتيبها في سلم الترجيح. يستحضر علماء الحجاج في هذا المجال مقطعا لطيفا من محاورة **أفلاطون** و **أوطيفرون**:

قال **سقراط** ل**أوطيفرون**:

"وأي ضرب من الخلاف يولد العداوة والغضب؟ افرض مثلا، يا صديقي العزيز، أنك اختلفت وإياي على عدد، هل هذا النوع من الخلاف يعادي بيننا، ويفرق أحدنا عن الآخر؟ ألسنا نلجأ من فورنا إلى الحساب ونفض ما بيننا من خلاف بعملية حسابية؟

أوطيفرون: هذا حق.

سقراط:أو هبنا اختلفنا على طولٍ، ألسنا نسارع إلى القياس لنفض الخلاف؟

أوطيفرون: جد صحيح.

سقراط: كما نمحو ما بيننا من تضاد حول الثقيل والخفيف بأن نلجأ إلى آلة وازنة؟

أوطيفرون: لا ريب في ذلك.

سقراط: ولكن أي أنواع الخلاف لا يمكن تسويتها على هذا النحو، وأيها إذن يثير فينا الغضب ويوقفنا موقف العداوة أحدا منا من الآخر؟ أعتقد أن الجواب لا يحضرك الآن، وعلى ذلك فأنا أبسط رأيي بأن هذه العداوة إنما تنشأ حينما يكون الخلاف هو العادل والظالم والخيّر والشرير، والرفيع والوضيع [من الأمور]. أليست هذه نقط الخلاف بين الناس والتي نشتجر بسببها، إذ نشتجر أنا وأنت

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 272.

[2]– بلاغة الخطاب السياسي، http://www.medelomari.net/entree.htm.

وكلنا جميعا، حينما نعجز عن تسوية وجوه الخلاف تسوية مرضية[1].

إن الظروف التي تسمح بحوار سياسي بناءهي بكل بساطة "ظروف توازن السُّلط"، ظروف الحرية والمسؤولية وسيادة القانون، حين يكون الفيتو بيد أحد الطرفين تكون ظروف الحوار صعبة أو عبثية.. القداسة فيتو سياسي.....[2].

والذي يثير الاهتمام أكثر في مجال الحديث عن الخطاب السياسي بوصفه فضاء للهوية هو طغيان العناصر الذاتية (الوجدانية والدينية والأسطورية...) على العناصر الواقعية (البرامج والمقترحات). حيث يكون المهم هو تنمية اَلْ"نحن" ضد "الآخر ."يقع هذا في المنعرجات الكبرى حيث تقوم دعوى سياسية على مجموع شعارات غائية من قبيل: الثورة والإنقاذ، والتصحيح...الخ في مقابل الإفلاس والسقوط وغياب الأيديولوجية والتغريب والانحراف عن الطريق القويم..الخ، وأنا – يقول محمد العمري- أحيل هنا على بعض الألفاظ التي أنتجها الخطاب اليساري الماركسي من أواخر الستينيات وطوال السبعينيات وينتجها الخطاب الديني الآن. إنه خطاب عماده (الذات و الآخر)، من ذلك مثلا أننا سمعنا في الحملة الانتخابية الأخيرة وما أعقبها من نتائج غير مرضية بالنسبة للبعض عبارات من قبيل: "كنا في مقابل تجار المال"، "من وجد أحسن منا فليصوت عليه"، "نحن نقترح أناسا صالحين وهم يقترحون الفاسدين المفسدين"، وما يشبه ذلك من عبارات تزكية الذات وتأثيم الآخر على الإطلاق، ودون تمييز. (فالعبارة الأولى تجعل الآخرين بدون استثناء تجار انتخابات فاسدين. والثانية تنطوي على تحد، أو تعجيز: ليس أحد أحسن منا، وهكذا. وهذا مستوى من الخطاب الساذج الذي يَنتج ويُنتج مع الأسف في البيئة الفقيرة مادة وفكرا، وهذا مرجع نعته بالشعبوية[3] .

- **الخطاب السياسي والبلاغة الجديدة**

"البلاغة الجديدة في مجال الإقناع بلاغة تعاونية، هي أميلُ إلى المنطق والواقعية، تقاوم هيمنة التأثير السيكولوجي، وتحاول التقليل منه، وتعادي السفسطة، ولذلك تنتسب إلى منطق القيم؛ هو منطق طبيعي احتمالي ولكنه أميل إلى مخاطبة المستمع الكوني حيث يُهيمن العقل. والسائد في الخطاب السياسي المغربي الحالي هو مبدأ "التقية" والإلغاز نظرا لهيمنة السُّلط والمقدسات... "[4].

---

[1]– بلاغة الخطاب السياسي، http://www.medelomari.net/entree.htm.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 273.

[3]– بلاغة الخطاب السياسي، http://www.medelomari.net/entree.htm.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 273.

ولتوضيح ذلك يمكن تقديم المثال التالي:[1]

بالأمس، مثلا، سمعتُ السيد حميد شباط، وهو حاليا زعيم سياسي استقلالي مؤثر، يقول بأن حزب الأصالة والمعاصرة يُعارض حكومةَ صاحب الجلالة، فهو ضد صاحب الجلالة، ويستغرب الرجل، في شيء من التغابي، كيف أن جميع الأحزاب التي صنعتها الإدارة المغربية كانت مرصودة لمحاربة المعارضة إلا هذا الحزب، فهو يعارض الحكومة.

حين تسمعُ هذه الكلام ستقع في حيرة بين منطوقه وبين ما تعرفه علم اليقين من أن جميع المؤاخذات والغمز واللمز الموجه إلى هذا الحزب (من الاشتراكيين والإسلاميين على حد سواء) يتجه إلى علاقة "صاحبه" السيد عالي الهمة بصاحب الجلالة، حيث يشار إليه، في الغالب، بصفة "صديق الملك"! وقيل عن حزبه: حزب صديق الملك. وقيل أيضا بأن المقصود العملية هو خلق حزب للنظام على نحو ما وقع في مصر وتونس.

فما الذي يريد السيد شباط أن يعبر عنه بهذه الطريقة الملتوية التي تترك المستمع العادي في حيرة؟ كيف يكون الحزب مصنوعا إداريا ومُضادًّا للحكومة! هنا يقدم شباط تخريجة لهذه الورطة الكلامية، فهو يُفرق بين حكومة سياسية وحكومة إدارية هي الفاعلة. وحزب الأصالة ينتمي إلى الحكومة الإدارية، كما ينتمي إليها أيضا وزير المالية الذي سيشن شباط إضرابا ضد سياسته لا على سياسة الحكومة التي يرأسها الأمين العام لحزب الاستقلال! وإذا كانت هذه التخريجة حلت مشكلا في الظاهر فقد خلقت مشكلا آخر: فإذا كانت "الحكومة السياسية" هي حكومة صاحب الجلالة، فلِمن تُنسبُ الحكومة الإدارية، هذه الحكومة التي يديرها مستشارو الملك وينتمي إليها صديقه؟ إنها متاهةُ ناتجة عن العجز عن تسمية الأشياء بأسمائها. وهذا ما يسميه الفاسيون: "التقلاز من تحت الجلابة". إنه علامة على بيئة خطابية غير سليمة. وهذا موضوع يمكن أن يؤلف فيه كتاب ضخم ممتع .

- **الخطاب السياسي في المغرب والحجاج**

كل مختص أو صاحب صنعة يُعتبر حُجة في تخصصه، فهي مبررة بالمعرفة والخبرة، وكل ورع ومصلح يعتبر حجة بورعه وإصلاحه..الخ. ولكن المعرفة تتغيرن والورع يُنتحل، والسُّلط تبقى ثابتة فتتحول إلى عائق. ولذلك فهي سلاح ذو حدين لا بد من معرفة كيفية استعماله، وإلا فإن الأرض لن تدور، وسيبقى

[1]– المرجع نفسه، ص: 273 وما يليها.

الإنسان يبيع أخاه في سوق النخاسة، والمرأة ستُرد إلى "بيت الطاعة" خانعة بحكم قضائي..الخ. لا بد أن تدخل السُّلَط في حوار مع العقل والواقع وإلا عرقلت مسار التاريخ، وهو لن يرحمها.

يندر أن يتطرق محاورٌ من الحكومة أو المعارضة في قضية خلافية دون أن يُقحم خطابا ملكيا أو نصا دينيا في حجاجه. هنا يُسد باب الاختلاف ويَختلط الحابل بالنابل، ويتحلل الجميع من المسؤولية. والحال أن السياسة ممارسة خلافية؛ تمارسها وجهات نظر مختلفة تترجمها الأحزاب، كما سبق. الخطاب السياسي فضاء للقاء والاستقطاب، ولذلك فهو خطاب هوياتي خاص بكل حزب، هو كالوطن له حدود يمكن أن تلامس أوطانا أخرى ولكنها لا تتعداها، وإلاَّ أثار ذلك التعدي نزاعا. اعتقد أن كتابي: منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين، ألقى الضوء على جوانب مهمة من الموضوع[1] .

ومن الحجج التي يستعملها الخطباء السياسيون في المغرب : [2]

"حجة التسوية"، وهي حجة قائمة على قياس فاسد، مبنية على القولة المشهورة: إذا عمت هانت. تستعمل هذه الحجة عادة من طرف من بيده السلطة والمسؤولية، من اليسار واليمين: استُعملتْ من طرف الأحزاب الإدارية زمنا طويلا، ثم صارت تُستعمل اليوم من طرف اليسار القديم الحاكم. فحين يواجَه أي مَسؤول بقضية الرشوة أو العهارة أو انعدام الأمن أو السطو على المال العام...الخ، يبدأ بالرد كمحاولة أولية لتكسير أمواج الاتهام .قائلا بأن هذه العيوب موجودة في كل المجتمعات في جميع أنحاء العالم وفي كل الأزمنة، حتى في الدول المتقدمة. وفي هذه العبارة الأخيرة (الدول المتقدمة) تتركز قوة الحجة، ولكنها لا تعدو أن تكون مغالطة فجة، وذلك حين يُسوى بين القاعدة والاستثناء، ولا قياس مع الفارق: فسادُنا بنيةٌ وقاعدةٌ نعيشُ بها، وفسادهم شذوذ وحدث عارض يؤكدُ صلاح أحوالهم. ولذلك تستحقُّ هذه الحجة أن تُسمى "حجة القاضي الفاسد" تبعا لقول الشاعر:

قال القاضي لما عُوتب ما في الدنيا غير مذنب

ومن المقايسات التي لم تراع الفارق ما سمعتُه أخيراً من أستاذ جامعيا محسوب على البحث العلمي (من أحد الأحزاب الإدارية القديمة) يقارن بين "السُّلط الكبيرة" المتاحة للرئيس الفرنسي وسلط الملك، واستغربتُ لأن أي واحد من الصحفيين الجالسين أمامه لم يمزق ملابسه. فمن المعلوم أن الفرق بين النظام الديمقراطي وغيره لا يكمن في أن النظام الديمقراطي لا يشكو من أي نقص، بل يكمن في كونه مُزوَّدا بآليات إصلاحِ أيّ خلل يطرأ عليه بسرعة.

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 274.

[2]– المرجع نفسه، ص: 275.

ومن المغالطات التي ترتبط بتحويل الشذوذ إلى قاعدة، أو القاعدة إلى شذوذ، ما ورثه الأصوليون المغاربة عن نظائرهم في المشرق العربي من تلخيص الحداثة في "زواج المثليين" وما شابه ذلك من الاستثناءات.

وقد استعمل الآخر حجة لتبرير واقعنا. " هناك مفارقة عجيبة في حجة "الذات والآخر" ، فإذا كان مَن بيده السلطة يبرر النقائص بوجود "مثلها" عند الآخر المتقدم، فإنه ما إن يَطرح خطة لإصلاح قطاع من القطاعات حتى يقف المعارضون الشعبويون في وجهه ملوحين بالأصالة المغربية وتقاليد المغرب العريقة، متهمين صاحب المشروع بتقليد الغرب الليبرالي الفاسد، ونقل نماذجه الفاسدة أو غير المتلائمة مع واقعنا. وقع ذلك حين طُرحت مدونة الأسرة، كما وقع أخيرا مع مدونة السير. فمدونة الأسرة، كانت قبل إقرارها، مؤامرة عالمية، ثم صارت بعد ذلك هِبة مَولوية سَنية، ومدونة السير مجرد نسخ لقانون السير السويدي...الخ . ومع سهولة الاستقطاب بطرح حجة الذات والعراقة، وللتصدي لحركة الحداثة والديمقراطية التي أطلت على المغرب منذ أواخر الخمسينيات، ظهرت قيمة حجاجية حزبية أصبحت مجال تنافس: حجة البادية والبداوة. وفارس هذا الميدان هو المحجوبي أحرضان، الذي أجاب مرة (سنة 1977) من سأله عن وثائق الحزب لتجديد الحركة: (وثائق الحركة الشعبية هي الرزاز والكنابش، العروبية والشلوح هما وثائق الحزب" [1].

ويقول العمري أن القيم الحجاجية تتغير حسب المجتمعات والظروف ، ويمكن تقديم مثال يبرز التغير الذي طرأ على الحجة حديثا : " هناك حجة طريفة حديثة جدا سميتُها حجة "الذئب الخراز": تبرير السرقة بالفعالية. وهي تسمية "قاسية" رجوتُ منها تنبيه أصحابها إلى شناعة أفعالهم. حجةٌ ابتدعها بعض "المناضلين" والأطر التكنوقراطية الكفأة التي أسندت إليها الدولةُ مهمةَ إخراج بعض المؤسسات العمومية وشبه العمومية من حالة الإفلاس التي أوصلها إليها سوء تدبير مسؤولين اعتبروها إقطاعا خاصا في العهد السابق. فحين قيل لبعضهم: أخذتم كذا أو سرقتم كذا!... لم يجدوا غيرَ جواب واحدٍ يتضمن الاعتراف بالسرقة ويبررها. قالوا: انظروا ماذا حققنا لهذه المؤسسات، أنظروا كيف وجدناها وكيف صارت الآن، نحن نستحق أكثر مما أخذا! ولو أنصفتم لأعطيتمونا أكثر مما أخذنا! يتناسون الأجور الضخمة والامتيازات المختلفة، ويتناسَوْن أكثرَ من ذلك المجهود المالي الضخم الذي بذلته الدولة لإنقاذ تلك المؤسسات " [2].

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 276.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، صك 276 وما يليها.

يُحكى أن ذئبا تاب إلى الله من ماضيه الشنيع واحترف الخرازة خدمة للصالح العام، علَّه يرتُق شيئا من جلود الحيوانات التي خرقها. سلمته عجوز، ذات يوم، قربةً كثيرة الثقوبُ مُشبعةً برائحة اللبن الحامض المثير لشهية الذئب. عندما عادت العجوز، في الموعد المحدد لتسلم القربة، أخبرها الذئب أنه استعمل كل مهارته وصبره في رتق فتوقها حتى صارت كأنها جديدة، وعندما حدد أجرتَه وجد أنها تتعدى ثمن القربة، فأكلها مقابلَ عمله.لم تكن الذئاب القديمة تحتاج إلى مثل هذا التبرير لأن العجوز لم تكن تعود لاسترجاع القربة، وإنما ظهرت الحاجة إلى هذا الاجتهاد في العهد الجديد الذي صار يسأل أحيانا عن مآل قربه المثقوبة[1].

وقد صارت حجة الذئب الخراز فلسفة في المغرب الحديث، لا أحد يرتق قربة إلا ويفكر في أكلها. ولذلك تجد أن كل مشتغل بوظيفة يرى أن ثمارها له أولا، ابتداء بوزارة المالية حيث يُتحدث عن تعويضات بعيدة عن مستوى المغرب وصولا إلى المكاتب المختلفة: الكهرباء والماء والقطارات... لا يبقى خارج اللعبة إلا المعلمون وعمال النظافة ومن على شاكلتهم..الخ.

- **الإنزلاقات والخطاب السياسي:**

يقول العمري أن تحديد المفاهيم والفصل بين الظواهر والأعراض الخادعة أمر أساسي في بلاغة الحجاج. ويمكن تحديد المغالطات القائمة على الانزلاق بمثال من الخطابة السياسية المغربية الحديثة: " أشهر مثال لذلك وأبرزه هو تسمية السرقة"سوء تدبير". كثيرا ما يرُدُّ المسؤولون والناطقون الرسميون باسم الحكومة على ما تنشره الصحافة من أخبار السرقات والاختلاسات. بناء على نتائج الافتحاصات التي يقوم بها المجلس الأعلى للحسابات أو غيره من اللجن المكلفة من البرلمان أو من وزارة المالية. بالقول بأن الأمر لا يتعلق بالسرقة، بل "بسوء التدبير" بهذا التحويل، أو الانزلاق المغالط، يبررون عدم مبادرتهم للقيام بوضع الملف أمام القضاء. انظر كيف يتحول الوزير إلى قاض. إن سوء النية ممكن في هذا المجال .لأن المتحدث يعلم أن تحديد إحدى الصفتين من اختصاص القضاء بعد معركة حامية بين الدفاع والاتهام. وهم يعلمون بفعل الممارسة أن ما يُسمى "سوء تدبير" سلوك متعمد يخلط الأوراق، لأنه هو العُلبةُ التي تُلفُّ فيها السرقة. فعدم إتباع الطرق القانونية الشفافة في تدبير الصفقات، مثلا، "سوء تدبير" في الظاهر، أما باطنه فهو العمل في الظلام من أجل السرقة[2] .

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 277.

[2]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 278.

و سوء التدبير خطوة أولى من أجل الانزلاق إلى مفهوم آخر: سوء التقدير. وذلك كله من أجل إبعاد صفة سوء النية، هذا إذا لم يصل الأمر درجة الوقاحة فيتحدث عن المجتهد الذي لم يصب .لتوسيع مجال حجة سوء التدبير يمكن الحديث عن حجة أخرى جديدة، هي حجة "المرض العقلي"، والإدمان، فهي من الحجج التي أفرزها العهد الجديد .تدل، رغم فجاجتها، على نوع من الحياء والحرج لم يكن الخارقون للقانون في العهد القديم في حاجة إليه. أُستُعملت هذه الحجة في تبرئة بعض "الكبار" وأبنائهم وأقاربهم من المسؤولية الجنائية عن حوادث وصلت حدَّ الاعتداء الجسدي والمعنوي على رجال الأمن وهم يؤدون مهامهم بالبذلة الرسمية .وشاعت هذه الحجة في مجال ما يُسمى القتل غير العمد أو الجرح المترتب عن حوادث السير من طرف سكارى أو مدمنين [1].

- **الاستعارات الحجاجية والخطاب السياسي المغربي:**

المخزن له استعاراته، والأحزاب لها استعاراتها، وقد عرضتُ بعض استعارات المخزن في مناسبة سابقة بشكل هزلي. ورغم أن التوجه العام الذي يسير نحو التخلي عن أكثرها فإن بعض المتملقين ينفضون عنها الغبار من حين لآخر. ولذلك نذكر هنا أمثلة من استعارات الأحزاب السياسية. لا شك أن قصب السبق في هذا المجال كان وما زال للاتحاد الاشتراكي واليسار بصفة عامة. فاليسار يميز نفسه عن الأحزاب الإدارية باستعارة منفرة: "أحزاب الكوكوت منوت". وأضيفت للحزب الجديد صفة: "الوافد الجديد"، وهي تعني الطارئ، والضيف الثقيل. ولكن الإنتاج الإستعاري الكبير للاتحاديين كان في تدبير الشأن الداخلي حيث يتعذر التصريح بهجاء إخوان مناضلين كانوا في نفس الصف. وهكذا نجد تبرير الانفصال مثلا باستعارات من قبيل: "أرض الله واسعة"، حيث شبهت الخريطة السياسية بالخريطة الطبيعية، والحزب بالخيمة التي يمكن أن تُنصب في أي مكان. واستعارة "القطار والمحطات"، قطار الحزب يسير وفي كل محطة ينزل ركاب ويصعد آخرون، وقيل أخيرا: "وردة بدون شوك"... والخطير في الاستعارة أنها ترسخ الحجة وتشغل الذهن عن التفكير في مدى صدقية محتواها، ولذلك فعلاجها لا يكون إلا باستعارة مضادة[2] .

وقد استعمل المحجوبي أحرضان مجموعة من الاستعارات في مقارعة الخارجين عن سلطته في الحركة الشعبية من أجلها حقا استعارة "القرد المتسلق" الذي كلما علا متسلقا الشجرة كلما انكشفت عورته،

[1]– المرجع نفسه، ص: 278 ومايليها.

[2]– المرجع نفسه، ص: 279.

شبه بها مجموعة من وزراء الحركة الذين مهد لهم طريق الصعود فقلبوا له ظهر المجن. ومنها صورة "موكا"...الخ[1].

☜ **أسس بلاغة الخطاب الإقناعي**

عناصر بناء الخطابة عند أرسطو ثلاثة: وسائل الاقناع أو البراهين، والأسلوب والبناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول [2].

وقد قدم العمري نموذج تحليلي ابرز فيه الأسس الثلاثة لبلاغة الخطاب ، ويتمثل في " خطبة للحجاج في أهل الكوفة وأهل الشام".

- **نص الخطبة:**

" يا أهل الكوفة، إن الفتنة تُلقَحُ بالنجوى، وتُنتج بالشكوى، وتُحصد بالسيف، أما والله إن أبغضتموني لا تضرُونـي، وإن أحببتموني لا تنفعوني، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريحإلى

مودتكم، و زعمتم أني ساحر، وقد قال الله تعالى: " ولا يفلح الساحر "، وقد فلحت. وزعمتم إني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم مالا تعلمون؟".

ثم التفت إلى أهل الشام:" لأزواجكم أطيب من المسك، ولأبناؤكم آنس بالقلب من الولد، وما أنتم إلا كما قال أخو بني ذبيان:

إذا حاولت في أسد فجـــورا فإني لست منك ولست مني

هم درعي التي استلأمت فيها إلى يوم النســـار وهم مجـني

ثم قال بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه:" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون "، ثم نزل".

- **تحليل الخطبة:**

يرى محمد العمري أن هذه الخطبة برغم قصرها تحتوي على جميع مقومات الخطاب الإقناعي (الحجج، الأسلوب، تنظيم أجزاء القول).

أ- الحجج الخطابية:

- **حجج جاهزة:**

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة– دراسات وحوارات، ص: 279.

[2]– محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 20.

الاستشهاد بآيتين من القران وببيتين من الشعر، ما يكون حوالي ثلث الخطبة.

- **حجج غير جاهزة:**

- التقسيم والمقابلة بين المعاني لادعاء الاستقصاء و الإحاطة، (تلقح، تنتج، تحصد)، (البغض، المحبة)، (العداوة، البغضاء).

- القياس المضمر: (زعمتم إني ساحر...)، (زعمتم أني أعلم الاسم الأكبر..).

ب- الأسلوب يقوم على:

- **غلبة الموازنات الصوتية – الإيقاعية:** فقر متناظرة التركيب، ومتجانسة القافية خاصة في الجزء الأول من الخطبة، يدعم ذلك بيتان من الشعر. ثم يميل إلى الاسترسال مع الآية القرآنية في نهاية الخطبة، ليجنب الخطبة التكلف الذي يسيء إلى الوظيفة الإبلاغية (ظهور التكلف).

- **المقابلة بين المعاني والحالات:** معاني الحب والكراهية، حالة أهل الكوفة وأهل الشام.

- **الميل إلى التصوير في بداية الخطبة:**تشبيه الفتنة بما يلقح وينتج ويحصد.

ج- تنظيم أجزاء القول:

- بدأ بقضية عامة: بداية الفتنة (أية فتنة) ونهايتها.

- ثم تحدث عن رأي أهل الكوفة فيه وقلة اكتراثه بهم، وفضل عليهم أهل العراق نكاية فيهم.

- ختم بآية قرآنية (تهديد وتيئيس لهم).

وهو في ذلك كله يراعي المقام و الذوق العربي الميال إلى الإيجاز في مثل تلك المواقف.

أثر الحس النقدي لدى العمري في إخصاب الدراسات البلاغية المعاصرة.

- **على الصعيد النــظري.**
- **على الصعيد التطبيـقي.**
- **على الصعيد المنـهــجي.**
- **تطلعات البلاغة العربية و انفتاح آفاقها(بين الوظيفة التخييلية والوظيفة التداولية).**
- **الوعي النقدي ومدى الالتفاف حول مدرسته البلاغــية.**

مقـــدمـــة

قبل الخوض في عناصر هذا الفصل رأى الباحث أنه من الضرورة بمكان التطرق في مقدمته، ولو بايجاز شديد، إلى محاولات بعض البلاغيين المعاصريين التي لمعت أسماؤهم في دعوتهم لتجديد الدرس البلاغي، نتبين طبيعة عملهم.

أحمد الشايب: يرى أن " الدراسات النظرية للبلاغة العربية انتهت عند المتقدمين إلى علوم المعاني والبيان والبديع" [1] . وهذا في نظره لا يستوعب أصول البلاغة كما يجب أن تكون لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه. وبالموازاة بين أبحاث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الأخيرة وبين موضوعها، استطاع أن يستنتج أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ، أكثره في قسم الفنون الأدبية وباقيه في باب الأسلوب، ولابد من وضع علمي جديد يشمل هذه الأبواب والفنون. وهذا ما أدى به أن يحصر موضوع البلاغة في بابين الأسلوب والفنون الأدبية. وألَّفَ في ذلك كتاب "الأسلوب". وينتقد أحد الباحثين هذا الكتاب قائلا:" يتبين من عرض موضوعات الكتاب أنه مخصص لدراسة الأسلوب وليس لدراسة البلاغة ، أو لبعثها أو لتجديدها، ولما كانت نظرية الأسلوب العربي لا تنفك من مقومات بلاغية، فقد خلط الشايب بينهما.....ولم يقم المؤلف ببعث البلاغة القديمة، لسبب منطقي بسيط، هو أن هذه البلاغة نشأت تحت ظل مؤثرات انتفت من الساحة الفكرية الحديثة، ولم يقدم نظرية في دراسة الأسلوب العربي، لأن أسس هذه الدراسة لم تكتمل في حينه، لا في الدراسات الغربية ولا في الدراسات العربية المعاصرة " [2] .

أمين الخولي: " أثار الدعوة للدرس البلاغي المقارن بمقالة عن أثر الفلسفة اليونانية في البلاغة العربية. وفي (فن القول) دعا الى خطة لدراسة البلاغة دراسة أسلوبية تسندها دراسة الفنون وعلم النفس والدراست الجمالية [3]. وقال ان التجديد الادبي يرمي الى غرضين : قريب و بعيد، القريب هو تسهيل دراسة المواد الادبية، والبعيد ان تكون هذه الدراسات الادبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي. " ورأى أن نعمد رأسا الى تحقيق الغرض البعيد في تجديد البلاغة العربية تجديدا يمس الاصول والاسس فيغيرها، وينفي منها ويثبت، مع حذف المباحث الفلسفية من البلاغة وإضافة مباحث جديدة، لكي تتصل البلاغة بالحياة، وتمكنها من التأثير الصالح فيها، وقدم بيانا لذلك" [4] . وعن البلاغة الحديثة أكد انه " لابد ان تستمد دلالتها من اختلاف مفهوم الجمال ، ومن تحول الذوق الحديث عن الذوق القديم، ومن اختلاف

---

[1]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد– المصطلح والنشأة والتجديد، ص: 271.

[2]– المرجع نفسه، ص:273.

[3]– مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص: 9.

[4]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد– المصطلح والنشأة والتجديد، ص: 274.

الانواع الادبية الجديدة عن الانواع القديمة " [1] . ويبدو ان دعواته لم تثمر شيئا سوى المناداة بالتجديد وذهبت اصداؤها مع الايام، فالدعوة الى التجديد لا تكفي لازالة البناء البلاغي القديم الذي يستمد قوته من الثقافة التقليدية التي ماانفكت تسم عقول الكثير من الباحثين المعاصرين.

طه حسين: في بحثه في مقدمةنقد النثر المنسوبلقدامة بن جعفر يبحث تحت عنوان (البيان العزلي من الجاحظ الى عبد القادر) مدى ما في البلاغة العربية من أصالة عربية في خصائص النظم وما تأثرت به من فلسفة وبلاغة أجنبية [2] .

أحمد أمين: يعد رأس مدرسة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، وهو الذي راعى المدرسة الادبية والنقدية بجامعة القاهرة، وترجم مع الدكتور زكي نجيب محمود كتاب (النقد الادبي)، وقد أرخ للبلاغة العربية كما أرخ لغيرها من العلوم العربية حين صور الحياة العقلية العربية [3] . وذلك في كتابه (ظهر الاسلام)، وتحدث فيه عن تاريخ علوم البلاغة الى غاية ابو هلال العسكري، وراى ان البلاغة لم ترد كثيرا عما تكون في هذا العصر الذي نؤرخه. " وكل ما فعله المتأخرون إنما هو جمع لمتفرق أو تفريق لمجموع، أو شرح لناقض أو تحديد لمشتت، وفي اخر الامر فقدت هذه العلوم روحها، وأصبحت أدوات جافة لا طعم لها" [4] .

شوقي ضيف: للدكتور شوقي ضيفنظرات بلاغيةفي كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) و (الفن ومذاهبه في النثر العر بي)،وقد أضاف بعدا للنشاط الجامعي البلاغي بدراسة البلاغة العربية دراسة تاريخية من العرض التاريخي للمؤلفات ومسائل البلاغة فيها [5].صنف شوقي ضيف البلاغة العربية على أساسين مختلفين، " الاول كما سماه مصلوح (الاساس التاريخي) تناول فيه نشأة البلاغة، وجاء الجاحظ خاتمة عصر النشأة الذي تلاه دراسات منهجية لبعض المتفلسفة وبعض المتكلمين وبعض المتأدبين. والثاني (الاساس التقويمي) تناول فيه ازدهار البلاغة عند علمين هما عبد القادر و الزمخشري، كما تناول عصر التقعيد والجمود في كتابات الفخر الرازي والسكاكي، وانتهى الدرس البلاغي عند شوقي ضيف بدراسات جانبية منها ما سار على طريق السكاكي أو لخصه مثل المثل السائر أو انحرف عنه" [6] .

---

[1]– المرجع نفسه: ص: 276.

[2]– مصطفى الجويني: الفكر البلاغي الحديث، ص: 20.

[3]– المرجع نفسه: ص: 61.

[4]– المرجع نفسه: ص: 62.

[5]– المرجع نفسه: ص: 63.

[6]– أحمد يوسف: البلاغة العربية– قراءة القراءة، الآن ناشرون وموزعون، 2018، ص: 21.

ويبدو ان شوقي لم تكن من مآربه ان ينظر في البلاغة العربية من حيث تجديدها ووصلها بآفاق العصر، " كان قصده قصدا تعريفيا وتعليميا، وهذه الغاية كانت الغاية التي لم تغب عن كثير من أعلام هذه الفترة مثل طه حسين وأحمد أمين.....وقد فرضت هذه الغاية نفسها عليهم جميعا في مجتمع يحاول النهوض بالخلاص من المستعمر والامساك بمفاتيح العلم. وهذا ما جعل أغلب اعلام هذه الفترة يقرؤون كتبا كثيرة ويكتبون عنها ويقدمونها الى جمهور القراء، ومن هذا التوجه تقديم صفحات التراث الادبي والبلاغي والنقدي تقديما يغلب عليه النظرة العامة.....فاختلاف أسس قراءة البلاغة عند شوقي ضيف مرده الى طبيعة المحاضرات وطبيعة المتلقين من الطلاب والاستجابة للتوجه العام وهو الغاية التعليمية والتعرفية "[1].

سيد نوفل: يؤرخ للبلاغة العربية من خلال المصطلحات البلاغية عند الجاحظ، حيث عمل على تحديد التفكير البلاغي عند الجاحظ، الجاحظ وتاريخ البلاغة،و مفاهيم الحاحظ البلاغية.....الخ.

صلاح فضل: يعد كتابه " بلاغة الخطاب وعلم النص" 1992،أول دراسة نقدية عربية موسعة تعرض للقارئ العربي اهم اراء البلاغيين المعاصرين بصفة عامة وبلاغة الحجاج بصفة خاصة. قد قم بابا بعنوان (تحول الانساق المعرفية) الذي يرى بأنه " يُعد مهادا لازما للاطار العلمي الذي تبثق منه بلاغة النص الجديدة "[2]. " ويرى ان اندماج الخطاب البلاغي الجديد في علم النص يتيح له تشكيل منظومة من الاجراءات المنهجية القابلة للتطبيق على المستوى التداولي. بحيث يتكون لدينا جهاز معرفي وبلاغي مبسط، نستطيع ان نختبر به النصوص المدروسة، ونقيس خصائصها ووضائفها بشكل يخضع للتعديل والتطوير، بفضل مكتسبات المعارف العلمية التخصصية "[3]. وقد جعل صلاح فضل تحديث الفكر اللغوي والادبي في عالمنا المعاصر مرهون بحصر الجوانب التقنية في تحليل الخطاب الادبي والكشف عن جمالياته وفعالياته، ومقاربتها بمفاهيم أكثر نضجا وتركيبا.

محمد مفتاح:من بين المشاريع النقدية الوازنة، التي واكبت تطور الفكر والأدب العربيين لما يزيد عن أربعة عقود، نجد مشروع محمد مفتاح، الذي أرسى دعائمه في مختلف حقول وألوان المعرفة، من الديني إلى الشعري، ومن الحكائي إلى الموسيقي، ومن التاريخي إلى الفلسفي. ويتميز محمد مفتاح، في مسيرته العلمية، بالصرامة المنهجية في اختيار المفاهيم والمصطلحات، متجاوزا تلك النظرة الضيقة، التي يُنظَر

---

[1]– المرجع نفسه: ص: 22.

[2]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص: 7.

[3]– المرجع نفسه: ص: 8.

بها إلى التراث العربي. " وتتميز أفكار هذا المشروع وتصوراته بأنها تستند الى فكر مؤصل، متعدد المشارب الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، كما أن صاحبه حاول توظيف كل الحقول المعرفية التي اطلع عليها من أجل تحقيق هدفين كبيرين: أولهما اثبات ضرورة الاخذ بفكرة النقد المعرفي كسبيل ناجعة لمساءلة الذات وادراك الموقف من الاخر، وكذا الموقع منه. أما الثاني فالتأكيد على أنه بالإمكان صياغة جهاز مفاهيمي ناجع ومقنع من المدونة المتناولة، وبالتي فانه يدعم المقولة التي تحذر من الاسقاطات المنهجية والمفاهيمية ، على اعتبار ان النص له من الوعي البنيوي ما يمكنه من اختيار المنهج الملائم وكذا المفاهيم "[1]. ويبدو أن للشرط التاريخي دورا كبيرا في بلورة مشاريع تخترق بنيات الثقافة العربية، كما أن للتبادل الثقافي الموسع يد طولى في إبراز الفكر، الذي يخدم التطور الإنساني. فضلا عن ذلك، فمحمد مفتاح جالس في كلية الآداب في الرباط، البنيوي الفرنسي رولان بارث، ولعل في ذلك ما يشير إلى الانفتاح الثقافي الحاصل على الموجات الأيديولوجية، التي كانت متأججة في فرنسا منتصف القرن الماضي. أما والوضع هكذا، فإن لأواصر الصداقات، التي تعتمل في خفاء، تأثيرا جوهريا في المسار العلمي لمحمد مفتاح انطلاقا من محمد أركون إلى محمد عابد الجابري مرورا بعبد الفتاح كيليطو وطه عبد الرحمن والشاعر المغربي محمد بنيس وغيرهم. فكان محمد مفتاح، فعلا، رمزا وهرما وواجهة ثقافية في المغرب وفي العالم العربي، لما ألفه من مراجع يخدم بها الفكر والنقد على حد سواء.

وبعد هذا العرض لمحاولات التجديد والتطوير لبعض البلاغيين المعاصرين، والذي نراه يهدف الى معرفة التحديات والمشترك والمختلف بين هؤلاء الرواد، وتبيان الاصول المعرفية التي حكمت كل واحد منهم .

ولطبيعة الدراسة الحالية سنتوقف في هذا الفصل عند اسهامات محمد العمري في تجديد مفهوم البلاغة وتطويرها تنظيرا وانجازا من خلال ابراز اثر حسه النقدي في اخصاب الدراسات البلاغية المعاصرة على الصعيد النظري والتطبيقي والمنهجي، وكذا تطلعات البلاغة العربية وانفتاحها بين وظيفتي التخييل والتداول، واظهار مدى التفاف الدارسين المحدثين حول مدرسته البلاغية.

على الصعيد النظري

لا نبتعد عن الصواب إذا اعتبرنا الباحث محمد العمري أحد أبرز البلاغيين المعاصرين الذين أسهموا في تجديد مفهوم البلاغة وتطويره تنظيرًا وإنجازًا. حيث يرى أن " الكتابة التقليدية في التراث تعاني

[1]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 254.

من غياب إشكالية **التراث والحداثة** ، في حين تتجه أغلب التيارات النقدية الحديثة إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، لاسيما مكتسبات اللسانيات" [1] . و إن " كان قد أسس بصنيعه لمقاربة نسقية للبلاغة العربية تؤكد أن فهم السابق رهبن باستيعاب اللاحق، فقد أسهم أيضا في إحياء التصور الحيوي العميق والأصيل للبلاغة، والمنفتح على أسئلة الحاضر وإشكالاته وتحدياتها الحضارية والدينية والسياسية بأن ردم الهوة بينها وبين الانشغالات اليومية للإنسان، فلم تعد البلاغة عنده ضربا من التنميق الجمالي للخطاب فقط، ولا مستوى من التحليل الأسلوبي والتركيبي للنصوص الشعرية والنثرية فحسب، بل صارت كذلك وسيلة للتفاعل مع المجتمع ومواكبة نقاشاته حول قضاياه العامة، وتحليل مستويات الإجابة والمقاربات لما تطرحه من أسئلة، وما تدعو إليه من مواقف " [2] .

القارئ لمنجز محمد العمري يلاحظ هذا المسار الذي وسم سيرة البلاغة لديه، ومكنه من التأسيس - بإسهاماته العلمية والأكاديمية والجمالية - لمشروع رائد في دراسة البلاغة وإحيائها من جديد؛ وهو مشروع تشكلت عناصره وقامت لبناته عبر البحث في مستويات متعددة، واختلفت مسافاته ومستوياته نتيجة تحولات في الرؤية والتصور، وانعكست على المقاربة؛ فبعد انكبابه على التراث البلاغي تحقيقا ومدارسة من خلال تحقيقه "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل" لمحمد الإفراني؛ سار البحث لديه في سياق بنيوي صرف أثمر العديد من البحوث أبرزها كتاب: "تحليل الخطاب الشعري: البنية الصوتية" وكتاب "اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم"، وكتاب "الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية"، وترجمته لكتاب "بنية اللغة الشعرية" لجان كوهن (بمشاركة محمد الولي)؛ ليولي انشغاله العلمي والأكاديمي بعد ذلك شطر مقاربات تغني توجهه الأول برؤى جديدة تنفتح على النظريات الأدبية الجديدة وهو ما تمثله دراساته في بلاغة الخطاب الإقناعي، "الاتجاهات السميولوجية المعاصرة" لمارسيلو داسكال (مع آخرين)، "البلاغة والأسلوبية" لهنريش بليت، "نظرية الأدب في القرن العشرين"، لتنتهي به رحلة البلاغة في دروب نظريات الحجاج من خلال: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، وكتاب "دائرة الحوار ومزالق العنف"، وكتاب "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، وكتاب "منطق رجال المخزن

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية– أصولها وامتداداتها: ص 9.

[2]– محمد مسالتي: خطاب البلاغة: الأنساق المتصارعة وجدل التأويل– بحث في مسارات تلقي الخطاب البلاغي الجاحظي في النقد الحداثي، مركز الكتاب الأكاديمي، 2019، ص: 253.

وأوهام الأصوليين"، هذا بالإضافة إلى منجزه السردي: سيرته الذاتية "أشواق درعية"، وروايته "العودة إلى الحارة وزمن الطلبة والعسكر."[1]

يتبين أن أعمال محمد العمري أسهمت في تطوير آليات النظر البلاغي والمقاربة المنهجية عبر متابعة الموروث البلاغي العربي القديم متابعة تتجاوز القراءة العابرة، أو الهاوية، لتعي أنساقه الفكرية ونظمها الاصطلاحية والمفهومية، كما أغنت المكتبة العربية في المجالين اللساني والفلسفي المنطقي وغيرهما من علوم اللسان والإنسان، على نحو أعاد للبلاغة توهجها، وجعلها علما كليا للخطابات التخييلية والتداولية الهادفة إلى التأثير والإقناع أو هما معا إيهاما أو تصديقا، الأمر الذي مكنه من إعادة الاعتبار للبلاغة عبر بناء نظرية حديثة وعامة تستوعب ما هو تخييلي وحجاجي، وتنفض الغبار عن المكون الإقناعي الحجاجي والمعرفي العام للبلاغة العربية الذي ظل مهملا عبر تاريخ طويل من المدارسة والتحليل والتنظير، مما مكنه من الإسهام في بناء نموذج بلاغي يستوعب الخطابين معا في سياق ما يسمى بالبلاغة العامة.

ففي محاولة لرسم خريطة عامة لأرض **البلاغة** انطلق محمد العمري من **الملاحظات الأسلوبية** التي ظهرت عند تلقي الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام قبل ظهور المصطلح البلاغي كنسق لعلم، والتي اعتبرها **المصدر الأول للبلاغة العربية** ، حيث جُمِعت لاحقا تحت اسم **البديعومحاسن الكلام** لابن المعتز، وكان هذا التجميع في نظره – العمري- إعلانا عن ميلاد جديد إلى جانب علوم اللغة والفقه التي تبلورت عبر القرنين الثاني والثالث. وقد اعتبر كلمة **بديع** التي كانت في القرن الثالث الهجري (274 ه) مع ابن المعتز، أول كلمة تربعت فوق مجموعة من المصطلحات المرصودة لوصف الخطاب من زاوية الخصوصية التعبيرية. كلمة بديع– القول للعمري- هي إذن " الوريث الشرعي لأقدم تأمل في الخطاب الأدبي، الشعري خاصة، من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري. ظهر هذا المصطلح في جو الخصومات حول **ملكية العبارة** بين القدماء والمحدثين، ولذلك فهو يضم نوعين من الصور: صور بديعة، وصور متداولة سميت **محاسن الكلام**، واسمها يمهد للنعت الذي نعتت به عند السكاكي: محسنات.وحين يقول تودوروف، بصدد الحضارة الغربية، بأن التأمل البلاغي هو أقدم تأمل في اللغة، فمن الأكيد أنه يقصد هذا الجانب الذي دعي بديعا في اللغة العربية، ذلك أن الملاحَظ ، في البداية قبل التقنين والتقعيد، هو،

[1]– محمد مسالتي: خطاب البلاغة: الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، ص: 254.

أولاً، الشاذ والفردي والمتغير أي التخييلي الشعري ثم الحجاجي الخطابي ،وذلك برغم ارتباط كلمة ريطورية، في التقليد الغربي، بالخطابة "[1].

وظل مصطلح **(بديع)** يتغذى من النقد التطبيقي والخصومات الأدبية، أكثر من أربعة قرون، موسعا دائرة نفوذه لتضم كلَّ صور التعبير و وُجوهَه اللسانية، غيرَ عابئ **بمقامات القول ومقاصده**، أي بالأبعاد التداولية للخطاب، إلى أن ظهر كتاب مفتاح العلوم للسكاكي فوجدناه (أي المصطلح) يزاح عن موقع السيادة والهيمنة وينقل إلى الهامش. ونظرا لأن المفهوم القديم لكلمةِ بديع لم يتوقف، ولم يُخلِ الساحة، برغم المنافسة، فقد أصبحنا أمام مفهومين للبديع: مفهوم كلي يضم كل صور التعبير اللسانية، ومفهوم جزئي (عند السكاكي) يضم الصور غير المنضبطة لتعريف" المعاني" و"البيان" اللذين اقتسما أرض البلاغة. وَهنا عُمِّم مفهوم التحسين والمحسن على صور البديع في حين كان نعت "محاسن الكلام" عند ابن المعتز يعني ما ليس من البديع[2].

وقد صنف العمري أشكال **البديع** إلى ثلاثة أنواع :[3]

1. وجود طرفين متكافئين: وجعل ضمنه الموازنة، والتوازن، والمماثلة، والمتوازي، والمقابلة، والمناسبة، والتناسب، والتجنيس، والمطابق، والسجع.
2. انقسام وحدة إلى أجزاء: ومن هذا النوع: التقسيم، والتجزئة، والتقطيع، والتشطير، والمشطر، والازدواج، والتوأم، وتشابه الأطراف.
3. ورود وحدة أو وحدات ذوات خصوصيات متماثلة مرتين فأكثر: ومنها التكرار، والتعديد، ورد الأعجاز على الصدور.

وإذا كانت الملاحظات الأسلوبية التي جمعت فيما بعد تحت اسم البديع – كما سبق الذكر- تعتبر المصدر الأول للبلاغة العربية، فإن صياغة نظرية عامة للفهم والإفهام أو للبيان والتبيين ، يعتبره العمري المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية، الذي ظهر الجاحظ رائدا فيه الذي انتبه إلى أن : " اللغوي لا يستطيع مهما أوتي من معرفة أن يحاجج في مجال الإقناع حول المسائل الدينية ما لم يستعن بعلم الكلام، وعلم

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 38.

[2]– المرجع نفسه: ص: 37.

[3]– مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ص: 172.

الكلام هو علم الحجاج العقلي في المجال الديني، وهو مركز التأويل القادر على ردم الهوة بين مستويات الخطاب في الحقيقة والمجاز، وكان من ثمار هذا التوجه ظهور علم المناظرة والجدل" [1].

حاول محمد العمري في أثناء مقاربته للنص الجاحظي وللبلاغة العربية عامة من خلال كتابه الموسوم **(البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها)**الجمع بين البعدين البيداغوجي والتأويلي، فالبعد البيداغوجي يتجلى في فحصه مشروع الجاحظ انطلاقا من خطاطات تقوم على الاختزال الدّال، كما هو الحال في توضيحه لمفهوم البيان عند الجاحظ، وهذا البعد يبدو من حيث الإجراء عملا وصفيا، ولكنه يحمل **همًّا إقناعيًا**، ذلك أن العمري يريد أن يضبط ويتفق – بادئ ذي بدء- على محتويات مشروع الجاحظ البلاغي ومنجزاته، وشتان ما بينهما في أغلب الأحوال، شتان ما بين المنطلقات والرغبات المعبر عنها وبين المنجز مما تتيحه الظروف المحيطة، وهو ما بينه الباحث لاحقا حينما صرح بان مشروع الجاحظ اخفق كمنجز، ثم إن الباحث كما بدا لنا اتكأ على هذا الإجراء قصد الخروج من حلقة النصوص الجاحظية المقطوعة عن السياق التي لم تزدنا إلا تشويشا واختلافا في فهم الفكر البلاغي الجاحظي وتقويمه. أما البعد التأويلي الذي اعتمده الباحث فقد ساهم في ربط مشروع الجاحظ بابن وهب وأبي هلال العسكري، وابن سنان، كما ساهم هذا البعد أيضا في الكشف عن خلفيات المشاريع المرتبطة بالخطاب الجاحظي [2].

إن قراءة العمري استثنائية بجهد استثنائي، إذا قرأت مشروعه وتفحصته مليًا ثم تدبرت وهممت باستثماره وتشخيص منحاه وجدت فيه ما يغريك بأن تعالجه بالتمحيص وأنت جاعل منتهى غايتك أن تحسم الأمر فيه إن كان من صنف الدراسات الحجاجية ، أم من صنف الدراسات البنيوية الأسلوبية...

وبناءا على ذلك . سنطوف بأطراف الكتاب طوافا لنفحصه في ضوء ما قاله هو عن نفسه، ولنفحصه أيضا في ضوء ما لم يقله هو عن نفسه.

لعل أول ما يطالع المتأمل في قراءة العمري بادئ ذي بدء هو تقليله من **قيمة الجدل حول البلاغة الجاحظية والأثر اليوناني**، إن لم يجعله عقيما ، معتمدا في ذلك المفاهيم القرائية خاصةمفهوم التحويل، كما قلَّل من فكرة تحكم الإعجاز في البلاغة العربية – بخلاف قراءة حمادي صمودي- بل جعله

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 29.

[2]– محمد مسالتي: ص: 255.

أي الإعجاز، عنصر إغناء من حيث توجيه السؤال البلاغي وعمق التحليل في المعتد : اللفظ أو المعنى، حسب المرجعيات [1].

وإذا نظرنا من زاوية الخطابة والبيان الخطابي نجد العمري ينطلق من فكرة مفادها أن " مشروع الجاحظ في البيان والتبيين لا يمكن أن يُفهم إلا من خلال قراءة ابن وهب له، واستئنافه لمشروعه، فابن وهب يرى أن الجاحظ لم يقدم شيئا يستحق الاعتبار في باب البيان" [2].

ولعله أراد أن يبين أن " كتاب البيان والتبيين للجاحظ يمثل انتقالا من السؤال المعرفي إلى السؤال البلاغي، فبالنظر إلى خطة البيان والتبيين للجاحظ، في حديثه عن أنواع الدلالة على المعاني، وبالنظر إلى ما فهمه قراؤه مثل ابن وهب، يسوغ لنا القول بان الجاحظ وصل إلى **بلاغة الخطاب الإقناعي**،من خلال البحث في المعرفة بصفة عامة، كيف نَفهم وكيف نُفهم؟[3].

وقد وقف العمري أمام البعد الإقناعي للبلاغة العربية في كتابه (بلاغة الخطاب الإقناعي)، وذكر أن هذا البعد كان حاضرا عند الجاحظ على وجه الخصوص، يقول محمد العمري: " تحدث الجاحظ منذ مطلع الكتاب، وقبل التصدي للتعريف ، **عن فعل البيان و أثره، ومساوئ العي وضرره**. فكشف عن مقصوده بصورة غير مباشرة، ومرجعه الدور الإقناعي للكلام وما يتصل به من عناصر إقناعية غير لغوية، كما عرض لهذا الجانب الإقناعي ضمن أخبار وأحداث داخل الكتاب " [4]. بالإضافة إلى أن الجاحظ لم يقدم ما يدل على تفريقه بين المستوى المعرفي العام للبيان والمستوى الإقناعي التداولي الخاص، بحيث أن المستوى الإقناعي الذي اعتبره العمري بلاغيا يكون مستوى من مستويات الأول الذي اعتبره العمري لغويا أو سميائيا.

وبهذا يكون- حسب تقديرنا – الفصل الذي خصصه العمري **للبيان** موجها لإبراز **البعد الحجاجي** في البلاغة العربية ، عطفا على كونه يمثل محاورة مع مجموعة من الدارسين الذين كانوا يبحثون عن مصطلحات نقد الشعر في كتاب البيان والتبيين. " بيد أننا حين نفصل بين البلاغية والإبلاغية بحدة ، ونتجه بالبلاغية نحو مفهوم **الأدبية**بالمفهوم الذي صاغه الشكلانيون اللسانيون فإن المسافة بين بيننا وبين الجاحظ ستتسع حتى يغيب عن مدى نظرنا، أما حين نترك باكوبسون وجماعة الشكلانيين عامة

---

[1]– محمد مسالتي: خطاب البلاغة: الأنساق المتصارعة وجدل التأويل، ص: 256.

[2]– محمد العمري: البلاغة العربية– أصولها وامتداداتها، ص:11.

[3]– محمد مسالتي: ص: 257.

[4]– محمد العمري: البلاغة العربية– أصولها وامتداداتها، ص: 196.

ونقترب من البلاغة الجديدة كما صاغها بيرلمان في إطار منطق القيم فإننا سنجد المفاهيم الجاحظية في قلب المخاض البلاغي "[1].

و في مسار تحليل الخطاب، يرى العمري أن " السؤال المطروح من قبل الجاحظ وابن وهب ليس هو السؤال الذي طرحه الجرجاني في الأسرار، فالسؤال عند الجرجاني هو ما الذي يجعل نصا أحسن من نص أخر؟ أما البيان عند الجاحظ فهو **الفهم والإفهام** بكل بساطة، فالسؤالان إذن مختلفان ، أي أن الاستشهاد للبيان الجاحظي بكلام الجرجاني بهمل هذا الفرق الابستمولوجي /المعرفي، وإلا فإن البحث في أدبية النص موجود كذلك في تراث أرسطو (العقلاني)، وفي تراث جميع الشعوب "[2].

و في كتابه (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) يلاحظ العمري انه قبل استقرار مصطلح **بلاغة تربع البيان** على مجال خطابي متميز ، وأنتج لائحة مصطلحية دالة على علم جديد بداية مع الجاحظ في القرن الثالث الهجري. "اهتم البيان حسب تعريف الجاحظ له بالفهم والإفهام ، وبذلك فهو يمتد، في المشروع والطموح، إلى نظرية في المعرفة (استنباطا ومعالجة وتداولا)، ويتراجع في المنجز حسب مقتضيات اللحظة التاريخية معرفة ووظيفة إلى تقنية في التأثير والإقناع. في مسلسل التحول من الطموح إلى المتاح والعملي تدرج الجاحظ من كلمة بيان إلى كلمة بلاغة، ومن كلمة بلاغة إلى كلمة خطابة، ينتقل من الواحدة إلى الأخرى وكأنما يتحدث عن الشيء نفسه"[3] وفي هذا يقدم الجاحظ " تصوره لبلاغة إقناعية قائمة على الصواب اللغوي والتوسط البلاغي في حوار مع المقام"[4].

إن فهم العمري للبيان الجاحظي انطلق من محاولته لرصد غايات الجاحظ الذي كان يسعى لتقديم " وسيلة للحوار في عصره بين الفرقاء في المجال الفكري والسياسي، الحوار من خلال الرصيد الخطابي العربي من جهة وأحوال المخاطبين من جهة أخرى،المهم: كيف يكون الخطاب ناجعا، فاعلا. مع ما يؤدي إليه هذا المسعى من مفارقة بين الجمال والمنفعة العملية الآنية "[5].

---

[1]– محمد مسالتي: ص: 257 على الهامش.

[2]– المرجه نفسه: ص: 259.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 39.

[4]– محمد العمري: البلاغة العربية– أصولها وامتداداتها، ص: 200.

[5]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 39.

ومع ذلك اقتنع العمري أن التيار العام كان لصالح الجاحظ ، ظهر ذلك في القراءات اللاحقة ابتداءًا من العسكري وانتهاءًا بابن سنان، فقد أخذا من الجاحظ – حسب العمري- اهم مكونين للخطاب الإقناعي ، وهما: المناسبة والاعتدال.

وبقي البيان في معناه المعرفي القريب من المفاهيم السميائية الحديثة خارج المسارات التي تندفع في منحدر المجرى الكبير الذي سيسمى بلاغة، إلى أن قزم هو الآخر (أي مصطلح البيان) في مفتاح العلوم للسكاكي، كما هو معلوم. ومن نافلة القول الإشارة إلى أن العسكري فضل بعد ذلك كلمة محايدة (الصناعتين) علامة على مادة مأخوذة في أغلبها من الجاحظ وابن المعتز، في حين انحاز ابن سنان ، لاعتبارات إيديولوجية ذات كساء معرفي لا يتسع لها المقام، إلى مصطلح جديد : **الفصاحة** ، معيدا جانبا كبيرا من بيان الجاحظ إلى الواجهة[1]..

إن المتأمل لقراءة العمري يلحظ أن قضية المشروع والمنجز من القضايا الأساسية التي اتكأ عليها في فحص البلاغة الجاحظية، فقد كان الطموح والدافع المذهبي يؤديان أحيانا إلى وجود اختلاف كبير بين الوعود النظرية والبناء المنجز.

نستنبط من مقاربة العمري بمفهوم البيان عند الجاحظ ، وكأن الباحث يبرهن على قضايا مشكوك فيها ، حيث ركز أحيانا على التفاصيل (مثل بيانه لأنواع الأدلة على المعاني)، مع خطاطة مجسدة تكون حجة على ما يقول (قد تم تبيان هذه الخطاطة في الفصل الثاني من هذا البحث). " وهكذا تحمل مقاربة العمري بين حناياها بعدا حجاجيا ، وكأني به يرى الجانب الحجاجي مهما في جعل الحوار بنّاء، فالعمري إذن حرص على الإمساك بمشروع الجاحظ ، وعرضه في خطوات بيداغوجية غرضها حجاجي في الواقع "[2].

ورغم أن البديع المُغذَّى بالشعر والبيان المُغذَّى بالخطابة الذي اعتبرهما العمري مهدان كبيران للبلاغة العربية، يلاحِظ أنه " إلى حدود القرن الخامس الهجري لم تكن كلمة بلاغة (باعتبارها الحاكم العام المقبل لأرض الخطاب) قد بسطت نفوذها بعدُ على الأراضي التي فتحتها أعوانها في مختلف أقاليم الخطاب: شعر، خطابة، كتابة "[3].

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 40.

[2]– محمد مسالتي: ص: 269.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 41.

حيث استمر الغموض في المجال المصطلحي إلى حدود القرن الخامس الهجري، وفي هذا الشأن يقول الجرجاني في كتاب دلائل الإعجاز: " لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة، والبلاغة، والبيان، والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها، فأجد بعضَ ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخَبيءِ ليُطلَب، وموضع الدَّفين ليُبحث عنه فيُخرَج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها، ووجدت المُعوَّل على أن هاهنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، ونسجا وتحبيرا، وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه..." [1].

ويلاحظ العمري أن الجرجاني في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) مازال يبحث عن القضية ذاتها التي عبر عنها بألفاظ مختلفة: البلاغة، والفصاحة، والبيان، والبراعة، ويرجح – العمري- أن تكون الأخيرة أي (البراعة) لفظا مرادفا عند المؤلف لكلمة (بديع). وفي تحقيق القول على هذه الألفاظ يقول الجرجاني: " من المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها.....غيرُ وصف الكلام بحسن الدِّلالة وتمامها فيما كانت له دِلالة، ثم تَبَرُّجِها في صورة هي أبهى وأزين و آنقُ وأعجبُ وأحقُّ بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب " [2].

وبرغم ترديد كلمتي بيان وفصاحة في وصف الكلام في أول الدلائل فإن الجرجاني لم يُشر إلى علاقة تراتبية بينهما وبين كلمة بلاغة التي اعتمدها في كتاب الأسرار، بل يبدو للعمري أن ترديدهما راجع " لسياق الرد على من ادعى وجودهما في اللفظ من المعتزلة وغيرهم. وهذا الأمر أكثر جلاء عند ابن سنان الخفاجي الذي جعل البلاغةَ أعم من الفصاحة" [3] .

وفي محاولة تدقيق مفهوم البلاغة في العصر الخامس الهجري ، يلاحظ العمري ان " مشروع عبد القاهر عميقًا في حفره في مجال المعاني والمقاصد على حساب الإيقاع والمقامات والقيم الثقافية(الأغراض)، وكان مشروع ابن سنان أكثر شمولية واستيعابا لمكونات الخطاب الكلاسيكي الشعري والخطابي:المكونات اللسانية وغير اللسانية " [4].

---

[1]– عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 5، 2004، ص: 34.

[2]– المرجع نفسه: ص: 43.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 43.

[4]– المرجع نفسه : ص: 44.

وبعد الفصاحة يأتي "علم الأدب" الذي يعتبر السكاكي رائدا فيه، وهاهو يقول في كتابه مفتاح العلوم: " قد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع المبالغة، ما رأيته لابد منه، وهي عدة أنواع متآخذة فأودعته علم الصرف بتمامه.....وأوردت علم النحو بتمامه ، بعلمي المعاني والبيان.....ولما كان تمام علم المعاني بعلم الحد والاستدلال، لم أر بداً من التسمح بهما. وحين كان التدريب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر.....ثنيت عنان القلم إلى إيرادهما " [1]. والعمري يرى أن هذا النص صريح في بناء الأدب على أساسين : [2]

1. الصرف بتمامه، وتمامه بعلم الاشتقاق.
2. والنحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان.

فالسكاكي في نظر العمري كان يبحث عن مكونات **علم الأدب**، " العلم الذي يصون المتحدث من الخطأ في مطابقة الكلام لقواعد اللغة أولا، ثم لأحوال ومقامات المتخاطبين ثانيا، ثم يعطيه حسنا وقبول ثالثا " [3]." إن أهمية عمله تكمن في اكتشاف منطقة تقاطع النحو والمنطق والشعر، أي في وصوله شخصيا إلى عاصمة **البلاغة**. وبذلك خرج من خطاب التنافي بين النحو والمنطق والشعر الذي تاه فيه متى بن يونس والسيرافي وغيرهما، وكان من حقه أن يقول: وجدتُها! " [4]. وقد عرَّف ، أي السكاكي، البلاغة على أنها " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها " [5] . والعمري يرجع هذا التعريف إلى تعريف علمي البيان والمعاني، فالبلاغة عند السكاكي في نظره هي المعاني والبيان.

وينتبه العمري إلى أن السكاكي يتصدى فجأة، بعد الذي تقدم من تعريف البلاغة، لتعريف الفصاحة، وإفساح المكان لها لتحل حيزا من المجال الفسيح من علم الأدب. يبدو أن السكاكي قد حاول في البداية (في المشروع) أن يتلافى مصطلحي **بلاغة** و**فصاحة** فرارا من حمولتهما الفكرية والعقدية.

---

[1]– يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1987، ص: 6.

[2]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 480.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 46.

[4]– المرجع نفسه: نفس الصفحة.

[5]– السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 415.

ويخلص العمري إلىأن : " المشروع الذي ذهب فيه السكاكي كان أشبه بعلم النص عند اللسانيين المعاصرين، لا يمكن هنا الحديث عن التطابق، ولكن يمكن اكتشاف الكثير من عناصر الالتقاء بين منحى السكاكي ومنحى علماء النص في تناولهم النص في أبعاده النحوية والأدبية والمعرفية والسوسيولوجية وغيرها... وإذا كان السكاكي قد جعل البلاغة مساوية - في آخر المطاف . لعلمي المعاني والبيان، فإن فَانْ دِيكْ صرح في بداية مقاله المذكور بأن علم النص هو الممثل العصري للبلاغة. وعلى النقيض من مسار عمل السكاكي حيث وجد ضرورة، في آخر المطاف، للالتفات إلى كلمة "فصاحة" برصيدها عند ابن سنان فإن حازم القرطاجني بدأ من مادة الفصاحة متناولا قضايا اللفظ في القسم الأول المفقود، وقد صار مبحث الفصاحة في الكتب المدرسية الحديثة مقدمة لعلوم البلاغة " [1]

ويصرح العمري في الأخير قائلا:" إننا نرى أن عمل السكاكي يدخل في دائرة **البلاغة المعضودة**، فبلاغته معضودة بالنحو والمنطق، مثلما عضدت بلاغة حازم بالأصول المنطقية والفلسفية. وقد كان السكاكي من جهته يضع ما سبق من جهود بلاغية في إطار عمل السلف، ومعنى ذلك أنه يضع نفسه على مسافة من هذا العمل " [2]. " ثم جاء المتأخرون من بعده فلم يستطيعوا أن يزيدوا عليه شيئا من أصول البلاغة، وكان قصارى جهودهم أن تناولوا كتابه بالاختصار تارة وبالشرح تارة أخرى.....ووقفت همتهم عند ما انتهى إليه هذا الإمام الجليل وقصروا جهودهم على البحث في كتبه" [3] . هذا هو المصير الذي صارت عليه إمبراطورية البلاغة العربية، بعد أن كانت في وقت من الأوقات تكتسح كل المجالات لا تكاد شمس المعرفة تغرب عن حدودها، لقد أصبحت في ضيافة النحو، وسمَّاها العمري **'البلاغة المأسورة"**، وكان جيرار جنيت قد سمى البلاغة الغربية الموازية لها "**البلاغة المختزلة**Rhétorique Restreinte".

" ولقد **أدى اختزال البلاغة العربية**، بعد عصر الجرجاني وحازم، إلىإقصاء المسارات البلاغية التي ارتبطت: 1- بنقد الشعر ونظريته ارتباطا حيا، 2- ثم بالخطابية في أبعادها المعرفية و العلامية و السُّسْيُولوجية. فغابت نظرية المحاكاة و التخييل، وغابت أسئلة التوسع في اللغة، وحلت محلها الأشكال المنطقية المجردة و الأمثلة المكرورة، والأطر النحوية الصورية. فهيمن التقسيم والتفريع على غير أساس من روح **البلاغة** وأسرارها، ومورست عملية التنسيق والتجنيس على نفس الأساس فجاءت خالية من

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 50.

[2]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 477.

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 60.

الروح "[1]. "وتجد بلاغة الاختزال التمقيمي صعوبة في استيعاب التخييل وما يترتب عنه من إبداع ويستتبعه من غموض وظيفي، كما تضيق عن أسئلة الخطابية وامتداداتها المعرفية الايطوسية و الباطوسية "[2].

فالمطلوب من دارس البلاغة العربية الخروج من إسار اختزال البلاغة العربية في صياغةِ السكاكي، وذلك بالاستماع إلى بلاغيين آخرين. لذلك لم يحسالعمري بأية غربة وهو يطَّلع على مقترحات لسانية وسميائية تسعى لتقديم نظرية عامة لتحليل الخطاب، إذ لم يكتفي وهو يرسم طريقه لبلاغة جديدة بالتراث العربي، بل وجه جهوده نحو الثقافة الغربية باستحضار البلاغة الغربية القديمة من خلال القراءة الحديثة. ويجب أن نذكر أن المحاولات الأولى لهدم البلاغة القديمة والتأسيس لبلاغة غربية جديدة بدأت مع **رولان بارت**، وجان كوهن، وكبدي فاركا، وجان مولينو، وطامين. "كتب رولان بارت سنة 1964في هامش مقال له عن **بلاغة الصورة**: ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكية بمفاهيم بنيوية (ذلك هو عمل قيد الانجاز) ، وسيكون حينئذ من الممكن وضع بلاغة عامة أو لسانية لدوال التضمين، صالحة للصوت المنطوق، والصورة والإيماءة..الخ "[3] . ويقول العمري أن بارت كان يبحث عن فستان حديث للبلاغة القديمة، وقد وصفه بزعيم المجددين . إذ بعد سنتين فقط من نداء بارت، يُصدِر **جان كوهن** كتابه المشهور في مجال قراءة البلاغة القديمة في ضوء اللسانيات البنيوية الحديثة (كتاب بنية اللغة الشعرية). " وسنوات قليلة بعد ذلك يكتب **جيرار جينيت** مقالة يتحدث فيها عن الاختزال الذي تعرضت له البلاغة القديمة، داعيا إلى إعادة النظر في موقف المحدثين من بلاغة عندها الكثير مما تساهم به في إطار الدراسة المستوعبة لأبعاد الخطاب الشعرية و الإقناعية ..الخ"[4] .

في هذا الجو صدرت كتب كثيرة تحمل العنوان القديم متضمنة الجديد، من ذلك : البلاغة العامة، وبلاغة الشعر، لجماعة مي، وإمبراطورية البلاغة (قبل ذلك) لـ ببرلمان، إلى غير ذلك من العناوين.

وينقل العمري ما قاله هنريش بليت الذي أدرج أسماء كبار السميائيين والشعريين و الإقناعيين (التداوليين) المحدثين في زمرة البلاغيين قائلا: " نلاحظ الآن كثرة مفرطة من الأعمال المرصودة للبلاغة تنظيرا و تأريخا في أوروبا والولايات المتحدة في وقت واحد...إن رواد هذه البلاغة الجديدة في فرنسا هم

---

[1]– محمد العمري:المحاضرة والمناظرة، ص: 27.

[2]– المرجع نفسه،نفس الصفحة

[3]– رولن بارت: البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، مطبعة النجاح الجديدة، 1994، ص: 5.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 182.

رولان بارت، وجيرار جينيت وكونتر و كبدي فاركا. وجماعة مي بلييج، وبيرلمان، وتودوروف. لقد استطاع هؤلاء الباحثون وباحثون آخرون كثيرون في بلاد أخرى أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا "[1].

ويقول هنريش بليت: " إن سبب هذه النهضة البلاغية يرجع، في مجال التنظير، إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية، ونظريات التواصل، والسميائيات والنقد الإيديولوجي، وكذا الشعرية اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص وتقويمها "[2]. إن المفهوم العلمي الحديث للبلاغة عند هنريش بليت هو عكس المفهوم السابق، إذ لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص، بل تحليلها.

ففي حدود اطلاعه على الثقافة الغربية،يرى العمري أن البلاغيون الغربيون انخرطوا في تجارب متفاوتة من اجل استثمار البلاغة وإعادة كتابتها، ورَصَدَها في ثلاث اتجاهات:

- توسيع المفاهيم البلاغية القديمة.
- محاولة تفسير طبيعة الصور البلاغية وكيفية اشتغالها.
- إدراج الصور البلاغية ضمن خطاطة نصية عامة.

أخيرا وليس آخرا، و من خلال تتبع تاريخ الحوار بين التخييل والتداول في البلاغتين العربية والغربية وما أفرزه من توجهات نحو التعميم والتخصيص، يخلص العمري إلى أنه تاريخ يشهد بوجود بلاغات خاصة، بقدر ما يؤكد النزوع الدائم إلى بلورة بلاغة عامة لكل الخطاب الاحتمالي التخييلي والتداولي. كما يبين كيف تتدخل النهضات العلمية في الجوار اللساني والمنطقي خاصة من أجل هيمنة بلاغات جزئية تدعي التعميم، مما دعاه جيرار جينيت البلاغات المعممة: بلاغة الشعر وبلاغة الحجاج.

ففي حوار مع التراث البلاغي الضخم من أجل إعادة صياغة نظرية حديثة للبلاغة، تَكشَّفت لدى العمري ثلاث اتجاهات. ويبدو أنه تأثرا كثيرا بالكتب التي سارت في هذا التحول البلاغي وحددت ملامح الاتجاهات الثلاث وهي :

1. التوجه الحجاجي/المنطقي:الحجاج هو البلاغة الجديدة، الحجاج من البلاغة الجديدة. هذا الاتجاه يجر البلاغة نحو المنطق عبر الجدل: كتاب مشترك بين بيرلمان واولبريشت تيتيكا بعنوان: مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique , Traité l'argumentation.

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 182 وما تليها.

[2]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، ص: 22.

2. التوجه الأسلوبي/ الأدبي: البلاغة هي الأسلوب، الاتجاه نحو بلاغة عامة. هذا الاتجاه يجر البلاغة نحو الشعر عبر الأدب: كتاب مشترك بين أفراد مجموعة مي MU بلييج بعنوان: البلاغة العامة Groupe Mu de Liege. Rhétorique générale.

3. التوجه الخطابي/السميائي: السميائيات وعلم النص. هذا الاتجاه يطمح إلى تغطية المجال التواصلي بشكل عام: كتاب البلاغة و الأسلوبية Rhétorique et Stylistique لهنريش بلييت.

وقد أثمرت مجهوداته في استكمال كتابه (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول).الذي يدخل في مرحلة بناء النموذج الحديث للبلاغة العربية.

على الصعيد التطبيقي

سعى محمد العمري جاهدا إلى التأسيس لبلاغة عامة تشمل جميع أنواع الخطابات الاحتمالية المؤثرة، فكان التأسيس لهذه البلاغة, حلمه الذي راوده أكثر من أربعين سنة، ووضع البلاغة في مكانها الأصلي هدفه الأسمى. وبعد البحث في النظريات الغربية والتراث العربي, أمسك بالخيوط وبدأ النسيج بكل أريحية. فالخيوط إن صحت العبارة تتمثل في هضمه للقديم هضما, وتشبعه من الحديث، أما النسيج الذي وصل إليه يتمثل في البلاغة العامة التي قدمها في أحسن حلة، بعد أن كافح من أجل وضعها في مكانها الأصلي.

اعتبر العمري البلاغة العامة مدخل عام يستوعب المداخل الأخرى، يُكيِّفها وتكيفه، وإلا لا تستحق صفة العمومية. وحين نقول – القول للعمري- (البلاغة العامة): " نعترف ضمنيا بلاغيا ومنطقيا بأن هناك بلاغات خاصة تتفرع منها. ثم يتفرع بعضُ تلك البلاغات عن بعض، ويتداخل بعضها مع بعض: تتفرع بلاغة السيرة الذاتية ، مثلا، عن بلاغة السرد (أو السردية)، أو تحديدا عن بلاغة الرواية "[1].فهو يرى أن البلاغات الفرعية تقوم بداخلها بلاغات جزئية، وضرب مثالا عن البلاغة الجزئية ببلاغة السخرية وبلاغة السيرة الذاتية.

إن ما اشتغل عليه العمري في الجانب التطبيقي **البلاغات الخاصة** التي تجسدت في **بلاغة السخرية الأدبية، وبلاغة السيرة الذاتية**، ويبدو أنه راعى في اختيار هذين النوعين النثريين انسجامهما مع التصور

[1]–محمد العمري:المحاضرة والمناظرة، ص: 76.

الذي انطلق منه في تحديد موضوع البلاغة باعتباره المنطقة التي يتقاطع فيها التخييل والتداول. كما اشتغل على **الاختيار** الذي يعتبر الآلية التطبيقية لإنتاج الاحتمال.

☜ **بلاغة السخرية الأدبية.**

قد تناول الباحث بلاغة السخرية الأدبية باعتبارها بلاغة جزئية تقع بشكل ملتبس بين التخييل والإقناع، حيث يتشكل الخطاب الساخر من مكونين أساسين: مكون انفعالي أو تأثيري أو مقصدي، ويتجلى في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الاستهجان أو الإحساس بالمفارقة، ومكون بنائي أو لساني أو بلاغي يتجسد من خلال المفارقة الدلالية وما يترتب عنها من غموض والتباس.ويرى الباحث انه يستحيل الحديث عن كل مكون على حدة، لأن القيمة التأثيرية للسخرية، كما تقول كيربرا أوركشيوني، واحدة من خصوصياتها الشكلية، فالتقابل الدلالي إنما يتم داخل الضرورات القيمية التي يفرضها العنصر التأثيري.

إن موضوع السخرية فيما يقرر الباحث يتنازعه اللساني التداولي والفيلسوف، ويمكن للمحلل البلاغي أن يستفيد من هذا التنازع ليحدد مفهومه الخاص للسخرية انطلاقا من العناصر المتفاعلة في إنتاج الخطاب الساخر. " فالعلاقة بين الساخر والهدف وكفاءة المتلقي الواقعي أو المفترض تلعب دورا أساسيا في تحديد القدر الذي تأخذه السخرية من هذا المكون أو ذاك" [1]. ويمكن النظر إلى هذا التفاعل من عدة زوايا: حال المخاطب، أي قدرته على تفكيك الرموز والنفاذ إلى الغرض، وحال الساخر، أي مستواه الثقافي وقدرته على بناء السخرية، والظروف المحيطة بالخطاب ، والعلاقة بين الساخر والهدف.

وتم استرجاع السخرية في المجال الأدبي، إذ يرى موري MORIER أن " كل ما يمزق الإنسان، وكل تناقضاته، ووعوده الصادقة غير الموفاة، ومثاليته المتضاربة مع سلوكه، تُكون مصدرا للسخرية: تُكون سخرية تراجيدية عندما يتعذر إصلاح الأزمة، ودعابة عندما تكون العواقب قابلة للإصلاح أو الإهمال" [2]. وأما العمري عند تأمله السخرية كآلية دفاعية ضد القهر مهما كان مصدره قال:" إنها إحدى الخصوصيات القليلة التي تميز الإنسان عن الحيوان باعتبارها تعديلا للسلوك الغريزي، فالإنسان هو وحده الذي يقلب عن وعي، الموقف المأساوي، أو موقف الشدة إلى موقف اللامبالاة " [3].

ويميز العمري ثلاث اتجاهات لإشتغال السخرية في البلاغة الحديثة:

---

[1]– محمد العمري:البلاغة الجديدة، ص: 91.

[2]– المرجع نفسه: ص: 98 وما تليها.

[3]– محمد العمري:البلاغة الجديدة، ص: 100.

1. **السخرية مفارقة:** " قول ضد المراد لغرض الهزأ، جاعلا التضاد أصلا والهزأ فصلا. فالسخرية بحسبه مفارقة ذات صبغة وجدانية" [1].

2. **السخرية استرجاع:** " يقوم الإسترجاع ، إجمالا، على اعتبار السخرية حوارا مع موقف أو رأي سابق " [2]. ويمكن تسمية السخرية الإسترجاعية " **تناصية إحالية**، يحاور فيها النص الساخر نصا سابقا، سواء أكان السابق نصا واقعيا (شفويا أو مكتوبا)، أو كان ضمنيا، أي مجرد فكرة أو اعتقاد " [3].

3. **السخرية مفارقة إسترجاعية/إحالية:** " دمج المفارقة والاسترجاع **في** صياغة عامةترصد القيم الحجاجية في الخطاب الساخر وتجعلها ميزة للمفارقة الساخرة" [4].

فالسخرية بمفهوم العمري تستوعب " كل المجال الذي تغطيه المصطلحات العربية التالية: الهزل، الاستهزاء، التهكم، الهجاء في معرض المدح، التعريض، التوجيه، القول بالموجب، أسلوب الحكيم، الاستخدام، نفي الشيء بإيجابه، الإبهام (عند بعض البلاغيين). هذا فضلا عن كلمة سخرية نفسها " [5]

وفي تاريخ الأدب العربي يعتبر" الجاحظ من الأوائل المتحرّين رشدا لفن السخرية، فقد أومأ قبل كل شيء إلى حجاجية السخرية بالمعنى الحديث، ثم كشف عن التّحفة السنيّة لأسلوب السخرية" [6].

إن سعة أفق الجاحظ بفن السخرية وتحكمه في دواليبها الحيوية ، دفع العمري إلى الوقوف مطولا على السخرية لديه.

تفحص الباحث بلاغة السخرية الجاحظية كما تجسدت في كتاب "البخلاء"، فنظر فيها من حيث **الآليات والرؤية**، ليستخلص من ذلك أن بلاغة السخرية عند الجاحظ تقوم على ثلاث **آليات** متداخلة ومتفاعلة:

- **الالتباس:** آلية تقوم عليها السخرية الأدبية في كتاب البخلاء." إن بخلاء الجاحظ ليسوا من الفقراء والمساكين الذين يثيرون الشفقة، ولا هم من البسطاء قليلي المعرفة الذين يلزمون الراوي بمستوى

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 104.

[2]– المرجع نفسه، ص: 105.

[3]– المرجع نفسه، ص: 106.

[4]– المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[5]– المرجع نفسه، ص: 109.

[6]– نجيم ساته وآخرون:السخرية وفق مشروع محمد العمري – دراسة تحليلية نقدية، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، المجلد 2، العدد الأول، جانفي 2021، ص: 416.

حجاجي متدنٍّ، بل هم في مستوى عال من المعرفة والقدرة الحجاجية،ولكن الخلل يكمن في موطن أخر، في سيطرة الهوى على العقل. وهذا هو مصدر الالتباس بالنسبة لبعض القراء الذين ينظرون إلى سعة معرفة البخيل وتنوع مصادر احتجاجه " [1]. فكيف يكون هذا الإنسان بخيلا وهو ذو معرفة واسعة ومصادره في الاحتجاج متنوعة؟.

▪ **الذهول:**"وهو أحد المبادئ الكبرى في تفسير السخرية، وأحد أهم تقنيات جلب الضحك، وقد عبر عنه أحيانا بالغفلة" [2]. ويعني الذهول أن المسخور منه شخص يقع في ذهول عن المقام فيخفق في توجيه الحجة لا في استجلابها. " إن الأمر يتعلق بحجج وحيل وفوائد تتصف بالطرافة واللطف والندرة، منطلقها المفارقة التي يبديها البخيل الذي يريد البعيد الغابر، ويعمي عن القريب الظاهر مندفعا وراء شهواته " [3]

.

▪ **التوريط**: ويعني أن الخطاب الساخر غير الخطاب الإخباري الذي يحرص على مطابقة الخطاب للواقعة حتى لا يتهم بالكذب والمبالغة، وغير الخطاب الوعظي الذي يتصدى للعيوب ويسعى إلى تقويم الاعوجاج. فالخطاب الساخر يسعف الاعوجاج ويصفق له ويمدّه بالوسائل التي تجعله أكثر اعوجاجا، حتى يكشف نفسه بنفسه. " هذه إحدى أهم الاستراتيجيات في سخرية الجاحظ، إنه يعطي الكلمة للمسخور منه، ولا يفتأ يحرك له رأسه بالموافقة ليستمر في بسط الحجج التي تكشف منطقه الخاص المستمد من هواه وذهوله عن الواقع، بجلب الحجة من غير موضعها وتقديمها في غير مناسبتها. وقد يتدخل الجاحظ مباشرة ليمد المسخور منه بالحجج والبراهين (المناسبة) للبناء حسب منطقه مادًّا في حبله " [4].

أما من حيث **الرؤية** التي حكمت السخرية الجاحظية، فقد بين العمري أن الجاحظ كان يسخر من الأسئلة الزائفة في عصره التي تحركها الشعوبية والبداوة والسياسة. " لقد حاول الجاحظ، في إطار فلسفة وسطية، التنبيه إلى تشعب الحقيقة وإمكانية النظر من زوايا مختلفة ردا على اتجاهات كانت متصادمة يدعي كل طرف منها احتكار الحقيقة. كانت هذه المسألة سياسية في أساسها، ثم أخذت أبعادا

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 120.

[2]–المرجع نفسه، ص: 123.

[3]-المرجع نفسه، ص: 126.

[4]– المرجع نفسه، ص: 131.

فكرية. ومارسها الجاحظ كرياضة فكرية وفنية هادفة من خلال مصادمة القيم والأفكار في صور عدة "[1].

إن اختيار محمد العمري السخرية الجاحظية كنموذج تطبيقي للدراسة يرجع إلى عدم اهتمام المبدعين والنقاد في العصر الحديث بموضوع السخرية، وتوصل من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي: [2]

- تمكن محمد العمري من تأصيل السخرية في الموروث العربي ولا أدل على ذلك من الآليات المستحكمة التي افردها للسخرية الجاحظية.
- رغم تعرض محمد العمري للسخرية بالطرح النقدي الجدي والهادف، إلا أن دراسته لم تبتغ بلورة السخرية كفن قائد بذاته، بل توختها كآليات مفعّلة للحجاج والتداول، بمعنى لم تحظ السخرية بعناية في ذاتها منها ومن أجلها إليها، وهذا ما جعل السخرية أمدا طويلا أرض بدون مالك.
- حصر محمد العمري دراسته للسخرية بين التخييل والإقناع، وقد ظل الملمحان على قدر كبير من التعتيم، فليس في مبحثه عن السخرية ما يشير إلى معالم التخيل والإقناع أو يوضح حدودهما من الدراسة.
- لقي مصطلح السخرية رواجا منقطع النظير كونه مطواعا، ورديف المصدر الصناعي الحامل للدلالة العلمية ، لذا لم يشهد مصطلح السخرية فوضى مصطلحية أثناء مقابلته للمصطلح الأجنبي : ironie/ irony.

☜ **بلاغة السيرة الذاتية: تقاطع الواقع والخيال**

يقول محمد عابد الجابري: "عندما نتحدث عن الفكر العربي، أو أي فكر، ونحن نعني منتجات هذا الفكر، فإننا نقصد أساسا مجموعة من النصوص. والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب. فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام، أي عبر الإشارات الصوتية.....الكاتب يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب، والقارئ يتلقي هذه الفكرة أو الوجهة من النظر كما يستخلصها هو من النص وبالطريقة التي يختارها (بفعل العادة أو بوعي وإرادة)، وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له "[3].

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 137 وما تليها.

[2]– نجيم ساته وآخرون: السخرية وفق مشروع محمد العمري، ص: 428.

[3]– محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر– دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 5 ، 1994، ص: 10.

وكتب محمد العمري سيرته الذاتية في رأينا بجعلها نص يتصل عبره مع القارئ، فحول سيرته الذاتية إلى نص، والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب كما ذكرنا.

وهاهو يجيب عن تساؤلات عن كتابة سيرته الذاتية.لماذا نكتبُ سيرةً ذاتية؟ هل الكتابةُ مجردُ تأبين لزمن ننفصلُ عنه؟ هل نكتبُ لننسى ما وقعَ فعلاً لصالح روايتنا الخاصة، وصياغتنا المتميزة؟ هل نكتبُ لنَصدمَ الآخرين مبرزين أمام العالم ما نختلف معهم فيه؟

" الحقيقة أننا نكتبُ لأسبابٍ مُباشرةٍ عديدة، يمكن الحديثُ عنها بالنسبة لكل سيرة على حِدَه. ولكنَّنا نكتبُ خلْفَ ذلك لسبب بعيد يحكُم كلَّ تلك الأسباب القريبة، هو السببُ نفسُه الكامنُ وراءَ القراءة، هو لذةُ المعرفة. وما سوى ذلك هَذَرٌ. نقرأ لكي نَعرِف، ونكتبُ لنَعرف ونُعرِّف.

نقرأ لمعرفة ما عندَ الآخرين، ونكتبُ لمعرفة ما عِندنا. وحين نعرفُ ما عندنا ونجدُه مختلفاً عما عند الآخرين، أو نتوهمُ ذلك لقوة ما نرغبُ فيه، وقتَها تتكون لدينا رغبةٌ في الوشاية بأنفسنا. ننتقل لمستوى العَجَبِ، مستوى الفُرجة. فحيناً نقول: أُنظروا ما ضاع منّا، أو من أين جئنا، كم تخطينا من حواجز! وَأخرى نقول: أُنظروا ما فُعِل بنا! إلى آخر الاحتمالات، حسَب الأوضاع والاستراتيجيات. ولكن لا سيرة بدون عَجَب. السيرةُ اختيارٌ واختزال، تذكُّر ونسيان.

القراءة فُرجة على الآخرين، والكتابة الذاتية استدعاءٌ للمشاركة في فرجةِ المرء على نفسه ظالما أو مظلوما.

ثم أليست الكتابةُ، بعدَ القراءة، مطاولةً وملاونةً، أي استعراضَ قاماتٍ وألوانٍ؟ ألا يتحدثُ الجميعُ عن التجديد والتفرد؟

ثم أليس مُؤدَّى ذلك كلِّه التميُّزُ، أي الانفصال؟

إذن نحن نقرأ ونكتب لنتصل وننفصل. وكل قراءة أو كتابة لا بتعاقب فيها الاتصال والانفصال بشكل عجيب، أو مُعجِب، جثةٌ هامدةٌ جاهزة للدفن.

والكتابة بهذا المعنى "بحثٌ" لا علاقة له بالنسخ والتوثيق، ولا بالثرثرة وطول اللسان"[1].

تنبثق بلاغة السيرة الذاتية في تصور الباحث من النقطة التي يتقاطع فيها التخييل (الوجدان) والتداول (الخبر) مما يشي بأن السيرة الذاتية جنس سردي يجمع بين الواقع والمفترض. وهو ما يجعلها

[1]– موقع محمد العمري: البحث العلمي، زمن الطلبة والعسكر، http://www.medelomari.net/entree.htm.

تنطوي على عناصر شعرية ترتبط بالإدهاش والتعجيب على نحو ما تنطوي على عناصر الخبر الواقعي الصادق. ولخص مجال السيرة ، في الخطاطة التالية [1] :

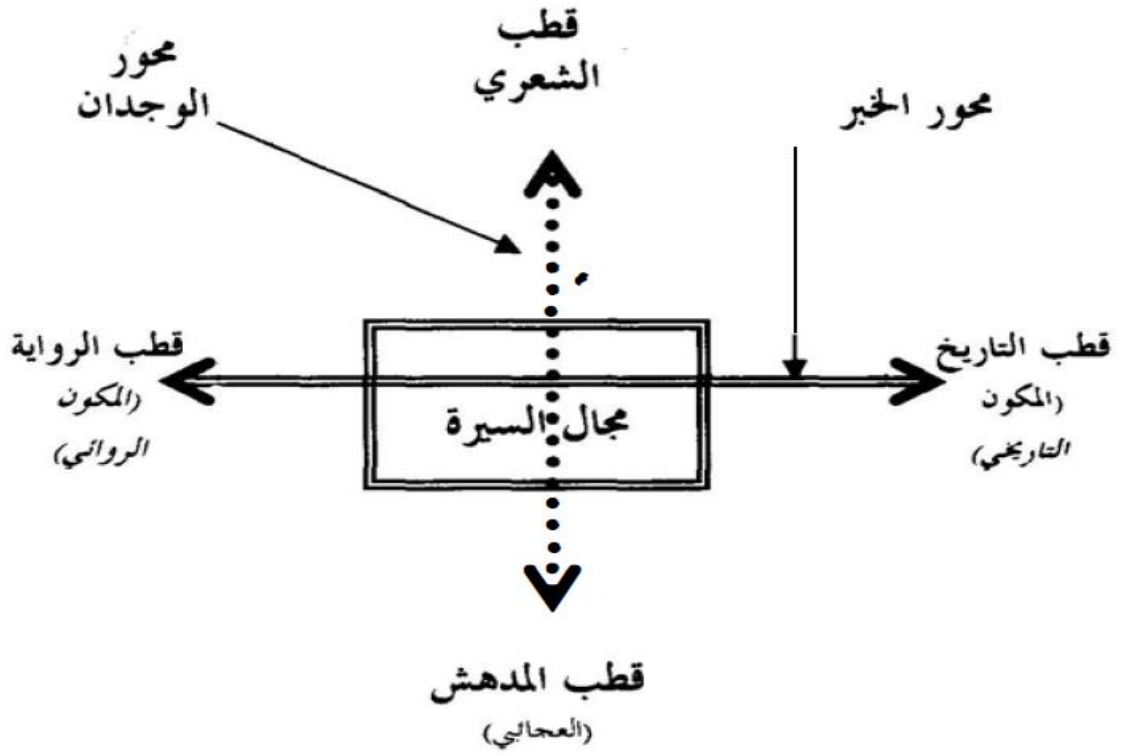

يقول العمري: "لا بد في كل سيرة ذاتية من اطمئنان المتلقي ولو عبر مؤشرات حاسمة إلى وجود سند من الواقع ولا بد من وجود دهشة إزاء ذلك الواقع. ولهذه الدهشة امتداد وجداني نوعي بين الانشراح والانقباض، وكمي بين القوة والضعف "[2]

إن السيرة الذاتية تتأرجح بين التخييل الروائي والتصديق التاريخي، أي أنها واقعةفي مركز التقاطع بين قطبي الإمتاع والإقناع. وتجمع السيرة الذاتية بين الواقع والمفترض ملونة المفترض بدهشة السؤال: هكذا وقع، فكيف أمكن أن يقع على هذا الشكل؟. ومن ثم يدعو العمري دارس السيرة الذاتية أن يأخذ العناصر المذكورة بعين الاعتبار. وهذا يعطي " إمكانية نسبة السيرة الذاتية إلى واحد من هذه المداخل: سيرة روائية، سيرة شعرية، سيرة فكرية (أو تأملية)، ولما لا أيضا سيرة مدهشة أو عجيبة " [3].

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 142.

[2]– المرجع نفسه، ص: 145.

[3]–محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 147.

وتقترب السيرة الذاتية أحيانا من التاريخ في خطية تحول التدخل التخييلي إلى الهامش، كم وقع في: حفريات في الذاكرة لمحمد عابد الجابري [1]. وتمتد السيرة الذاتية أحيانا نحو قطب التخييل الروائي حتى لا تعدو نسبتها إلى السيرة الذاتية الافتراض والرجم بالغيب .....كما هو حال المجرى الثابت لـ إدمون عمران المليح.....ومنها لعبة النسيان لمحمد برادة [2].

إن بلاغة السيرة الذاتية لا تُحَقَق في تصور العمري إلا إذا زاوجت بين التخييل (الصياغة الشعرية) والتداول (التوظيف الفكري).السيرة الذاتية، تجمع الواقعي والخيالي في ربقة واحدة، غير أن الخيالي هنا لايعني اختلاق وقائع أو معطيات غير موجودة أو أحداث غير واقعة، بل يعني الاختيار والتنظيم.

و يقول محمد العمري : " نجاح السيرة الذاتية يتوقف على ما تنطوي عليه من "غرابة"، وما تحويه من "عجيب" مُعجب. والغرابة تتعلق بالأحداث كما تتعلق بالصياغة. وكمالُها في تعانقهما وتكاملهما. ومن الأكيد أنه كلما علا شأن صاحب السيرة اجتماعياً أو أدبياً كلما زاد الاهتمام بسيرته " [3].

لقد اشتغل العمري في مجال السيرة الذاتية على جزأين، الجزء الأول تجسدت في: كتاب "أشواق درعية –العودة إلى الحارة"، والجزء الثاني تجسد في كتاب" زمن الطلبة والعسكر" .

- **أشواق درعية- العودة إلى الحارة**

بداية نطرح التساؤل التالي: هل يمكن أن تتحول السيرة الذاتية إلى عمل سينمائي؟ يجيب محمد العمري على هذا التساؤل قائلا: " أن السيرة الذاتية تختلف عن العمل السينمائي ....على أن السيرة يمكن أن تكتسب أهمية إضافية إن توفرت لها عناصر التحويل إلى عمل سينمائي وثائقي/إبداعي، وهذا سيكون ممكنا حين تتعدد النصوص التي تتخذ المنطقة فضاء للكتابة ".

ومن هنا عمل العمري في سيرته الأولى على " أشواق درعية- العودة إلى الحارة "، سيرة يجتزئها مع الآخرين الذين تألفوا واختلفوا معه، سيرة تصب في منوال الطفولة والأمومة والحارة والبنوة..وغيرها.

وفيما سيأتي يحيل على طبيعة ماجاء في سيرته هذه: [4]

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 145.

[2]–المرجع نفسه، ص: 146.

[3]– حوار مطول مع محمد العمري،رحلة بحث عن بلاغة عربية حديثة، مستجدات، http://www.medelomari.net/entree.htm.

[4]– موقع محمد العمري، مستجدات، سحر الأمكنة في أشواق درعية، مستجدات، http://www.medelomari.net/entree.htm.

أشواق درعية العودة إلى الحارة سيرة أمكنة في المقام الأول، فالعودة تتضمن المكان، والأشواق تستدعي الأحضان. تمتد أمكنة الطفولة في منعطف الاستقلال عبر قصبات ساحرة وقصور مفعمة بحركة الإنسان والحيوان في تناغم وانسجام. من قصبة أيت بنشهاب حيث رأيت النور بقرية الحارة، وهي إحدى أجمل القصبات التي فقدتها المنطقة بعد أن تلاطمت عند جدرانها مياه بحيرة سد المنصور الذهبي. ومن قصور الحارة امتدت رحلة الحياة نحو قصور كلاوة وأصهارهم في ورزازات وسكورة وتاليوين. هذا العالم السحري حيث الأبراج الجميلة التشكيل والزخرفة من الخارج والمقصورات والدهاليز الرطبة في عز الصيف، المعتدلة الهواء في عز الشتاء من الداخل. عالم الحريم والمحجبات وعالم الطغاة من حكام كلاوة يقتحمه طلبة العلم من أبناء الشعب مع مجيء الاستقلال بعد أن سُخِّرَ آباؤهم في بنائه تحت سياط حكام كلاوة. ذلك ما أسميته الحكمة الخفية في تحويل قصور كلاوة إلى مدارس دينية. ثم يتلاشى حماس الاستقلال، ويتم الانقلاب تسعين درجة على إرادة جمعية علماء سوس مدعومة بإرادة محمد الخامس فتتحول قصبة دار أيت الشعير بسكورة من فرع للمعهد الإسلامي (معهد محمد الخامس حاليا) بتارودانت إلى معتقل سري من جملة معتقلات شوه بها النظام المخزني الكريه وجه المنطقة.

عندما انتقلت، في عملية ذهاب وإياب، إلى "خيمة" من الخشب والقصدير بمدينة المحمدية قرب مانسمان، في نهاية الخمسينات، أدركت مدى تشكيل هذا العمران لنفسية أهله، لقد أحسست وأنا داخل الخيمة وكأني جالس على الرصيف أو متلحف بورقة توت. لا يشبه ذلك إلا الانتقال من مشاهد النساء الملتحفات العاطلات من أي زينة بين نخيل درعة إلى مشاهد النساء الحاليات العاريات المتمددات على طول شاطئ مانسمان، تخيل أنت مدى الهزة في كيان الإنسان.

الحارة التي أحدثك عنها اسم علم، مثلها مثل الكتاب لسيبويه. قد لا تبدو في الخارطة أكثر من نقطة صغير على الضفة الشمالية لوادي درعة ولكنها في واقعها الحي، في وقتها، مترامية الأطراف؛ كانت تحكم خُمْسَ هسكورة. الحارة قريبة في لغتها وذهنية أصحابها من مراكش إن لم يكن هو منها. هي بنت درعة، ودرعة معمل تحويل للبشر من سودان وعرب وأمازيغ، ومراكش أشبه بالدكان داخل المعمل، تباع فيه السلع بدوم رسوم.

وحين امتدت الغربة في الروح والجسد تحولت الحارة لتسع رقعة الوطن، وتلابست بالأم فكانت العودة لطفل مكتهل. ولذلك فلدرعه أحكي.

ويبدو أن العمري عاد بذاكرته الممتدة من الطفولة إلى مرحلة الشباب فالكهول. " وعملية إعادةالإنتاج التي تقوم بها الذاكرة لا يمكن أن يتم النظر إليها من خلال نقل الواقع بصورة آلية من الماضي إلى الحاضر، وإنما هي عملية نقل من الواقع القابع في الماضي بما يمثله الماضي من تجارب ووقائع وأحداث إلى تجربة نصية يضمها كتاب. بمعنى الانتقال من حال الذاكرة الخام الذي يمكن لها أن تظل محتفظة بالذكريات دون البوح بها،و وتبقى مجرد أمور شخصية تدخل في إطار المسكوت عنه إلى حالة النص المشاع للآخرين أن يطلعوا عليه ويقدموا حكمهم الذي يمثل إعادةإنتاج وقراءة له " [1].

وقد لجا العمري إلى الخيال ليجعله جزءا من الذاكرة، بمعنى تحويل الخيال إلى واقع عاشه في فترة زمنية سابقة أو أراد أن يعيشه بشكل من الأشكال، بجعل التداخل المكاني والزماني مدخلا لعنصر التخييل الذي يعيد تشكيل الواقع بصورة ثانية تماما. ويمكن أن نختم قراءتنا لسيرة العمري في النص السابق بما قاله رولان بارت:"إنه في عمق كل نص وإن كان تصميم القراءة فيه جيدا، يوجد أو يبقى شيءلا يقرأ "[2].

- **زمن الطلبة والعسكر**

(زمن الطلبة والعسكر) سيرة ذاتية ثانية بعد سيرته الأولى (أشواق درعية. العودة إلى الحارة)، وهي تشي بشهادة رصينة وواثقة عن تحولات مغرب الستينات وما بعدها بكل توتراته السياسية واعتمالاته السوسيوثقافية والفكرية...

وفيما سيأتي يحيل على طبيعة الجزء الثاني من سيرته "زمن الطلبة والعسكر" : [3]

صدر عن مركز محمد بن سعيد أيت إيدر بالدار البيضاء (2012) كتاب بعنوان: زمن الطلبة والعسكر. وهو سيرة ذاتية للباحث والكاتب المغربي محمد العمري. تسجل هذه السيرة مسار الأحداث السياسية في المغرب ابتداء من أواخر ستينيات القرن الماضي. من قلب الصراع في الحرم الجامعي بين الجبهة الماركسية الناشئة وبين الأحزاب الوطنية، إلى الانقلابيين العسكريين، حيث يصف السارد لحظة اللقاء بين الطلبة والعسكر في الرباط: الطلبة في مؤتمرهم الخامس عشر يتجادلون في مدرج كلية العلوم

---

[1]– عصام العسل: فن كتابة السيرة الذاتية– مقاربات في المنهج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ص: 119 وما تليها.

[2]– المرجع نفسه، ص: 120.

[3]– موقع محمد العمري، البحث العلمي، زمن الطلبة والعسكر، http://www.medelomari.net/entree.htm.

الملاصقة للقصر الملكي حول الخيار المناسب للتخلص من النظام: هل هو العمل السري المسلح، أم العمل التنظيمي الجاهيري؟ والعسكر في الجهة الأخرى من السور يقنبلون القصر الملكي بعد أن طاردوا طائرة الملك في أجواء الشمال.

ومن المؤتمر الخامس عشر الذي استرجع المؤلف أجواءه من خلال مذكرات حية يأخذ السارد طريقة نحو السجن المدني بالدار البيضاء عبر مسار من النضال في صفوف الطبقة العاملة (النقابة الوطنية للتعليم)، يحكي تفاصيل حية عن الظروف الممهدة لإضراب 1969، في لحظات حية بين مخافر الشرطة والسجن والمحكمة. وبعد الخروج من السجن استمر التوقيف عن العمل واستمرت معاناة المطرودين ليكونوا من جملة وقود أحداث 1981 بالدار البيضاء.

كما تصور الرواية الصراع في أحضان الجامعة، بعد التحاق السارد بها أوائلَ الثمانينيات، بين المحافظين والحداثيين ذلك الصراع الذي أفشل محاولة الإصلاح الأولى سنة 1983. هذا الفصل عنونه الكاتب بالمغارة، استعارة لشعبة اللغة العربية. وتتحدث السيرة عن رفقة "القلم" التي أنتجت تجربة علمية ثقافية متميزة تمحورت حول مجلتي دراسات أدبية ولسانية، ودراسات سيميائية. وتنتهي بفصل قصير بعنوان: رعشة في فضاء الموت، وهو تصوير حي مؤثر لتجربة إنسانية.

قدم محمد العمري سيرته الذاتية بمقدمة نقدية تأملية بعنوان: لماذا نكتب سيرة ذاتية؟ جاء فيها: تحكي هذه السيرة كيف عَبرتْ ذاتٌ حاضرةٌ وغائبة، مؤمنةٌ ومرتابة، جماعية ومفردة، هذه المسالكَ الوعرة الشائكة قادمة إليها من الهامش. إنها إحدى الروايات عن حياة جيلِ ملتقى العقدين السادس والسابع من القرن الماضي: جيل الخيبة والمغامرة والانكسار. رواية حمراء تشتاق إلى روايات بألوان أخرى

إن الكتاب قابل للتوسع من أي نقطة. بل الفصل الأول والثاني قابلان للتحول إلى سيناريو مسلسل أو فيلم مطول.

على الصعيد المنهـــجي

منهج الاختيار

الخطاب باعتباره مقول الكاتب – أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء- هو بناء من الأفكار (إذ تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيرا استدلاليا).....في كل بناء لابد من استعمال مواد (مفاهيم) ولابد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى يصبح بناء يشدّ بعضُه بعضاً(الاستدلال، أو المحاكمة

العقلية). وسواء تعلق الأمر بالمواد أو بطريقة البناء ، فلابد من **اختيار** أشياء وإهمال أخرى، لابد من إبراز جوانب والسكوت عن جوانب، ولابد من تقديم وتأخير، ولابد من تضخيم وبتر..الخ [1].

الاختيار هو " حذف بعض المعلومات وإبقاء البعض الأخر، مع مراعاة وضوح العلاقة بين المحذوف والمتروك. فهي مجموعة من الأقوال مثل : أ- اتجه أحمد إلى سيارته ، ب- استقلها ، ج- ذهب بها إلى الإسكندرية . نجد أنه طبقا لقاعدة الاختيار يمكن أن نحذف الجملتين الأولى والثانية، إذ أنه طبقا لشروط القول نجدهما فرضين مكملين أو نتيجتين لقول آخر غير محذوف وهو (ج)، إذ أنه يترتب على معلوماتنا عن الانتقال أنه كي نسافر بسيارة ينبغي أن نتوجه إليها أولا ونستقلها " [2] .

وينقل محمد العمري عن محمد اليعقوبي EL Yagoubi bouderraoui Mohamed من أطروحته للدكتوراه (Recherches sur les anthologiques classique de la pésie antéislamique) بجامعة باريس ": إن المؤلف لا يستحق اسم اختيار إلا إذا ضم قطعا من الشعر مستخرجة من كمية كبيرة، وتكون القيمة الجمالية المختارة مخالفة للمتروك، فدور المتخير أن يأخذ الجيد ويترك الباقي جانيا" [3]. أي أن الاختيار هو " عمل الذات المتخيرة في تفاعلها مع النصوص" [4]. وهذا هو المفهوم الذي تبناه العمري في إبراز الأسس البلاغية للاختيار.

وانطلاقا من تعريف محمد العمري للبلاغة: " العلم الذي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر تخييلا أو تداولا ، أو هما معا، وقولنا (تخييلا أو تداولا)، صيغة أخرى لقولنا بمناسبة قراءة التراث: (مناسبة أو إغرابا) أو هما معا، فكلمة(أو) هذه – إن كنا بحاجة إلى بيان – تفصِّل مجملا : هو **الاختيار** " [5] . فإنه يرى أن الخطاب البلاغي خطابا احتماليا، وإن كان ذلك كذلك فان **الاختيار** هو الآليةالتطبيقية العامة لإنتاج خاصية الاحتمال.

---

[1]– محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ص: 10 وما تليها.

[2]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1992، ص: 239.

[3]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 69.

[4]–المرجع نفسه، ص: 70.

[5]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 77.

تلتقي البلاغات الخاصة، كلها، وعلى اختلاف أسمائها في عنصرين متلازمين (تلازم الأكسجين الهيدروجين في تركيب الماء)، وهما الاحتمال والتأثير [1]. يمتد الاحتمال حسب العمري، من أقصى درجات التخييل، حيث يلتبس العقل بالجنون، إلى أقصى درجات التصديق، حيث يلتبس الحجاج بالبرهان.

فالعلاقة بين قطب التخييل وقطب التداول هي العلاقة بين حلقات سلسلة يربطها الادعاء: ادعاء الكذب مع احتمال الصدق، وادعاء الصدق مع احتمال الكذب [2]. وقد اعتبر العمري **الاختيار** هو الآلية التطبيقية العامة التي تنجز وتنتج الاحتمال. " يختار المتخيل /المخيلُ من اللغة (النحو و المعجم..الخ) والمنطق والتشكيل والموسيقى، ومن المعرفة الماضية والحاضرة مواد تلائم الحالة الوجدانية التي يجد حاجة للتعبير عنها، ويختار منها المتداول المحاجج طلبا للتصديق ما يناسب مقامه التداولي بأطرافه المختلفة التي يجمعها مصطلح (مستمع) على وزن مجتمع " [3] .ويرى ياكوبصون أن الشاعر " يختار لائحة من الألفاظ /المعاني من المعجم فيوقعها على مواقع نحوية يختارها من التركيب " [4].

وأجمل العمري صور الوعي بالاختيار في البلاغة العربية والغربية، في استعمال محللي النصوص للفظ الاختيار أو ما يدل على معناه. وتفريقهم للتراكيب النحوية القابلة للتغيير وغير القابلة لذلك، باعتبار أن القابلة للتغيير بلاغية، والبلاغية قابلة للاختيار. وفي اعتبار **الاختيار** عند **إيزر** أساسًا بلاغيا لجمالية التلقي النصية. وفي استعمال ألفاظ التحسين والإبداع والتجويد ، والحديث عن الجمال والأسلوب، حيث أن تلك الألفاظ تدل على الكمال، والكمال اختيار.

و الاختيار البلاغي عند العمري لا يهمه النموذج التاريخي بقدر ما يهمه البحث عن القيم الخالدة ، فنية ومضمونية. " يمكن فهم ما وقع في الماضي بالنظر إلى طريقة تعاملنا في العقود الأخيرة مع التراث الغربي، برغم كل الفوارق الظرفية: فمنا السلفي الذي يصر على إعادة النموذج والمحافظة عليه، واستخراج كل الأجوبة الآنية منه، ومنا المثاقف الذي يحاور التراث ويتخير معطياته الكونية الصالحة للتداول العالمي، فضلا عمن لا يرى جدوى من الاشتغال بالقديم العربي أصلا. كما يمكن الاستئناس بواقع

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 76.

[2]– المرجع نفسه، ص: 86.

[3]– المرجع نفسه. ص:86.

[4]– المرجع نفسه، ص: 88.

الثقافة العربية في بعض لحظاتها حيث انقسم العلماء إلى أهل رواية وأهل دراية، أي إلى مسنسخين (وهم ورثة المعنعنين) ومتخيرين (أي مجتهدين في الملاءمة بين النصوص والواقع) " [1].

وحين ننظر في عمق رائدي **منهج الاختيار** (الجاحظ وأبو تمام) وفلسفتهما نلاحظ خلاف ما يعتقده المبسطون من القدماء والمحدثين، أنهما يلتقيان في الوسطية، وهي فلسفة منظرة عند **الجاحظ** بالاستناد إلى الطبيعة والعقل والشرع، انطلاقا من مرجعية اعتزالية في المنزلة بين المنزلتين والعدل. أما عند **تمام** فتترجم في صور تفاعلية أو تفعيلية بين الشكل والمضمون من جهة، وبين المكونات الشعرية المختلفة من جهة ثانية [2].

فاختيار أبي تمام في أعماله يرجعه العمري إلى ثلاثة عناصر: [3]

1. البناء الفني البلاغي الذي يصل قمته في صور السخرية.
2. العمق الفكري في تأمل الكون والإنسان وما ينتاب الوجود من مفارقات.
3. القيم الأخلاقية والمزايا البشرية مثل الكرم والشجاعة.

ولعب الاختيار دورا كبيرا في تأسيس النقد الأدبي العربي، إذ اعتبر العمري عمل أبي تمام إستراتيجية عامة لحركة ثقافية تجديدية هي حركة التأليف بالاختيار، والتي كان لها الدور الكبير في توجيه الذوق الأدبي. وهذا هو الإطار المناسب لتفسير منهج الجاحظ في تأليف كتاب البيان والتبيين، وتفسير لطريقة تأليف عبد الله بن المعتز كتاب البديع.

إن **الاختيار** حسب **العمري** " كان تمثيلا لثقافة إنسانية تقوم على المثاقفة و تبادل التأثير ، ثقافة تفاعل، فيها الإسلامي و اليوناني وغير الإسلامي و اليوناني، من تراث الفرس والهنود وغيرهم....هي الثقافة نفسها التي عبر عنها الجاحظ في رصده الأنساق السميائية والطبائع الإنسانية ومظاهر التعبير الكوني" [4].

ومن هنا أدرك العمري أن كتب الاختيار كانت المحرك الأول لطرح الأسئلة الجوهرية في النقد العربي، الأسئلة التي تصدت البلاغة لمناقشتها.

---

[1]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 70 وما تليها.

[2]– المرجع نفسه، ص: 73.

[3]–المرجع نفسه.نفس الصفحة.

[4]– المرجع نفسه، ص: 81 وما يليها.

وضرب مثال عملي للاختيار ، وذلك عند كتابة الجزء الثاني من سيرته الذاتية ، زمن الطلبة والعسكر. هذا هو الكتاب الثاني الذي لم يتجاوز فيه المصححون تصويب الأخطاء المطبعية، على أساس اعتبار روايته اختيار من بين اختيارات. يقول محمد العمري: " الذين تفاعلوا مع زمن الطلبة والعسكر وأخبروني أنهم قرؤوها دفعة واحدة كانوا يملكون ذلك المعيار الذي خرجت عنه دون أن ألغيه. ولو وقفت مع أحدهم عند لحظة واحدة منه لأعطاك من خبر تلك اللحظة مثل حجم كتاب "[1].

فقد أثار (زمن الطلبة والعسكر) من ردود فعل القراء ما لم يُثِره كتاب آخر من كتبه. تجلى ذلك في تعاليق كتابية وفي أحاديث تلفونية، كل هؤلاء المعلقين قرؤوا الكتاب دفعة واحدة في أجل قصير: من يوم إلى ثلاثة أيام. و أحد أسباب الإصرار على قراءة الكتاب دفعة واحدة ليس احتواءه على عقدة يحث القارئ الخُطا نحو فك لغزها، بل هو توالي الصور القصيرة التي لا تترك القارئ يسهو نتيجة إحساسه بالتكرار. وتأثر العمري كثيرا بالاتصال المطول من المرحوم الأستاذ أحمد صبري، رحمه الله، الذي ختم اتصاله بالقول: " الكلام طويل، شكرا، شكرا، لقد كتبت سيرتنا جميعا "[2] . ورد العمري : نعم الكلام طويل، يكفي اختيار ما يفتح أبوابه ويدل عليه . " إن القراء لا يطلون على الزمن الواقع ، بل على تفاعل الذات المنشئة معه، على اختيار خاص منه. والمنشئ يكتشف، بشيء من الشعور بالفقد، أن تفاصيل الوقائع التي يختار منها تنمحي، ولا يبقى منها غير الصورة التي صاغها. البلاغة اختيار، البلاغة تحرير، البلاغة استشفاء وتطهير، البلاغة حرب على الاضطرار "[3].

☜ المنهج السميائـــي

الحق أن مصطلح **السميائية** الذي كثيرا ما يقابله ، دون تدقيق، المصطلحان الغربيان (Sémiologie ,Semiology)و (Sémiotique,Sémiotics)،(وهما آتيان من الأصل الإغريقي المركب Semiotike)، هو من بلورة شارل بيرس (Charles Sanders Peirce ,1839- 1914)، فهو الذي كان يعدها بمثابة العلم الكلي للسمات الذي يشمل كل السمات، وهي غير السمات اللسانياتية[4].

و تبنت الحداثة المنهج السميائي ألألسني في نقد النص الحديثي

---

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 48.

[2]– المرجع نفسه، على الهامش.

[3]– المرجع نفسه، ص: 49.

[4]– عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2010، ص: 158.

. والسميائية هي علم الإشارات ، أو علم الدلالات ، وتتحدد العلامة بعلاقة الدال بالمدلول [1] . يمكن أن تقسم هذه العلامات إلى : لسانية (ألفاظ) أو لغة بشرية، وغير لسانية، وتشمل أنظمة السمياء غير اللفظية جميعها، وهناك من يقسمها إلى : سميَّة، ومسيَّة، وإيمائيَّة، أو إشارية، و سمعيَّة، وأيقونية [2].

فالسميائيات علم يُعنى بدراسة العلامات التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس. ويمكن التمييز بين ثلاثة فروع لها، الأول: التركيب، أي دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات، وهذا الفرع تهيمن عليه البنيوية. والثاني: الدلالة، أي دراسات العلامات بالأشياء. والثالث: التداولية، التي تعني دراسة علاقة العلامات بمؤوليها. والسميائية منهج يركز داخل النص ، وكثير من مبادئها مستمدة من المنهج البنيوي اللساني، مثل: البنية، والمستوى السطحي، والمستوى العميق، والنسق وغيرها. ومن عيوب السميائية أنها تبحث عن المعنى عن طريق بنية الاختلاف، ولغة الشكل، والبنى الدَّالة، إلى جانب خلخلتها صرامة الاعتقاد النحوي القديم، في أن العلاقة بين الدّال والمدلول علاقة توقيف بتدبير ميتافيزيقي [3].

واعتبر صلاح فضل: " أن مصطلح الخطاب وشبكة العلامات الماثلة فيه ومرجعياته المختلفة في إطار جنسها الأدبي وتقاليدها المرعية تُعد نتيجة من نتائج البحوث السميولوجية، وتوظيفها اعتمادا على مفاهيم التداولية في الإجراءات التحليلية النقدية الجديدة " [4].

ونظرا للتشتت والبعثرة المهيمنة على الدرس البلاغي في الجامعة المغربية والعربية، حيث تعيش البلاغة والأسلوبية و سميائيات النص الأدبي وتحليل النصوص..الخ كجزر متباعدة لا تربط بينها قنطرة ولا حتى نفق ضيق، وبعد ترجمته لكتاب البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سميائي لتحليل النص)،سار **محمد العمري** نحو صياغة حديثة مركزة ودالة انطلاقا من البلاغة العربية بكل مكوناتها ومنجزاتها، صياغة تضاهي صياغة هنريش بليت أو تتجاوزها، فاقترح نموذج جديد بمسمى **نموذج أسلوبي جديد (التحليل السميائي)**قائما على أسلوبية الانزياح،" جامعا بين الأسلوبية والسميائيات في تركيب واحد كما فعل ميشال ريفاتير M.Rifaterre من قبل. وإنما جمع بينهما لاشتغاله على أسلوبية الانزياح والأثر الانفعالي للفعل التداولي. من حيث هو مدخل نصي يسري على النحو والتركيب من خلال الصور السميو-تركيبية ، رصدا للعلاقة بين الدلائل، ويسري على التواصل من خلال الصور التداولية رصدا لعلاقة الدليل

---

[1]– نماء البنّا: النقد الحديثي بين المحدِّثين والحداثيين، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 26، العدد 101، 1442 هـ/2021 م، ص: 207.

[2]– المرجع نفسه.نفس الصفحة.

[3]– المرجع نفسه،ص:207.

[4]– صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 131.

بالمرسل، كما يسري على الواقع من خلال الصور السميو-دلالية ، رصدا لعلاقة الدليل بالواقع. وفي هذه النمذجة التشكيلية عمل بمرتكزات الدرس الأسلوبي، وتعيين للمداخل النصية بما يقبل القياس والملاحظة. وقد عرض عطفا على السابق نموذجا يجمع بين الفنولوجيا و المورفولوجيا[1]، والتركيب والدلالة والخطية والنصية بوصفها جميعا صورا قابلة للانزياح جماليا، والقياس تحليلا، مما يولد وحدات لسانية ثانوية، وكلها مداخل تسمح بالتحليل والقراءة والتأويل "[2].

يعمل هذا النموذج بطريقة تسمح بإجراء كل عملية لسانية مما ذكر في كل مستوى لساني لتوليد وحدات لسانية ثانوية(هي الصور البلاغية) [3]. ويمكن توضيح هذا النموذج التوليدي للصور البلاغية بواسطة رسم تتكون خطوطه من العمليات والمستويات اللسانية معا في الجدول التالي :[4]

I ـ العمليات اللسانية / II ـ المستويات اللسانية	التي تخرق القواعد				التي تقوي القواعد
	1) الزيادة	2) النقص	3) التعويض	4) التبديل	5) التعادل
1 ـ الصوتية 2 ـ المرفولوجية 3 ـ التركيبية 4 ـ الدلالية 5 ـ الخطوطية 6 ـ النصانية					

[1]– ففي المستوى **المورفولوجي** نتبين، من بين ما نبين، الاستعارة الاسمية والفعلية، والنعتية والظرفية.(البلاغة والأسلوبية، ص 86). أما **الفنولوجيا** تضم صورا صوتية وصورا نغمية، وذلك حسب توزيع الفونيمات إلى وحدات تقطيعية (مصوتات وصوامت)، وفوق تقطيعية أو نغمية (البلاغة والأسلوبية، ص 70)، ولكي يكون هذا النموذج جامعا للعناصر الإقناعية يرجح العمري تقسيم المادة الصوتية الإيقاعية إلى ثلاثة أقسام (كما ذكرها في كتابه: تحليل الخطاب الشعري– البنية الصوتية في الشعر، 1990، ص 11) كالأتي: 1. الوزن العروضي: وهو ذو طبيعة تجريدية 2. الأداء: ويضم كل صور تجليات الانجاز الشفوي أو التأويل الشفوي للنص 3. الموازنات: وتضم كل صور تكرار الصوامت والصوائت مستقلة أو ضمن كلمات.

[2]– أحمد مداس: قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018، ص: 99.

[3]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، ص: 68.

[4]– المرجع نفسه، ص: 69.

وتعمل أنماط العمليات اللسانية حينئذ كأنماط تحويلية، إنها تحول المعيار اللساني الأولي (النحوية) ، في بعض المواقع من النص، إلى معيار ثانوي (البلاغة) [1].

إن النموذج المقترح يشكل طريقة للكشف قائمة على نحو ثان يولد على قاعدة سميو تركيبية جميع صور الانزياح اللساني الممكنة ، ويضعها بذلك رهن إشارة الإنتاج والتحليل النصي. وهي توليدية بالمعنى السميائي لكون هذا النموذج لا يساهم في إلغاء الحشو المصطلحي الذي تنطوي عليه البلاغة والأسلوبية المدرسيتان، أو في توضيح جوانبه فحسب، بل يعدو ذلك إلى كشف الفراغات المصطلحية التي قد تكون في حاجة إلى تسمية [2].

يحاول هذا النموذج تطوير النتائج التي توصل إليها منظرون محدثون مثل ج.ن ليش ، وتودوروف،ومجموعة ليبج، بل تحسينها وتصحيحها إذا اقتضى الحال.

☜ **منهج علم النص والبلاغة الجديدة**

يرى الأديب والناقد الجزائري عبد المالك مرتاض " أن حقيقة النقد المعاصر تتمثل في ذلك التناغم المنسجم الذي يزاوج بين النظرية والتطبيق حتى يمكنه الارتقاء إلى درجة الإبداع، فإن لم يرق إلى هذه المنزلة فهو مجرد شرح مدرسي عقيم " [3].

وإذا كان النقد السياقي يفصل بين نشاطين نقديين التنظير والتطبيق، فإن النقد المعاصر، وخاصة التحليل النصي، فانه يزاوج بين النظرية والممارسة، بغية الوصول إلى تأسيس علم النص [4]. وفي هذا الشأن عوَّض فان ديك السؤال الذي اعتبره ساذجا: ما النص؟ بسؤال آخر: كيف يمكننا أن نحلل النص؟ ، حيث جعل " تحديد خصوصيات النصوص هو الذي يمثل مهمة علم النص" [5].

ممارسة النص ، والتي تقابل إجرائيا "علم النص" هي شكل من أشكال التحليل...وبهذا يتضح أن التحليل النصي هو الخطوات الإجرائية التي نتبعها قصد وصف ودراسة موضوع أدبي معين [6]. لقد تبلورت ممارسة النص في سياق المناهج الحديثة التي اهتمت بالنص الأدبي في حدود الانطولوجية، معتمدة على

---

[1]– هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، ص: 68.

[2]– المرجع نفسه، ص: 68 وما تليها.

[3]– حسين خمري: نظرية النص– من بنية المعنى إلى سميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص: 364.

[4]–المرجع نفسه.نفس الصفحة.

[5]– محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص: 48.

[6]– حسين خمري: نظرية النص– من بنية المعنى إلى سميائية الدال، ص: 363 وما تليها.

الإنجازات التي تمت في حقل اللسانيات والسميائيات ، وما وفره المنهج البنيوي من أدوات ومفاهيم وما فتحه من إمكانيات للتحليل.

إن القراءة الشاملة للبلاغة العربية القديمة في امتداديها النصي والتداولي تدعم الرغبة التي عبر عنها الدارسون المحدثون من مواقع متعددة لسانية (تداولية)، وفلسفية (منطقية)، وأدبية (شعرية) في بناء علم عام للخطاب، وتعطيها مشروعية تاريخية ومنهاجية.

إن رغبة محمد العمري في البحث عن بلاغة عامة للخطاب مَكَّنته من الاطلاع على مقترحات لسانية وسميائية تسعى لتقديم نظرية عامة لتحليل الخطاب، وزاد اهتمامه بذلك من خلال سعيه للتعريف بها من خلال ترجمة نموذجين من أنضج النماذج في هذا الصدد، هما: البلاغة والأسلوبية، لهنريش بليت، والنص بنياته ووظائفه، لفان ديك.

إن اهتمام العمري بعلم النص كمنهج لتحليل النصوص وتحديد خصوصياتها (كما قال عنه فان ديك)، جعلته يتجه في دراسته البلاغية إلى تحليل نصوص نثرية ملتبسة، قديمة وحديثة، وذلك في محاولة لكشف تداخل المكونات البلاغية (التخييلية والحجاجية) في بنيتها. ويظهر ذلك في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، حيث تقف البلاغة العربية منذ أول الكتاب موقف المحاور الكفء، مقدمة الحجة على إمكان قيام بلاغة عامة للخطاب الاحتمالي تخييلا وحجاجا. كما سعى في هذا الكتاب إلى ترميم بعض الجوانب التي تأخر فيها التنظير البلاغي العربي عن الإنتاج النصي، ويتجلى هذا بشكل قوي في محاولة تقديم نموذج لبلاغة السخرية الأدبية، مع تطبيق على أشهر نص في تاريخ السخرية العربية، أي كتاب البخلاء للجاحظ(وقد تم التطرق إلى ذلك في الجانب التطبيقي). كما يتجلى من خلال البحث عن بلاغة للخطاب بدل بلاغة الجملة، وذلك من خلال بسطه لعملية التحويل الأسطوري للاستعارة. فهذا المبحث تطوير لمفهوم الجرجاني لـ"البناء على التشبيه والمجاز" في كتاب أسرار البلاغة. وسنحاول الوقوف فيما يأتي عند هذه الأخيرة **(التحويل الحكائي الاستعارة)** ولو بشكل موجز.

يقول العمري " الاستعارة مفهوم كبير يتوسع حتى يضم كل صور التعويض، ويضيق حتى لا يتجاوز صور التعويض المبني على المشابهة. أما أن تكون الحكمة والعبرة مكونا بلاغيا للحكي بعضا أو كلا في التراث العربي أو غيره ، فشيء لا أستوعبه" [1] .

من الكشوفات البلاغية التي أنتجت في سياق الخصومات النقدية ولم يُتح لها أن تُطور مفهوم **البناء**، أي **البناء على الصور** الجزئية البسيطة. كالبناء على التشبيه، والبناء على المجاز، عند عبد القادر

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 234.

الجرجاني [1]. حيث تحدث عبد القادر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة عن: " إبتداع العلل وقلبها في إطار عملية تناسي التشبيه والمجاز لبناء صور جديدة مركبة وكثيرة الوسائط تطلب من الذهن القيام بمجموعة من التأويلات " [2]. " والبناء على الصورة هو أحد الأبعاد التطبيقية الناتجة عن ربط فعالية التحويل الدلالي (أو العدول) بـ النظم النحوي، في إطار الصياغة النهائية لنظرية عبد القادر الجرجاني....وهذا الإجراء يفترض توسيع مفهوم النظم من المستوى اللساني الجملي إلى المستوى الخطاب النصي "[3]. وأرجع العمري عدم تطور هذا المفهوم ،مفهوم البناء على الصور، إلى: " انحسار حركة نقد الشعر بعد عصر الموازنة والوساطة ، وعدم توفر الغطاء الفلسفي لقيام بلاغة جديدة" [4] .

على الرغم من أن البلاغة القديمة قد عدَّت **الاستعارة** مجرد حلية تزينية وزائدة للخطاب والفكر، فإن العلوم الحديثة، بل والبلاغة الحديثة قد فتحت عيونها على واقع عنيد يمتنع عن تسليم مفاتيحه لحل ألغازه بدون الاستعانة **بالاستعارة**[5]. عرَّف عبد القادر الجرجاني **الاستعارة**: " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفضح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدا " [6].

وبناءا على ذلك حاول العمري تطويرمفهوم الجرجاني لـ"البناء على التشبيه والمجاز" من خلال استكشاف المجال الإستعاري، وها هو يقول: " إذا جاز اعتبار الاستعارة أُسطورة صغيرة، فإن تحويلها حكائيا سيعطينا أسطورة في أسطورة ، وبذلك نخرج من مستوى الجملة إلى مستوى النص " [7]. انطلق العمري من نصين، الأول حكاية ظهور الخمر، والثاني حكاية الشاعر الذي أعطيَ مدَّ شعير جائزة له على ما أنشد من شعر. مبينا في تحليل النصين التلبيس الحكائي للاستعارة.

وخلص إلى أن هناك " علاقة كامنة، ولكنها أكيدة، بين كل حكاية الصور وبين الإدراك الأسطوري. هناك تفسير لدهشة أو إعادة إنجاز لخطوات معروفة صناعيا بصورة عفوية في إطار الطبيعة، أي قياس

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 183 وما تليها.

[2]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 379..

[3]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 184.

[4]–المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[5]– بول ريكو: الاستعارة الحية، ترجمة د.محمد الولي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، ص: 15.

[6]– محمد براهيم شادي: شرح دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط 2، 2013، ص:123.

[7]–محمد العمري، البلاغة الجديدة، ص 184..

الغائب على الشاهد، أي إنتاج الماضي من الحاضر(أو قياس الماضي على الحاضر). وفي هذه الحدود يمكن اعتبار الحكاية نوعا من التمرين البيداغوجي كما هو الشأن في حي بن يقظان. ثم تأتي المفارقة الأسطورية من مخادعة النفس بجعل الماضي حجة للحاضر فرارا من العكس " [1]. " والشعر يستعمل الاستعارة في أفق أسطوري" [2]. لذلك قال العمري بان الأسطورة استعارة محولة. هذا مدار فاعلية حكاية الاستعارة.

لقد حاول العمري تطوير الفكر الإستعاري من داخل العلاقات البلاغية لمفهوم الاستعارة، حيث وضع نمطا من التفكير يشير إلى محاولة توسيع مفهوم الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني، فيما أسماه البناء والصورة. وحاول أن يؤسس عن طريق الكلمة لبلاغة النص بالاستعارة المنطق، أو الاستعارة الجامعة. ومن خلال مجموعة من الجمل. والتحويل الحكائي للاستعارة في تحليل العمري ليست هي الحالة الوحيدة للبحث عن بلاغة نصية. فهو يطمح لتكاثف الجهود لكشف الحالات الأخرى الجديرة بتوسيع الدائرة.

تطلعات البلاغة العربية وانفتاح آفاقها (بين الوظيفة التخييلية والوظيفة التداولية)

لقد صارت البلاغة اليوم منطقة مشتركة بين العلوم، تصدِّر مفاهيمها إلى المجالات الأخرى، ذلك أن لا علم يستطيع الاستغناء عن البلاغة باعتبارها أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة.بالإضافة إلى التشعب الذي تتميز به البلاغة ومفاهيمها. ولقد ترتب على التداخل بين البلاغة والعلوم الأخرى أن اتسعت مساحة الدرس البلاغي، وكثرة الاهتمام المفرط بالبلاغة تنظيرا وتأريخا في أوروبا والولايات المتحدة في وقت واحد. " فنظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطاب في التأثير في الرأي العام الوطني والدولي وتوجيهه بادرت الولايات المتحدة منذ عقود إلى إعادة الاعتبار إلى هذه البلاغة بتحويلها من مادة ملحقة بتعليم الانجليزية إلى مادة مستقلة في شعبة خاصة بفن التواصل وخطاب الإقناع، ومنذ سنوات كان يعمل فيها، حسب بيرلمان، أكثر من خمسة ألاف أستاذ وألفوا في هذه المادة ألاف الكتب، كما أنشئت هناك مجلة بعنوان فلسفة وبلاغة، يشرف عليها فلاسفة وبلاغيون" [3] . و أشار محمد العمري إلى أن أكثر من باحث غربي رأى أن البلاغة القديمة قريبة من مجال اهتمامه، " فتودوروف (وديكرو بالتضامن) يرى أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، ويصرح بيرلمان ومن معه بأن الوجهة الصحيحة لحجاج فعال وناجع

[1]– محمد العمري، البلاغة الجديدة، ص: 199.

[2]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 47.

[3]–محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 14.

في البيئة الديمقراطية الحديثة هي وجهة بلاغة أرسطو، كما يصرح رائد علم النص فان ديك ، أن علم النص هو الممثل العصري للبلاغة. وتجاوز جان كوهن فتوى المشروعية فوضع يده على الميراث البلاغي مباشرة فسجله وحفظه تحت اسم اللغة الشعرية في كتابه: بنية اللغة الشعرية " [1]. " هكذا إذن تطل البلاغة القديمة على الدارسين المحدثين كلما حاولوا تدقيق البحث وتنسيقه في مجالي التداول الخطابي والتخييل الشعري ، بالمفهوم العام للشعر. ومن هنا بدأ السؤال يطرح حول إمكانية قيام بلاغة عامة تستوعب المجالين" [2]. ويعد العمري من الذين أسهموا في إماطة اللثام عن جوهر البلاغة ، إذ يراها منطقة يتنازعها قطبان، قطب تخييلي يقوم على الشعرية، وقطب تداولي يقوم على الخطابية.

والأثر التخييلي للشعر ينتج- كما يرى لوتمان - عن التردد أو الصراع في وعي القارئ بين نظامين للاتصال، النظام الإشاري العادي، والنظام الشعري الإيحائي [3].

وعلى العموم يرى محمد العمري أن كلمة بلاغة العربية تتردد حاليا في الثقافة الغربية بين ثلاثة مفاهيم، مفهوم أرسطي خصصها لمجال الإقناع وآلياته، ومفهوم أدبي جعلها بحثا في صور الأسلوب وأما المفهوم الثالث هو " المفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا، أي يستوعب المفهومين الأوليين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع" [4]. ولا يستبعد العمري أن يفقد هذا المفهوم الثالث طابعه النسقي في إطار الجمع بين البعدين **التخييلي والتداولي** كما فعلت المناهج الجديدة السميائيات و وعلم النص.

وفي إطار ذلك ذهب العمري إلى بيان مدى الإنتاجية الإضافية المترتبة عن الجمع، والعنصر الجوهري الذي يجمعهما باعتبار أن علم التخييل والتداول خطابين يتجهان نحو قطبين متباعدين.

إن التخييل والتداول – كما يرى العمري- يلتقيان في أنهما خطابان قائمان على الاحتمال ، الاحتمال توهيما أو ترجيحا، التوهيم في التخييل والترجيح في التداول الحجاجي [5]. لذلك ذهب إلى تعريف البلاغة بأنها " علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال " [6]، مع اهتمامه المركز على كلمتي **الاحتمال والأثر**.

---

[1]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 66.

[2]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 69

[3]– مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ص: 28.

[4]–محمد العمري:البلاغة الجديدة، ص: 12.

[5]–محمد العمري:البلاغة الجديدة، ص: 15.

[6]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 71.

الخطاب الاحتمالي، كما قال ريكور ، هو الخطاب الذي يمتد بين الاعتباط (أو الهذر) في أسفل السلم والاستدلال البرهاني في أعلاه، الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن **التصديقو التخييل.** فإذا أبحنا – القول للعمري- لأنفسنا ، في إطار التراث نفسه، أن نقايض مؤقتا لفظ التخييل بلفظ الكذب، كما استعمله القدماء في مجال النقد الأدبي (في قولهم : أعذب الشعر أكذبه)، وهو ما يعبر عنه ب**الكذب الفني**، فيمكن أن نقول بأن الخطاب التداولي (الخطابي) صدق يحتمل الكذب، والخطاب التخييلي (الشعري) كذب يحتمل الصدق، على أن نستحضر لفظ **الادعاء**في الحالتين: ادعاء الصدق فيما يحتمل الكذب، وادعاء الكذب فيما يحتمل الصدق، فالاحتمال وليد الادعاء [1].

ومن هنا فإن الخطابين التداولي /الحجاجي والتخييلي/الشعري خطابان احتماليان، وبذلك يكونان موضوعين للبلاغة. وفي هذا الإطار يرى **ميشيل مايير** أن بناء بلاغة كلية يتطلب الخروج من المقابلة القضوية بين الوجود واللاوجود التي بنى عليها تفريق أرسطو بين الشعرية والخطابية، حيث الشعر لاوجود يحتمل الوجود ، والخطابة وجود يحتمل اللاوجود [2].

لقد توجهت جهود بعض الباحثين إلى المنطقة المشتركة بين الخطابية/التداولي والشعرية/التخييلي قصد توسيعها. واعتمدت عملية التوسيع التقريب بين قطبي الاحتمال (الصدق والكذب)، " من خلال فحص طبيعة الآليات الجوهرية الخاصة بكل منهما ، أو المعتبرة كذلك وهي الصور figures والحجج argument، حيث صار من الشائع الحديث عن بلاغة الصورة وبلاغة الحجاج " [3] . وفي هذا النطاق يدخل جهد بعض الباحثين في بيان شعرية الحجة وحجية الصور. مثل مقال اولفيي روبول Olivier Reboul بعنوان الصورة والحجة La figure et L'argument ، وهو مقال يكشف مدى الطموح الذي يحذو البلاغة الجديدة لاسترجاع أطرافها المفقودة ، والتقريب بين مكونيها . لقد تبنى **محمد العمري** وجهة نظر **اوليفي روبول** حول البلاغة التي استوعبت التخييل والإقناع، ودعمها بالاتجاه الحديث للبلاغة العربية نحو علم الخطاب، " الذي يقتضي استغلال المنطقة الواسعة التي تتقاطع فيها الشعرية والخطابية لإنتاج علم يقف ندًّا لعلم الطبيعة والرياضيات، علم الاحتمال" [4]،فالشعرية تلتقي مع الخطابية في كونها هي الأخرى تعالج إنتاجا لنصوص نواتها الاحتمال. وأغمض العمري عينيه على الرأي المعارض لـ أوليفي روبول في مناقشة

---

[1]– المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[2]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 21.

[3]– المرجع نفسه، ص: 22.

[4]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 293.

قضية الاحتمال لقيام بلاغة عامة ، وهي وجهة نظر **بول ريكور** الذي نفى قيام علم يستوعب الخطابية والشعرية معا.

ومن المعلوم أن أرسطو كان قد فرق بين عمل الشاعر وعمل المؤرخ من زاوية الواقع والاحتمال، فالمؤرخ يتحدث عن ما وقع، أما الشاعر فيتحدث فيما يحتمل وقوعه، وهو ينظر هنا إلى الشعر الحكائي (التراجيديا والكوميديا أساسا)، وكان حازم في أعقاب الفارابي وابن سينا قد ضبط منطقة التداخل والتخارج بين الشعر والخطابة باعتبارهما طرفين في تكوين مفهوم البلاغة باعتبارهما علما كليا [1].

واستشهد العمري مراراً بوجهة نظر حازم في تقاطع الخطابي والشعري (التصديق والتخييل) الذي تحدث عنه بجلاء ووضوح اكبر في كتابه منهاج البلغاء، فحازم يرى- من وجهة نظر العمري- أن " الشعر مبني على التخييل، وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي ضمن هيمنة العنصر الذاتي. وعكس ذلك حال الخطابة التي تنبني على العناصر الإقناعية وتدخل العناصر التخييلية في خدمتها" [2]. حيث قال عن الخطابة والشعر: " وكان لكلتيهما أن تخيّل وان تقنع في شيء، شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني، وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده ، وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو طلبه أو اعتقاده، أو التخلي عن واحد، واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يُخيل لها أو يوقع في غالب ظنها أنه خير أو شر بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنها خيرات أو شرور" [3] .

وهذا النص ينقلنا إلى الجوهر الثاني للخطاب وهو **التأثير.يقول العمري:** " الخطاب الذي تتناوله البلاغة هو كل خطاب يقتضي أثرا وتفاعلا بين مخاطبين فعليين(قائمين) أو مفترضين (متوقعين) درجات من التوقع، قد تقترب من الصفر. وهذا الأثر لا يعدو أن يكون طلبا للتصديق (أو التسليم بدعوى أو أطروحة) أو طلبا للتخييل والتوهيم. ومعنى ذلك استيعاب الخطاب التداولي الحجاجي كلِّه: من الإشهار إلى المناظرات، وكل أشكال الحوار والمناقشات، من جهة، وكل صور التعبير والتخييل الأدبي بالمعنى الحصري للأدبية، بما فيها الشعر والسرد وما تفرع عنهما، أو بني عليهما" [4].

---

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 72.

[2]– محمد العمري: البلاغة الجديدة، ص: 57.

[3]– أبي الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1986، ص: 20.

[4]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 73.

إن فكرة التأثير تستوعب مفهوم الإقناع باعتباره شحنة منطقية يحاول بها المخاطب حمل مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته، ثم إنها تشمل معنى الإمتاع باعتباره سعيا حثيثا نحو جعل الكلام قناة تعبره المواصفات التعاطفية ، فينطفئ عندئذ الجدل المنطقي العقلاني في الخطاب، وتحل محله الارتياح الوجداني وتستقطب أخيرا فكرة الإثارة بموجبها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرك في المتقبل نوازع وردود فعل ما كان لها أن تستقر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية [1].

وبهذا يلفت العمري انتباهنا إلى النسق العام الذي تقف عنده البلاغة، وهو نسق مشترك بين بلاغة التخييل و بلاغة التداول. " لذلك يمتد التخييل في التصديق، ويمتد التصديق في التخييل، والتصديق يستدعي محذوفا يقتضيه السياق، وهو طلب، طلب التصديق: الخطيب يطلب انخراطنا في دعواه، أي يطلب أن نصدقه. كما أن الشاعر يطلب أن نعتبر كلامه مجرد خيال، كلام غواية، كما جاء في القران الكريم (والشعراء يتبعهم الغاوون) "[2]. وقد نشر مقالة في مجلة فكر ونقد (العدد 25، 1999) بعنوان البلاغة العامة والبلاغات المعممة، محاولا رفع اللبس عن موقع الخطاب التداولي الإقناعي الذي جعله الوجه الأول للبلاغة، ووجهها الثاني التخييل. قال: " البلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخييلية من شعر وسرد وغيرها، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي، من ضفاف المنطق إلى ضفاف التخييل، فبلاغة الخطاب الإقناعي تقابل بلاغة الخطاب التخييلي وتتداخل معها " [3].

فالوصل بين الخطابية والشعرية من خلال النسق أمر لا مناص منه ، و النسق المشترك الذي يتكلم عنه العمري هو الاحتمال، الشعر (التخييل) كذب يحتمل الصدق، والخطابة (التصديق) صدق يحتمل الكذب. وداخل هذا المشترك تنتج منظومات مصطلحية، خاصة بكل جنس من الخطاب الاحتمالي، وذلك ضروري لقيام بلاغة عامة. وقد تطرقنا إلى ذلك تحت عنوان **العدة المصطلحية** في الفصل الثالث.

وهاهو يجني ثمار سنوات طويلة من استكشاف التراث العربي في ضوء الدراسات البلاغية الحديثة في مشاربها المتعددة: الشعرية والمنطقية واللسانية، ليجدد سؤال ويجيب عنه، سؤال تنظيري، فيه غبطة الاكتشاف، وفيه تحدٍ لواقع الدارسين في هذا المجال، ما هي البلاغة؟. " البلاغة إنشاء هي الخطاب الاحتمالي المؤثر ، المنجز عن طريق الاختيار مناسبة أو إغرابا، لغرض خلق فسحة في ذهن الإنسان(

---

[1]– بن يمينة رشيد و بلكحل العالية: الخطاب الاحتمالي بين التخييل والتداول، مجلة فصل الخطاب، المجلد 7، العدد 2، 2018، ص: 43.

[2]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 76.

[3]– محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 6.

تخيل)، وفسحة بينه وبين الآخرين (تداول) إفرادا وتركيبا (تخيل وتداول)، والمنشئ بليغ، والبلاغة درجات. البلاغة وصفا العلم الذي يتناول الإنشاء حسب القواعد المعرفية "[1].

الوعي النقدي ومدى الالتفاف حول مدرسته البلاغية

انه ليروق لي أن أبدأ في هذا المبحث بما قاله ميخائيل نعيمة: " عليكم أن تحلّوا الرموز. وعليكم أن تقرأو بين السطور. فويل لكاتب لا يقرأ الناس بين سطوره سطوراً. وويل لقارئ لا يقرأ من الكلام إلا حروفه" [2]. إن القدامى كانوا يميزون الجيد من الدراهم و رديئها. وقدامة بن جعفر كان يميز بين جيد الشعر من رديئه ، وهذا ما أطلق عليه في عنوان كتابه **نقد الشعر**، "وقد صرَّح فيه بأن النقد تمييز جيد الشعر من رديئه، ومضى العلماء بعده باتخاذ النقد في عنوانات مؤلفاتهم" [3].

ولما كان الشعر عملية إنشائية، " والعملية الإنشائية عملية اختيار من بين إمكانيات عديدة، لذلك يقال بأن الشاعر هو أول ناقد لعمله" [4]. يقول محمد العمري أن : عمليات الاختيار من الرصيد الشعري حسب معايير بلاغية كامنة هي عمليات تبرز الخصوصيات البنائية للنصوص[5] . والوعي بالخصوصية هو البلاغة ، وتمييز الجيد من الرديء عن طريق ذلك الوعي هو النقد [6] ".

الوعي بالخصوصية هو السياق الذي يحاول فيه العمري ردم الهوة بين البلاغة والنقد، فليس النقد- حسب نظره- هو الذي يعطي البلاغة الكفاية النظرية . لذلك فالتداخل بين البلاغة والنقد هي القضية التي دافع عنها بخطوات تنظيرية وتطبيقية وتاريخية أدبية. وهو في ذلك لا يريد أن يسلب البلاغة متاعها بل يضيف اليها خاصة حين يدفع في اتجاه الحجاج والخطاب التداولي، " فبهذا البعد تتجاوز البلاغة حدود النقد الأدبي" [7]. فسياق عمله يعالج من موقعين : " هناك موقع قراءة القراءة، أي تقديم تصور الآخرين، وهناك موقع التصور الخاص أو المشروع المعتمد المراد الوصول إليه عبر خطوات" [8].

---

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 89.

[2]– ميخائيل نعيمة: الغربال، نوفل، بيروت، لبنان، ط 15، 1991، ص: 106.

[3]– محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد، ص: 47 وما تليها.

[4]– محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 46.

[5]–المرجع نفسه، ص: 45.

[6]– المرجع نفسه، ص: 43.

[7]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 229.

[8]–المرجع نفسه، ص: 230.

إن البلاغة العربية تتجه إلى احتلال البلاغة للرقعة الأدبية كما وقع مع الشكلانية الروسية والشكلانية الجديدة، والبلاغة السميائية ، ولكن العمري يرى أنا العائق لاحتلال البلاغة لكل الرقعة هو المجال الثقافي الذي يعمل فيه، فهو يتساءل متعجبا: من يصدقني حين أجعل البلاغة علما كليا يستوعب النقد الأدبي؟ ! المشكل كما يقال ، في عناد الديك الذي يصر على اعتبار الآخر حبة عدس [1] .

واستبعاد كتابه البلاغة العربية من جائزة المغرب من مظاهر ذلك العائق. يقول العمري: " لقد بلغني، وتأكدت مما بلغني، أن كتاب البلاغة العربية لم يجد موقعا في لجان جائزة المغرب، حيث ظلت تتقاذفه لجنة النقد والدراسات الأدبية و لجنة العلوم الإنسانية. لقد أقصي منذ البداية من مجال الدرس الأدبي والإنساني من طرف أناس يعرفون ما هو النقد دون أن يسمعوا عن البلاغة أكثر مما سمعوه عن علم الفرائض ، ونواقض الوضوء. وشاء الله أن يكذِّب حدسهم ، ويقود الكتاب المُبعد، أعمالي الشعرية و الحجاجية نحو جائزة الملك فيصل العالمية. وكان موضوع المنافسة: خدمة البلاغة العربية. لقد فُهم، في نهاية المطاف، أني أبني بلاغة عربية " [2].

ومن هنا نرى : إن عملية الخوض في ميدان القراءات النقدية تتطلب التحصن بقلاع من المعرفة والدراية الفكرية، كونها تمثل نسيجا من الثقافات التي تعمل على جعل فرصة الصراع قائمة، مما يعني ذلك اختلاف في الرؤي والمفاهيم [3].

وإذا لم يكن للناقد من فضل سوى فضل رد الأمور إلى مصادرها وتسميتها بأسمائها لكان ذاك ثوابا. إلا أن فضل الناقد لا ينحصر في التمحيص والتثمين والترتيب. فهو مبدع ومولّد ومرشد مثلما هو ممحّص ومثمّن ومرتّب [4] .

☜ **نقد محمد العمري للآخر.**

إن المهام التي أسندت إلى محمد العمري في تحكيم دراسات ومقالات لصالح عدد من المجلات العلمية المحكمة، وتحكيم ملفات الترقيات في الرتب الجامعية، جعله يدرك الانفصام بين ثمار جهوده

---

[1]– محمد العمري: أسئلة البلاغة، ص: 231.

[2]–المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[3]– سامي شهاب أحمد: ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2012، ص: 191.

[4]– ميخائيل نعيمة: الغربال، ص: 18.

المبذولة لتجديد البلاغة العربية وواقع الدرس البلاغي. فالإعمال المحكمة – حسب نظره- كانت تشوبها تشوهات وعيوب أجملها في النقاط التالية:[1]

- استعمال مصطلحات نسقية حديثة دون معرفة بمجالها وحدودها، ووصل الأمر إلى إسقاط مفهوم البلاغة المختزلة على البلاغة العامة واعتبارهما شيئا واحد.

- اختلال البناء الحجاجي وهيمنة التناقض بين الجمل والمباحث.

- انعدام التخصص والجدة في المراجع المستعملة، حيث يسير عنوان البحث في اتجاه والمراجع في اتجاه آخر لا يفي بالمطلوب.

- ويصل الأمر أقصى درجات الاختلال فيضرب الأساس الابستمولوجي للبلاغة (وهو الاحتمال المنجز بالاختيار مناسبة أو إعرابا)، فتقحم البلاغة في الاضطرار .

لقد حاول العمري، في إطار النقد المنهجي البنَّاء بعيدا عن النقد الذي يتصيدُ مواطن الضعف والاختلال ويرصد أسباب الاختلاف لتضخيمها على حساب العمل،ولا زال، يتصدى لكل من يهدد الجهود التي بُذلت على مدى أربعة عقود، من أجل إعادة الاعتبار للبلاغة ، بتنسيقها وتدليلها في حوار بين التراث العربي الغني، وبين المعطيات المنهاجية التي يتيحها البحث العلمي الحديث في هذا الموضوع.

لقد وضع على عاتقه – بعد مسار طويل في البحث عن بلاغة عربية حديثة- الدفاع عن حمى البلاغة والحرص على عدم تسليمها للمتوهمين، من خلال الكشف عن العوائق المعرفية والتشوهات العلمية ، وردم الهوة المتعمقة بين البحث عن بلاغة حديثة عامة ،من جهة، واجترار مفاهيم البلاغة المختزلة، من جهة أخرى، بتقديم مؤسِّسات إبّستِمولوجيَّة، ومقوِّمات معرفية نسقية، وتفنيدات حجاجية ، تدفع شبهات الاجترار.

وفي هذا الإطار ، عرض العمري مقالا تحت عنوان : **مفهوم البلاغة وأسئلتها ومأزقها في كتاب التبالغ والتبالغية- حوار المنجز والمتوهم والبديل.** نشر فيه نقدا موضعيا لمشروع **الدكتور رشيد يحياوي**مؤلف كتاب "**التبالغ والتبالغية، نحو نظرية تواصلية في التراث**"، الكتاب صدر عن دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن الطبعة الأولى، 2014.

كان مدار النقد ، في هذا المقال، على المأخذ التالية:[2]

---

[1]– ينظر محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص:29 و30 بتصرف.

[2]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة ، ص: 36.

- مزاحمة مصطلح "البلاغة" والتشويش عليه باستعمال أحد مشتقاته اسما لعلم جديد سماه صاحبه "التبالغ".ثم تجاوز ذلك إلى ادعاء كون البلاغة جزءا منه.

- وقد دلت الوقائع على أن هذا الالتباس أضر فعلا بالبلاغة ، إذ أعتقد كثير من القراء أن الكتاب مؤلف في البلاغة، بل وصل بهم التيه أن لم ينتبهوا للإختلالات العلمية التي شوهت ما تناوله الكتاب من قضايا البلاغة العربية، في أحد فصوله الأربعة، رؤية وقضايا، فتوج الكتاب بجائزة المغرب للكتاب 2015 باعتباره كتاب في البلاغة والنقد الأدبي ، وليس منهما. وكان قد أجيز قبل ذلك على برسم دكتوراه الدولة سنة 2000.

- إعطاء تصور مختزل ومتجاوز للبلاغة العربية ، يتجاهل كل المنجزات التي تحققت في العقود الأخيرة.

- إقحام البلاغة في شركة تجافي طبيعتها، وذلك بإدخالها في مفهوم حدده الباحث لـ"التبالغ" أساسه الاضطرار. وبسبب ذلك فرض عليها أن تساكن ما قبليات النحو وفقه اللغة.

- تفتيت المشاريع البلاغية الكبرى نتيجة إخراج القضايا التي عَالَجَتْها من نسقها.

- التناقض والتردد والحشو، وأمثلته كثيرة ومتنوعة.

بدأ نقد العمري لكتاب التبالغ والتبالغية، مخاطبا القارئ الذي لا يُصدِّعه التفكير ولا يضيق صدره بالاختلاف ولا تكدره الحجة، بعملية رصد المنجز والمتوقع من النوافذ والعتبات (العنوان، فهرس المراجع، فهرس الموضوعات، المقدمة والخاتمة)، ثم امتد إلى الحدود والأنساق، ليصل إلى السلالم والدرجات. إلى الخلفيات والمخفيات...الخ. ولا يتسع المقام للتفصيل أكثر. ولمن أراد تفصيلا عليه الاطلاع على المقال كاملا المنشور في جزء مستجدات من موقع محمد العمري تحت العنوان الذي ذكرناه (http://www.medelomari.net)، والإطلاع على القسم الثاني والثالث من كتاب المحاضرة والمناظرة لمحمد العمري.

وفي خاتمته يقول متعجبا، لم أفهم كيف قطع الباحث التراث العربي عن اليوناني والهندي والفارسي ...الخ، وعن الحديث عن السميائيات والتداوليات والشعريات واللاهوتيات..الخ، وهو يخوض في كل ذلك ؟ !. مع أن الماضي مرهون بالحاضر، والحاضر كاشف لمخاض الماضي، ولا يمكن فهم احدهما في انفصال عن الآخر.

وعموما فان ما خلص إليه العمري بعد عملية النقد ، أن الكتاب يعتبر بيئة ملائمة لتحلية بلاغة الانحسار وزَفِّها، ومعادة بلاغة الاختيار والانتشار وطمسها. يقول محمد العمري: " عسى أن تكرهوا شيئا

وهو خير لكم، فصعود منطق الاختزال والاضطرار إلى السطح فرصة لتسليط أشعة المنطق والعقل عليه لامتحان قدرته على العيش في الضوء و الحرارة، ولا نرغب في إرضاء من لا يحتكم إليهما، فالحق أَبلجُ" [1].

☜ **نقد الآخر لمحمد العمري.**

أولا: رد فعل المؤلف رشيد يحياوي

فالنقد الذي وجهه محمد العمري لكتاب التبالغ والتبالغية في المقال ، كما ذكرنا سلفا، أثار رد فعل انفعالي عنيف من مؤلفه مساندا بمجموعة من رواد موقع التبالغية الذي يشرف عليه.

تمثل في هجوم عنيف على شخص محمد العمري، انتقدوا ما يدعيه من بلاغة، وما يجامله به طلبته من ريادة زائفة، كما قال يحياوي. حيث اتهمه بالعامية وقصور الفهم والغيرة...الخ، واعتبر بلاغته مفلسة ومنتهية الصلاحية. واستخرج من المقال بعض العبارات التي اعتبرها عامية أو ساخرة مما يناسب المقام التخاطب العلمي حسب ما تهيأ له. واستعان في هجومه هذا بمقال قصير لإحدى الطالبات، نشرته على الشابكة، أعاد نشره لعل العمري يرتدع به كما قال. وف مقابل التأييد والنصرة غير المشروطين نصحه بعض المعلقين بالرد العلمي في منبر محكم، وفي نفس المجلة تحديدا أو تحبيذا.فوعد بالرد، ثم أعاد الكرَّة مستكملا الهجاء [2].

وقد ردّ العمري على ذلك الهجوم في عمل مطول تحت عنوان: المحاكمة أو الحق في النقاش العلمي. ودعوة للالتزام بأخلاق المناظرة نشر عمله الحواري سنة 2015 في العدد المزدوج 7 و8 من مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، وهو العدد نفسه الذي نُشر فيه رد الأستاذ رشيد يحياوي .

كان رد العمري يختلط فيه التخييل بالمناظرة الفاحصة، يمتزج جده بهزله، جد في ثوب من الهزل. لكنه كان حريصا أن يبقى في حدود التقويم العلمي والردع الحجاجي المقبول عند الحاجة.

ثانيا: نقد محمد زيدان لمشروع محمد العمري

نشر كتاب **"البلاغة الجديدة والنص الشعري.. النظرية والتطبيق"** محمد زيدان، في مركز الكتاب الأكاديمي 2020. وفيه يطرح تساؤلات حول البحث عن تفكير بلاغي جديد لا يهمل الفكر الإستعاري في البلاغة العربية. منها: هل يمكن وضع تصورات لبلاغة عربية جديدة؟ وهل البحث في البلاغة العربية انتهى بنهاية القرن الرابع الهجري؟ وهل ربط هذه التصورات بالنظرية الأدبية الغربية جائز؟ أم أن الخضوع للبلاغة الكلاسيكية جزء من ثوابت التفكير التي لا غنى عنها؟ هل يمثل وضع تصورات بلاغية

[1]– محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص: 40.

[2]– المرجع نفسه، ص: 37.

جديدة خطرا على النص الأدبي؟ وهل محاولة تحويل المفاهيم في التراث النقدي والبلاغي إلى أدوات للنص جائزة؟ وإذا تمت هذه المحاولات، فهل يمكن أن تقدم شيئا للنص الأدبي المعاصر؟.

يقول د.زيدان عن كتابه: تعد البلاغة الجديدة تصورا مكملا للفكر الإستعاري، ولكن بشكل مختلف، فلم يعد الاعتماد فيه على الكلمة – مع أهميتها – ولم يعد الاعتماد على الجملة- مع ضرورتها– وإنما أصبح النص صورة واحدة، تتجاوز مجرد التفكير في تصوير قاصر.فالنص القرآني يمتلئ هو الآخر بالإشارات البلاغية الدالة على إمكانية الخروج من التصورات الثابتة، وقد ألمحت في ثنايا الكتاب إلى عدد من هذه. واختتم د.زيدان: البلاغة الجديدة تحرر الفكر العربي من تصور الجزئيات الصغيرة إلى تصور عقلي وفكري يأخذ بيد اللغة ومستخدميها إلى آفاق أوسع من الآفاق الجامدة التي ظلت حبيسةً قرابة ألف عام من جمود البحث البلاغي، فلا تقتصر ظلالها على اللغة، بقدر ما تتعداه إلى شكل من فلسفة اللغة العربية، أو فلسفة التصور اللغوي.

ولكن كل ما يهمنا هو نقد الدكتور محمد زيدان لمشروع محمد العمري في البحث عن بلاغة جديدة.

محمد زيدان هو شاعر و ناقد مصري يحمل درجة الدكتوراه في النقد الأدبي المعاصر، تطرق في كتابه إلى " الصورة والفكر الإستعاري" ، وذكر مفاهيم الصورة عند الأقدمين من خلال تفحص كتاب أسرار البلاغة للجرجاني وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي. ثم ذكر ماقاله المحدثون في هذا الشأن، فوضع **محمد العمري** في مرآته.

وهاهو نص نقده : " حتى المحدثون الذين حاولوا ربط البلاغة العربية وأصولها بالمناهج الجديدة مثل محمد العمري، لم يزد عن كونه فعل الأقدمين في طرح القضية البلاغية وربطها بالقضية النقدية من داخل النسق القديم. وبهذا فلم يقدم شيئا يذكر فيما يرتبط بتصور الفكر البلاغي الجديد. وحتى عندما أراد العمري أن يتحدث عن البلاغة الجديدة في كتابه الذي يحمل اسم **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، لم يتعرض مطلقا لأي تطور يمكن أن يلحق بالبلاغة العربية. لا من داخل البلاغة ولا من خارجها، ولك أن تطالع عناوين الفصول، والتي جاءت كالتالي:

- البلاغة في النظرية والتاريخ.
- تقاطع التخييل والتداول.
- مفهوم البلاغة بين التعميم والتخصيص.
- السخرية الأدبية والسيرة الذاتية.
- بلاغة السيرة الذاتية.

- السخرية الجاحظية.

- التحويل الحكائي للاستعارة.

وهذا المبحث الأخير يشير إلى تطوير للفكر الإستعاري من داخل العلاقات البلاغية لمفهوم الاستعارة، ولكنه وضع نمطا من التفكير يشير إلى محاولة توسيع مفهوم الاستعارة عند عبد القادر، فيما أسماه البناء مع الصورة، ومباشرة انتقل إلى التطبيق على نص شعري قديم محاولة منه لأسطرة الاستعارة، وفي التطبيق لم يزد عن النظرة الجزئية التي خرج منها التفكير البلاغي القديم، وفي شيء من التعسف حاول أن يؤسس عن طريق الكلمة لبلاغة النص بالاستعارة المنطق، أو بالاستعارة الجامعة، ومن خلال مجموعة من الجمل، ويكفي أن تطالع جداول الألفاظ التي وضعها بجانب بعضها لتدرك مدى المغالطة الفكرية التي يحاول المؤلف أن يقدمها من داخل التفكير الجزئي للبلاغة العربية، وكل ما يستنبطه من علاقات يحاول أن ينشئ سياقات كلية لا تتصل بواقع النص الذي تعامل معه، ويلاحظ أنه نص شعري تخييلي به بعض الجاذبية. أما في الفصل الذي وضع له عنوان مفهوم الصورة في المباحث البلاغية ، وبدأها بأقوال لعبد القادر الجرجاني من كتابه دلائل الإعجاز اعتمادا على قول الجاحظ، أن الشعر ضرب من التصور وذلك فيما أسماه الصورة البيانية، وأوضح المفهوم عند عبد القادر الجرجاني. وهو المعنى الذي ساقه في أسرار البلاغة، عن توليد المعنى بين الاستعارة والتمثيل، وفقع المعنى، وإن كان الجرجاني قد ركز على فكرة المفهوم خروجا عن اعتبار اللفظ هو مناط التفكير البلاغي، إلا أن ذلك في إطار منوع من الأمثلة اللغوية الجافة التي لا تصلح للاستشهاد، أما قوله أن الصورة هي عمل قياسي لما نعلمه بعقولنا هو الأقرب إلى تصور المفهوم المجازي الذي يقترب من الفلسفي، أما القسم الثاني للصورة ، فهو استخدام قاصر على التفكير الجزئي ارتباطا بالتعلم، وهو جزء من المفهوم الأرسطي القديم، عن المحاكاة والتخييل، والفارق الأساسي عندي هو أن البحث هنا يعتمد على مفهوم الصورة النسق، أو الصورة السياق، أو الصورة المنظور، أو الصورة البناء، أو الصورة الفكرة، وهي مفاهيم لم تأت على أي شكل في الفكر البلاغي القديم، وبالتالي، فإن الإجمال الذي يقدمه البحث يمكن أن تصحبه تفصيلات الإجراء في النصوص، ومن هنا، فإن فكرة ربط الصورة بالبلاغة لم ترق في النقد المعاصر إلى درجة الطموح الذي يريده الباحث ، وبالتالي فإن ربطها من باب الشرح والتحليل بالسياق القديم جزء من انحياز غير علمي لا يقدم بلاغة جديدة بالمعنى الجديد "[1].

[1]– محمد زيدان: البلاغة الجديدة والنص الشعري، ص: 184،ص: 185،ص: 186.

واختم بكلام أعجبني قاله ميخائيل نعيمة في كتابه الغربال: " إن مهنة الناقد الغربلة. لكنها ليست غربلة الناس. بل غربلة ما يدونّه قسم من الناس من أفكار وشعور وميول . وما يدونّه الناس من الأفكار والشعور والميول هو ما تعودنا أن ندعوه أدباً. فمهنة الناقد، إذن، هي غربلة الآثار الأدبية. لا غربلة أصحابها. إذا كان من الكتاب أو الشعراء من لا يفصل بين أثاره الأدبية التي يجعلها تراثا للجميع، وبين فرديته التي لا تتعداها ودائرة محصورة من أقربائه وأصحابه، فذاك الكاتب أو ذاك الشاعر لم ينضج بعد. وليس أهلا لأن يسمى كاتباً أو شاعراً. كذلك الناقد الذي لا يميز بين شخصية المنقود وبين أثاره الكتابية، ليس أهلا لأن يكون من حاملي الغربال أو الدائنين بدينه " [1].

[1]– ميخائيل نعيمة: الغربال، ص: 13.

خاتمة

النتائج المتحصل عليها:

فيما يخص تناول للمشروع البلاغي العمري فقد كان نعم المعين لنا في استقراء.

- لقد إستعان "محمد العمري" ببعض مناهج البحث العلمي.
- توجيه الباحث في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهاجية المعاصرة. مدد الباحث في دراسة البعد الإقناعي للبلاغة العربية بسبب إهماله في الدراسات العربية الحديثة بصفة عامة مما دفعه في الغوص في أساليبه وتقنياته لبيان أهميته.
- لقد أفلح "محمد العمري" طالب العلم في رسم أفقه الخاصة أي العمل في إطار المشروع ذلك أنه سلك سارين أولهما المسار التراثي أما الثاني فهو الترجمة الدي زوده بالأداة المنهجية الحديثة.
- الدراسات البلاغية عند "محمد العمري" كشفت تداخل المكونات البلاغية "التخييلية و الحجاجية في بنياتها".
- نقل الرصيد البلاغي العربي من مرحلة الجمود إلى مرحلة التجديد في النسق.
- "محمد العمري" خلص البلاغة من القيود و فتح الهوة بين الباحثين في القديم و الحديث.
- لقد فتح "محمد العمري" بمشروعه أفاقا واسعة بين التراث العربي و التراث الغربي مما أدى إلى فتح طريق واسع للبلاغة و ذلك بفضل تشبعه بالتراث العربي و التراث الغربي إضافة إلى سبل معرفته للترجمة التي أمدته لتوسيع مشروعه.
- إن "محمد العمري" بهذا المشروع يكون قد أسس لبناء نموذج جديد للبلاغة العربية.
- أثرى "محمد العمري" قموس اللغة العربية بمصطلحات جديدة يقوم عليها الباحث في تنوير فكره لبناء بلاغة معاصرة نذكر منها:

البلاغة العامة: و هي نقطة الوصل بين الشعرية و الخطابية.

- لقد بين البعد الإقناعي للبلاغة العربية و الذي جسده بعمق عند الجاحظ كما أن ما جاء به هذا الأخير من نصوص بلاغية تهدف إلى إقامة بلاغة الحجاج.
- نضج في قراءة للتراث البلاغي العربي و الاجتهادات الغربية الحديثة .
- علم البلاغة علم عتيق يهتم بالخطاب في بعديه التخييلي الأدبي، و الحجاجي المنطقي.
- إن البلاغة عند " محمد العمري" قراءة تركيبية تفهم السابق من اللاحق و اللاحق من السابق.
- إن مقام بلاغة" العمري" مؤسسة على الخطابالتداولي و التخييلي، الوظيفي.
- لقد أسهم البلاغي في إخصاب الدرس البلاغي المعاصر. كما كان هذا الأخير هو السند العظيم.

- البلاغة العربية مبنية على أساس الازدواج بين التخييلي الشعري و الخطابي التداولي.
- حجاج يهدف إلى تغيير في سلوك المتلقي أو معتقده قصد استمالته و التأثير عليه.
- ارتبط الحجاج منذ القديم بالخطابة ،إذ أن موضوع الحجاج هو الخطابة.
- أسهم أرسطو بتأليف كتابه الخطابة في وضع معالم الدرس الحجاجي الغربي وذلك بواسطة تنظيره للحجاج الخطي، حيث تحدث عن بلاغة الإقناع و أسسها بدأ من مرحلة الإيجاد أي البحث عن الحجج.
- كان النقد القائم على الموازنات بين الشعراء عاملا مساعدا إذكاء صفوة الوعي البلاغي بمعايير الإيجادة أي بلاغة الإختيارات الشعرية و بلاغة البديعيات.
- تلاءم قراءة "العمري" في تتبع تطور المذاهب الفنية في الشعر.
- إكتشفت الدراسات المعاصرة تطورات مما نتج عنها نظرية جديدو تعرف بنظرية الحجاجية وكان "برلمان" "يتيكاه" من بين الذين إهتموا بها ووسعوا فيها .
- معرفت أنساق "محمد العمري" الفكرية و نظمه الإصطلاحية و المفهومية.
- بناء نظرية حديثة و عامة تستوعب ما هو تخييلي و حجاجي مما مكنه من الإسهام في بناء نموذج بلاغي يستوعب الخطابية في سياق ما يسمى بالبلاغة العامة.
- تطوير النظر البلاغي و المقاربة المنهجية عبر متابعة الموروث البلاغي القديم.
- جعل البلاغة علما كليا للخطابات التخييلية و التداولية الهادفة إلى التأثير و الإقناع أو هما معا.

الملخص

إن التطور الذي شـهده الدرس البلاغي بسـبب المشـروع الجدي الذي قدمه "محمد العمري "بالأعمال التي تتراوح بين التنظير و الترجمة و التطبيق و التوقف على تلقي مســوغات التراث البلاغي العربي و الغربي في تأسـيس بلاغة معاصـرة متولدة عن إعادة قراءة التراث في ضـوء المنجزات العلمية و اسـتنباط مناهجها و معالمها، صــوابها و خطأها. و دراســة تطور الفكرة البلاغية عند العرب، و تتبع الحقائق في مصــادرها الأساسية حتى يستقر هذا الحس النقدي الذي يعتبر لون من ألوان، و مكمل الدراسات البلاغية المعاصرة أي الســابق تتبع اللاحق هذا و ذاك، يكون مما صــرفوا جهودهم إلى تجديد الدرس البلاغي و الغوص في غوره ،و تكسـير حاجز التعجيز ،و تجسـيد الروح البلاغية المعاصـرة التي نالت إهتمام النقاد و الباحثون حتى إستطعوا أن يجعلوا من البلاغة علما عصريا متطورا.

The development of the rhetorical lesson is the result of Mohamed Al-Omari's serious project of work, ranging from visualization, translation and application, to a halt to the receipt of the justification for the Arabic and Western rhetorical heritage in establishing a modern rhetoric that generates a re-reading of heritage in the light of scientific achievements and the development of its methods and features, its correctness and its error. And to study the evolution of the rhetorical idea of Arabs, and to trace the facts in their basic sources, so that the present sense of creativity, which is a color and a complement of contemporary rhetorical studies, that is to say, the following, can be seen as a result of their efforts to renew the rhetorical lesson, to dive into Gurh, to break the barrier of passivity and to reflect the modern rhetorical spirit that has been brought to the attention of critics and scholars until they can make it.

المراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن عاصم

المصادر الأساسية

1. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- دراسات وحوارات، افريقيا الشرق، 2013.
2. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.
3. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.
4. محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤيا البلاغية والممارسة الشعرية- نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، افريقيا الشرق، 2001.
5. محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري للبنية الصوتية في الشعر- الكثافة.الفضاء.التفاعل ، الدار العالمية للطباعة والنشر، ط1، 1990.
6. محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، افريقيا الشرق، 1996.
7. محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، افريقيا الشرق، المغرب، 2017.

المصادر التراثية

8. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1986.
9. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط 5، 2004
10. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1987.

المراجع الحداثية

11. بلقاسم حمام، البلاغة العربية وآلية الحجة، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، ماي 2005.
12. أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018.
13. أحمد يوسف، البلاغة العربية- قراءة القراءة، الآن ناشرون وموزعون، 2018.
14. البلاغي الجاحظي في النقد الحداثي، مركز الكتاب الأكاديمي، 2019.
15. توتاي سيف الله هشام، شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2017.
16. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011 .

17. أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998

18. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص09.

19. حسين خمري، نظرية النص- من بنية المعنى إلى سميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007.

20. حمدي منصور جودي، الحجاج في كليلة ودمنة لابن المقفع، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018.

21. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ.

22. صابر الحباشة، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1 ، 2008.

23. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة.

24. عصام العسل، فن كتابة السيرة الذاتية- مقاربات في المنهج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010.

25. عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب- مدخل الى نظرية الأدب العربي، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، ط 9، 2012.

26. مبارك تريكي، بحوث لسانية محكمة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2020.

27. محمد براهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط 2، 2013

28. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة.

29. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر- دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 5 ، 1994.

30. محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية أسباب السقوط وعوامل النهضة، دار البيارق، ط1، 1999.

31. محمد مسالتي، خطاب البلاغة: الأنساق المتصارعة وجدل التأويل- بحث في مسارات تلقي الخطاب .

32. مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع.

33. مصطفى الجويني، الفكر البلاغي الحديث، دار المعرفة الجامعية، 1999.

34. عبد الرحمن بودرع، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث.

35. رمضان يوسف، البلاغات الجديدة في الدراسات العربية الحديثة (حمادي صمود ومحمد العمري نموذجا)، التعليمية، المجلد 4 العدد 09 جانفي 2017.

36. سامي شهاب أحمد، ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012.

37. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992.

38. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2002.

39. عبد العزيز إنميرات، مناهج قراءة التراث في الفكر النهضوي العربي، مركز التأصيل والدراسات والبحوث، السعودية، ط1، 2013.

40. عبد الله علمي، في الحجاج- دراسات لأنواع الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، 2019.

41. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2010.

42. محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب- ضمن البلاغة والخطاب، دار الامان، الرباط، ط1، 2014.

43. محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد- المصطلح والنشأة والتجديد.

44. ميخائيل نعيمة، الغربال، نوفل، بيروت، لبنان، ط 15، 1991.

45. نجيم ساته وأخرون، السخرية وفق مشروع محمد العمري – دراسة تحليلية نقدية، مجلة الابراهيمي للآداب والعلوم الانسانية، جامعة برج بوعريريج ، المجلد 2، العدد الأول، جانفي 2021.

46. نماء البنّا، النقد الحديثي بين المحدِّثين والحداثيين، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 26ن العدد 101، 1442 هـ/2021 م.

المراجع المترجمة:

47. بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمة محمد الولي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016 .

48. جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمن وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط 4، 1985.

49. جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 1986.

50. ج براون.ج بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1997.

51. الرود إبش، التلقي الأدبي، ترجمة محمد برادة، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، العدد 1992،6.

52. رولن بارت، البلاغة القديمة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، مطبعة النجاح الجديدة، 1994.

53. كونتر جريم، التأثير والمتلقي- المصطلح والموضوع، ترجمة وتقديم أحمد المامون، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، العدد السابع، 1992.

54. مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة محمد العمري وآخرون، افريقيا الشرق، 1987.

55. هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري، افريقيا الشرق، 1999.

المقالات والدوريات

56. بن يمينة رشيد و بلكحل العالية، الخطاب الاحتمالي بين التخييل والتداول، مجلة فصل الخطاب، المجلد 7،العدد 2، 2018.

57. ابتسام بن خراف، تلقي النص البلاغي عند محمد العمري- مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءات ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد الخامس، 2013.

58. محمد بلقاسم، النقد البنيوي- الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، الأثر، مجلة اللغات والأدب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الثامن، ماي 2009م

59. محمد بلقاسم، النقد البنيوي- الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الثامن، ماي 2009 .

المواقع

60. موقع أرشيف: https://web.archive.org/web/20170729140806/http://kfip.org/ar/professor-muhammad-a-al-omari

61. موقع محمد العمري: http://www.medelomari.net/entree.htm.

62. عمر السنوي الخالدي، البنيوية، أسباب النشأة وأسباب التقوص، مقال نشر بتاريخ 17-04-2017 م / 20-07-1438هـ، الموقع الالكتروني: الألوكة الأدبية واللغوية، تم الاطلاع عليه يوم 2020/01/20.

شكر و عرفان

إهداء

مـــــــــقدمــة

المدخل: واقع الدرس البلاغي العربي في ضوء ثنائية الاصالة والمعاصرة i

مـــــــــقدمــة.....

البلاغة العربية في ضوء ثنائية الاصالة والمعاصرة i

1. **سيبويه (ت 180 ه).....i**
2. **أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210) كتاب مجاز القران.....**
3. **الجاحظ (ت 255) كتاب البيان والتبيين 6**
4. **ابن قتيبة(ت 276) كتاب تأويل مشكل القران 8**
5. **المبرد (ت 285 ه) كتاب الكامل في اللغة والأدب 8**
6. **ابن المعتز (ت 296 ه) كتاب البديع 9**
7. **ابو هلال العسكري (ت 395 ه) كتاب الصناعتين.....11**
8. **ابن رشيق القيرواني(463 ه) كتاب العمدة في محاسن الشعر ونقده 12**
9. **عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ه) كتاب دلائل الاعجاز 13**
10. **الســـــكاكـــــي (ت 626 ه) وعلم البلاغة.....14**
11. **ابنالاثيرضياءالدين(ت 637 ه) 15**

جـــهود الـــتأريخ.....16

قضايا التنظير.....22

قضايا التطبيق.....30

- **من هدي القرآن الكريم.....31**
- **من هدي الحديث النبوي الشريف 37**
- **من الشعر.....40**

الفصل الأول:منطلقات الدرس البلاغي لدى محمد العمري

مقـــدمـــة.....43
سيرته العلمية.....44
1. الحياة التعليمية والمهنية 44
2. عضوية المجالس العلمية والجمعيات 45
3. المشاركة في اللقاءات العلمية 45
4. التدريس..... 47
مؤلفاته وأعماله العلمية.....48
1. الكتب..... 48
1.1 التأليف 48
2.1 الترجمة.....**Erreur ! Signet non défini.**
3.1 التحقيق.....**Erreur ! Signet non défini.**
2. المقالات..... 49
1.2 المقالات الاصلية..... 49
2.2 مقالات مترجمة.....**Erreur ! Signet non défini.**
3. الحوارات..... ..... Erreur ! Signet non défini.
4. النشر العلمي والتنشيط الثقافي:.....52
1.4النشر العلمي..... 52
2.4 التنشيط الثقافي.....**Erreur ! Signet non défini.**
مصادر فـكـــره الـــــبلاغـــــي 53
مجـالات اشتـــغالـــه العـلـمـي.....57
1. موضوعات التأليف 59
2. طريقة الترجمة .... Erreur ! Signet non défini.
3. إنتاج المصطلح .... Erreur ! Signet non défini.
النظرية العلمية المؤطرة لأبحاثه 62
أولـها: المنهجاللسانياليبنيوي: 62
ثانـيا: نظريةالتلـــــــــقي: 64
ثالـثا: المنهجالتداولي ونظريةالحجاج:.....66
الفصل الثاني: تجليات حسه النقدي في وعي التراث البلاغي العربـي.
مقـــدمـــة.....
..... 73
معـالم الاستكـشاف التاريخية في البحث البلاغي لدى القدمـاء 75
دواعـي ومسوغات حسه النقدي في مكـاشفة التراث البلاغي 89
منهج ألـــيات القـــراءة النقديـــة البنـــيويـــــة فـــي تفكـــيره الـــبلاغـــي 91
العدة المصطلحية.....98

- مصطلح الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية 100
- مصطلح تحليل الخطاب. 102
دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومواقف نقدية) 103
- قراءة في منهاج البلغاء 103
- قــراءة في مفتاح العــلوم 105
الفصل الثالث: تجليات حسه النقدي في فهم البلاغـــة الجديـــــدة
مقـــدمـــة.....107
البلاغــة الجديـدة مفـهومـا ونشأة (في سياق البحث الاجنـبي) 108
دواعي ومسوغات حسه النقدي حيال قضايا البلاغة الجديدة.....111
وسائط تلقي العمري للجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة(الاخذ المباشر/الترجمة).....113
اليات منهج القراءة النقدية في قضايا البلاغة الجديدة 117
العدة المصطلحية.....126
-مصطلح "الانزياح" 129
-مصطلح "الخطابية". 130
-مصطلح "الاستهواء" 131
-الصورة والحجة..... 133
- مصطلح "المستمع".....137
- مصطلح "الانشاء".....138
دراسة نماذج تطبيقية من تحليلاته (نصوص ومواقف نقدية) 140
- علاقة البلاغة بالحجاج (قراءة في الخطاب السياسي).....140
- أسس بلاغة الخطاب الاقناعي.....148
الفصل الرابع: أثر الحس النقدي لدى العمري في اخصاب الدراسات البلاغية المعاصرة
مقـــدمـــة.....154
على الصعيد النظري.....155
على الصعيد التطبيقي.....167
- بلاغةالسخريةالادبية.....168
-بلاغةالسيرة الذاتية: تقاطع الخيال والواقع.....171
على الصعيد المنهـــــــجي 178
- منهج الاختيار.....178
- المنهج السيميائي.....181
- منهجعلم النص والبلاغة الجديدةر.....184
تطلعات البلاغة العربية وانفتاح افاقها (بين الوظيفة التخييلية والوظيفة التداولية) 187
الوعي النقدي ومدى الالتفاف حول مدرسته البلاغية 192

- نقد محمد العمري للاخر..... .....
- نقد الآخر لمحمد العمري. 196
خاتمة عامة.....201
ملخص
المصادر و المراجع
الفهرس